

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 19 DECEMBER 1978

العدد (١٩) - محرم ١٣٩٩ هـ ديسمبر ١٩٧٨ م



الفصل

رئيس التحرير

علي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

العدد ١٩

العدد ١٩

في هذا العدد

| | |
|-----|--|
| ص ٤ | من كتاب هذا العدد |
| ٥ | الحركة الثقافية في شهر |
| ١٩ | د. عيسى الناعوري |
| ٢٢ | د. عبد العزيز شرف |
| ٢٨ | د. محمد بن سعد الشويمر |
| ٣٢ | د. كمال بشر |
| ٣٦ | د. عبد الرؤوف ثابت |
| ٤٢ | زكي قنصل |
| ٤٣ | عدنان الداعوق |
| ٥٦ | طاهر زغشري |
| ٥٧ | جاسر خليل أبو صفية |
| ٦٢ | قصيدة وقصة |
| ٦٣ | جورج لوكاش |
| ٦٦ | أمثال العرب |
| ٦٧ | أمثال الشعوب |
| ٦٨ | معلم اللغة العربية لغير العرب (ندوة الشهر) إعداد محمد مبارك |
| ٧٢ | محمد إبراهيم أبوسنة |
| ٧٩ | د. محمد نزار الدقر |
| ٨٣ | علي شلش |
| ٩١ | (موضوع خاص) |
| ١٠٥ | عبد الحميد عويس |
| ١٠٨ | المفكر العربي المرشح لجائزة نوبل (لقاء مع) إعداد: مصطفى عبد الله |
| ١١٦ | اليمين .. الحضارة .. والانسان (مطالعات في الكتب) حسن أحمد بهكلي |
| ١٢٠ | المعمل العربي لصياغة الفاظ العامة |
| ١٢٣ | ألوان العصر |
| ١٢٢ | التحطيب (لوحة .. وفنان) |
| ١٣٤ | المعادن (هـ. ليستر) |
| ١٣٩ | المشوار .. (قصة) |
| ١٤٣ | قبل الفطور .. تمثيلية: يوجين أونيل |
| ١٤٧ | بين الطب .. والشعر |
| ١٥١ | دائرة المعارف .. |
| ١٥٦ | مناقشات وتعليقات |
| ١٥٧ | سؤال وجواب |
| ١٥٨ | ردود قصيرة |
| ١٥٩ | كتب وردت إلى المجلة |
| ١٦٠ | المسابقة |



★★ تقع مدينة «تدمر» في
الغلب من البادية السورية ، وقد
دلت الحفريات على أن نازحتها
يرجع إلى العصر الحجري ..
وتدمر هي المدينة التي اختوت
عبقرية «الزباء» (ص ٤٣)



★★ الموسيقى والآلات الموسيقية
في العالم الإسلامي موضوع لقي
كثيراً من العناية والبحث
والسجل . (ص ٩١)



★★ الشاعر الفرنسي
بول إيلوار كان يحب
الفنون التشكيلية ويقدر
عدداً من الفنانين
التشكيليين .. نكتب
عدداً من الفصائد
الفصيرة عن هؤلاء
الفنانين وأساليبهم
الفنية .. وعلى
(ص ١٢٣) نطالع ترجمة
لهذه الفصائد ونبذة عن
كل فنان ولوحة له .



- من مواليد الأردن عام ١٩١٨ م.
- الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو (يعتبر ثالث عربي ينالها بعد طه حسين .. وحسن عثمان) .
- أصدر مجلة «العلم الجديد» الأردنية الشهيرة ، ثم توقفت بعد عام .
- له أربعون مؤلفاً مطبوعاً في الشعر ، والقصة ، والرواية ، والتفكير الأدبي ، والرحلات ، والترجمة .
- شارك في عدد من المؤتمرات الأدبية والثقافية .
- يكتب ويحاضر بالعربية والإيطالية والإنجليزية .
- كتب يترجم عن الفرنسية والإسبانية .
- له مؤلفات بالإيطالية والإنجليزية .
- عمل سكرتيراً للجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر .
- يعمل حالياً أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية الأولي ومند نائبه في ١٠/١/١٩٧٦ .



- من مواليد مدينة جيزان في المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٣ هـ .
- تلقى علومه الأولى في جيزان ثم التحق بالوظائف الحكومية .
- عمل فترة في وزارة المالية ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة بعد تعيينه مفتشاً مالياً .
- نقلت خدماته إلى وزارة الدفاع والطيران في الرياض ، حيث تنقل في عدد من الوظائف ، كان آخرها مستشاراً مالياً بمكتب سمو الوزير .
- تفرغ للقراءة والبحث والاطلاع والرحلات .
- كتب في عدد من الصحف المحلية مثل «نبرش» ، «الرائد» ، «الرياض» ، «الجمعة» ، «مجلة العرب» الشهيرة .
- يهتم بدراسة الآثار واللهجات والعادات والتقاليد والأساطير .

- من شعراء اليمن وأدبائها .. ولد عام ١٣٤٢ هـ .
- نشأ ونما في مدينة صنعاء .. وكان ميله إلى درجة الأدب والشعر مبكراً .
- تولى عدداً من المناصب السياسية .
- يقبع حالياً في لندن كسفير للملاد في بريطانيا .
- له عدد من المؤلفات المطبوعة في التاريخ اليمني المعاصر .. وتحقيقات لمؤلفات من التراث .. وله شعر مطبوع .. وكتاب «قصة الأدب في اليمن» .
- لم تشغله السياسة عن الأدب والشعر .



- من مواليد عام ١٩١٤ م .
- كالمؤسس في التكنولوجيا - ليسانس مع درجة - الزمالة من معهد المعادن .
- كيميائي مساعد لتحليل الاسمدة الكيماوية والغاز .
- عمل كيميائي للتحاليل الصحية .
- اخصائي أول المعادن بإحدى الشركات الإنجليزية .
- رئيس قسم بحوث وتطوير أعمال السلكة بإحدى الشركات الكبيرة .
- محاضر عبر متفرغ في مادة تكنولوجيا السلكة والمواد غير الفايبر للانسهار بجامعة بروكسل .
- عمل مستشاراً لحكومة فنزويلا في المشاكل المعدنية .
- حاصل على الميدالية البرونزية في السلكة .
- يعمل حالياً محاضراً لمادة المعادن بجامعة بروكسل .



- من مواليد الدمام في فلسطين عام ١٩٤٢ م .
- ليسانس آداب - قسم التاريخ - جامعة دمشق .
- ماجستير في التاريخ والحضارة - جامعة الأزهر في القاهرة .
- دكتوراه من جامعة الأزهر عن رسالته «تاريخ الحجاز في العصر الأموي» - دراسة سياسية اجتماعية .
- يعمل حالياً مع الأثراء U.N.R.W.A - قسم التعليم في مركز تدريب عمان - الأردن .



- ★ من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٤٩ هـ .
- ★ تلقى تعليمه إلى المرحلة الثانوية بالملكة .
- ★ تخرج في جامعة القاهرة بمعهد الأشعة والراديو .
- ★ عمل خبيراً قنياً في وزارة الصحة ، ثم انتقل إلى الديوان الملكي .
- ★ آخر عمل له كان مدير عام الصحافة والنشر ، ثم تفرغ لأعماله الخاصة والتأليف .
- ★ له مجموعتان قصصيتان هما «الفصل» و «ملادي» ، و «البيت الكبير» .
- ★ صدرت له روايتان إحداهما «الشياطين الحمراء» والثانية «بيوت تحترق» .
- ★ يكتب في الصحف السعودية وبعض الصحف والمجلات العربية .



- من مواليد بيت جبرين - الخليل - فلسطين عام ١٩٤٢ م .
- ماجستير في الأدب العربي - الجامعة اللبنانية .
- عمل مدرساً في السعودية ، وكالة القوات في الأردن .
- له مؤلفان تحت الطبع ، الخطابة وتطورها في عهد الخلفاء الراشدين ، «الصراع الفكري بين الرسول واليهود» ، ويقوم حالياً بتحقيق كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لأبي العباس الاعرابي .
- يعمل حالياً محاضراً متفرغاً بقسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية - عمان .

*** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الإنساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. إلى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها إلى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق ***

- المؤتمر الطبي العالمي الرابع في السعودية .
- وفاة المؤرخ الأردني محمود العسبدي .
- معرض الكتاب الأول بالامارات العربية .
- أول صحيفة للطفل تصدر في مصر .
- وفاة عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر .
- معرض السنتين العربي الثالث في ليبيا .

- المؤتمر (٢٠) لمنظمة اليونسكو في باريس .
- وفاة مؤرخ الصوفية المستشرق هنري قربان .
- دائرة المعارف البريطانية باللغة العربية .
- أطول برج في أضخم معرض باليابان .
- مهرجان عالمي للأفلام التربوية في إيران .

كلمة



تجربة عبد العزيز الفريدة

في جو كانت فيه الجزيرة العربية غمزفها الانقسامات .. وكان الاقتتال والغزو ، والسلب والتهب عوامل نبعت في النفوس الخوف والذعر والهلع ، فإذا مر اليوم بسلام فإن الغد قد يندثر بما يذهب بكل شيء .

وإسان الجزيرة .. دبدنه الغزو والمفاخرة بمغامم الغزو ، وعلى وجوده نسيطر الخزعبلات ، والشعوذة ، والخرافات بصورة جعلت للشجرة قداسة خاصة من دون الله ننوئل المراء العقيم إليها كي تمنحها الولد .

لم يكن للغوم أهدافهم الكبيرة ، فلا وسيلة أمامهم للخروج من هذا النخلف الذي كانوا يعيشونه في وقت نطلع فيه العيون الطامعة إلى أراضيهم ، والسيطرة عليهم .

كانت أهداف الفرد لا تنمى أرنبة انفه ، بل كانت محصورة في رعي الأغنام ، والتفكير في غزو قبيلة من أجل مغامم جديدة .

وكان المصلحون يتطلعون إلى رجل يجمع شمل هذه الجماعات المختلفة ، رجل ينير لهم صوى الطريق ومعاله ، رجل يحتضن خلاقات أبناء القبيلة الواحدة ، ويقضي على التفرقات القبلية التي تمزق وحدة القبائل المنحدرة من أصل واحد ، وأرومة واحدة ، ورغم ذلك فهي تنفاس الأرض في إمارات صغيرة تجعل منها لفحة سهلة للطامعين .. فالجماعات تنتصر وتعيش متحدة ، ونهزم ونفنى متفرقة .

في هذا الجو كان المطلوب أن يكون للرجل المنتظر صفات نادرة تؤهله للقيام بالدور الخطير والكبير من أجل الإصلاح ، والبناء .. ولم يكن هذا الرجل إلا عبد العزيز آل سعود .

نعم .. كان عبد العزيز الرجل الذي حمل هموم قومه ، وسمى بنشد التوفيق والمؤازرة من ربه ، فلم يكن له من الوسائل ما يعينه على تحمل المسؤولية العظيمة .. وقد كان له من عزيمة المؤمنين ، ومضاء الرجال المخلصين ما جعله يهتف بالمشاق والمثابرة على كثرتها ، فبحق بأعماله التي وصفها المؤرخون بالأساطير والمعجزات ما كان يؤمله المصلحون .

فكان بحق رجل تاريخ ، وإصلاح .. بل صنع بأعماله تاريخاً ناصعاً لأنه استطاع أن يجمع رغم ضعف إمكانياته « الوحدة » التي عجز عرب اليوم عن تحقيقها رغم توافر كل الوسائل والإمكانات فكانت « المملكة العربية السعودية » التي بنفياً تحت ظلالها الوارفة اليوم جبل خليق بأن يطلق عليه « جبل عبد العزيز » .

والذين كتبوا عن عبد العزيز نظروا إليه من خلال الكنب ، والأحداث ، والسماح ، وهي نظرة محدودة لا تجسد شخصيته ، ولا ترسم أبعاد ما صنعه ، لهذا فإن من يريد أن يكتب عن عبد العزيز فليأت إلى بلاده ليرى بعينه ما صنعه ، وليشاهد هذا « الكيان الكبير » الذي أقامه من إمارات ممزقة ، وقبائل متناحرة ، وأراض متزامية الأطراف ، والأهم من ذلك أنه استطاع أن يصهر كل تلك المجتمعات المتنافرة في بوتقة واحدة ، ويجمع واحد نوحده « الآمال والآلام المشتركة » .

ورحل عبد العزيز ناركاً من ورائه تجربة فريدة في الحكم ، والعمل ، والوحدة ، ورجلاً حملوا الراية بكل أمانة وإخلاص لمواصلة المسيرة المباركة من أجل ندعم الكيان ، ورسالته ، وازدهاره ، ورقاعته إنسانه ، في ظلال الشريعة السمحة .. شريعة العدل ، والحق ، والسلام ، هذه الشريعة التي بنى عبد العزيز أسس مملكته الآمنة على تعاليمها ، وهدى فواعدها العادلة .

« المجلة »

فنانو المنطقة الغربية في معرض

أقيم بصالة الجزيرة العربية بالرياض معرض الفنون التشكيلية لفناني المنطقة الغربية .. ضم المعرض ٦٠ عملاً فنياً لأكثر من ٢٠ فناناً من جدة ومكة المكرمة والطائف .

معرض لفناني المنطقة الشرقية

أقيم بالمنطقة الشرقية معرض لفناني المنطقة من بينهم الفنانة بدرية الناصر .. أشرف على المعرض الفنان محمد الصقعي .

مسابقات أدبية

أعدت مديرية الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب عدة مسابقات أدبية في الفصة والمقال والشعر المنظوم المفتي لتحديد الخمسة الأوائل .. وسيجري هذا التقلبد مع مطلع كل عام هجري .

الأمن .. مجلة جديدة

صدر العدد الأول من مجلة « الأمن » التي تصدرها العلاقات العامة بوزارة الداخلية .. وقد ضم العدد الأول موضوعات لكبار الكتاب إلى جانب إحصائيات وموضوعات دبية .

★ كتب جديدة ★

- « طريق الهجرة النبوية » ، بقلم عبد القدوس الأنصاري .
- « الفيصليات » ديوان للشاعر عبد الحميد ربيع ، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي .
- « نوادر من التاريخ » ، مختارات من روائع الفصص والأقوال في ناربنا وأدبنا الإسلامي منذ أقدم العصور ، جمعها صالح الزمام وهي ٥٥٥ نادرة من مصادر مختلفة كالعهد الفريد والبيان والنبين .
- « أهازيج » ديوان الشاعر الراحل محمد إبراهيم جدع صدر عن نادي الطائف الأدبي .
- « في ظلال السماء » ديوان للشاعر محمد هاشم رشيد .
- « أصول الرمز في الشعر الحديث » ، كتيب يضم دراسة للأسناد أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، من منشورات رعاية الشباب بمائل .

وفاة المؤرخ العابدي

توفي المؤرخ والأديب الأردني محمود سليمان العابدي في عمان عن ٧٢ عاماً . وكان العابدي رئيساً لرابطة اتحاد الكتاب الأردنيين .. له خمسة وثلاثين كتاباً آخرها صدر قبل رحيله بأبام عنوانه « من تاريخنا » .

رابطة للمسرحيين الأردنيين

تكونت أول رابطة للمسرحيين الأردنيين بعمان .. وقد فاز في أول انتخابات لمجلس الرابطة صلاح أبو هنود .. وتساهم وزارة الثقافة والشباب ودائرة الثقافة والفنون في ندعم الرابطة .

المعرض الثاني للفنون الجميلة

افتتح في قصر الثقافة بمدينة الحسين للشباب المعرض الثاني للفنون الجميلة واشترك فيه الفنانون المتقدمون بجوائز الدولة التقديرية والتي أعلنت منذ فترة .

معرض فوتوغرافي لفنانة بريطانية

أقامت وزارة السياحة والآثار بمركزها الثقافي معرضاً للصور الفوتوغرافية التي التقطتها المصورة البريطانية ميشيل كليمنت دلبوس لمظاهر الحياة الأردنية .. وكانت الوزارة قد نظمت معرضاً فوتوغرافياً آخر للمصورة الأميركية ليندا بيرس رواجفة .

بضم مجموعات نادرة من النحف الإسلامية في غرفه العشرين ذات النفوش الهندسية .
وهذا الفصر هو واحد من سلسلة قصور تمتد غربي نهر الفرات ، من المتظر أن
تكتشف قريباً .

★ كتب جديدة ★

- «أزاهير» ترجمة شعرية لأربعين شاعراً عالمياً بشكلون الحركة الشعرية في عصرنا الحديث . . ترجمها الشاعر علي الحلبي وكتب مقدمة طويلة عن حركة الشعر المعاصر .



أول ديزني لاند عربية

بم خلال السنوات القادمة إنشاء أول مدينة في الوطن العربي على غرار مدينة «ديزني لاند» الأمريكية . . تكلف المدينة ٨٠٠ مليون دولار ونضم ١٩ حديقة وثلاث فنياب لتظليل الحدائق والمسرح . . وستخصص مساحة لعرض التاريخ والثقافة والفولكلور الكويتي .

★ كتب جديدة ★

- «العريقات» دراسة في علم الأنساب وتاريخ القبائل المختلفة في القديم والحديث للكاتب فهد محمد الربيعان .
- «القضية العربية في الشعر الكويتي» دراسة عن القضية الفلسطينية للكاتب خليفة الوقيان .
- «الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها» دراسة بقلم الدكتور عزت حجازي ، وصدرت عن سلسلة «عالم المعرفة» الشهرية .



مؤتمر اليونسكو التعليمي

اجتمع في المائة خبراء اليونسكو لبحث المشاكل التربوية في العالم العربي من كافة جوانبها . . وقد وصل عدد الخبراء إلى أربعين باحثاً . . وقد افتتح المؤتمر الشيخ عبد العزيز بن محمد الخليفة وزير التربية والتعليم بدولة البحرين .

اسبوع ثقافي تونسي

بفام خلال هذا الشهر الأسبوع الثقافي التونسي الأول في البحرين . . يشمل الأسبوع عدداً من العروض الموسيقية والفنون الشعبية والمعارض التشكيلية والندوات والمحاضرات

محتد شحت مثل شهر الشطهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)



البارودي

١٧ ديسمبر
١٩٣٢ إنشاء مجمع اللغة العربية في القاهرة .
٢٢ ديسمبر
١٨٨٦ مولد أمين الراجعي (طالع تاريخ وفاته في هذه الزاوية) .
٢٤ ديسمبر
١٩٦٨ وفاة المؤرخ ساطع الحصري
٢٥ ديسمبر
١٩٤٧ وفاة محمد علي جناح .
٢٩ ديسمبر
١٩٢٧ وفاة أمين الراجعي .
١٩٠٦ وفاة إبراهيم البارودي .

١٠ ديسمبر
١٩٤٥ مولد عبد الله النديم (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٧ من هذه المجلة) .
١٩٣٧ وفاة الموسيقار داود حسني .
١١ ديسمبر
١٩١١ مولد نجيب محفوظ .
١٢ ديسمبر
١٩٠٤ وفاة الشاعر محمود سامي البارودي .
١٤ ديسمبر
١٨٦١ مولد جرجي زيدان (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٤ من هذه المجلة) .

٣ ديسمبر
١٩٦٦ وفاة المؤرخ عبد الرحمن الراعي .
٤ ديسمبر
١٩٦٥ وفاة عبد الحميد بدوي .
٦ ديسمبر
١٨٨٣ مولد الشاعر جبران خليل جبران (طالع شخصية الشهر في هذا العدد) .
٧ ديسمبر
١٩١٠ مولد الشاعر كامل الشناوي (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٨ من هذه المجلة) .
٨ ديسمبر
١٩٥٦ وفاة الدكتور محمد حسين هبكل (ورد تاريخ مولده في العدد ١٦ خطأ وصححه ١٨٨٨م) .

الثغافية والأمسيات الشعرية . . ومن المنتظر أن يقام أسبوع محافل للفنون البحرينية في العاصمة التونسية .

معرض دائم لفنان تشكيلي

افتتح الفنان راشد العريفي معرضاً دائماً لأعماله التشكيلية بالثامنة . . وبعد هذا المعرض الأول من نوعه في الوطن العربي ، حيث ينسجم الفنان إلى «آبلييه» لانجاز أعماله الفنية ومعرض دائم ومنجدد لعرض هذه الأعمال .

★ كتب جديدة ★

● «الاسلام والوصاية على الأديان» وجهة نظر إسلامية للكاتب عبد الرحمن علي فلاح ، تقديم محمد العزب موسى ، صمم الغلاف عبد الله يوسف .

عبر

ندوة عن الآثار الإسلامية

نظم مركز الدراسات الحضارية بالتعاون مع المعهد الألماني للآثار في معهد جوته ، ندوة عن الآثار الإسلامية اشترك فيها علماء من بولندا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وهولندا وإيطاليا والدنمارك وألمانيا ومصر .

أول مؤتمر للكيمياء الحيوية

بمعد في القاهرة المؤتمر الأول للكيمياء الحيوية بالشرق الأوسط وتنظمه أكاديمية البحث العلمي .

مركز لاعداد الرواد المسلمين

انشأت جمعية النهضة الإسلامية بمدينة دمنهور مركزاً إسلامياً لإعداد الرواد المسلمين من جميع أنحاء العالم بنوى استقبال الشباب المسلم .

المعرض (٣٠) للفنون التشكيلية

افتتح بغاعة الفنون بنادي المعلمين بالقاهرة المعرض السنوي العام للفنون التشكيلية وهو المعرض رقم ٣٠ ، وقد تصادف افتتاح المعرض في يوم عيد العلم لهذا العام .

أول صحيفة للطفل !

نصدر في مطلع العام الجديد أول صحيفة للطفل في مصر تحمل اسم «الهدهد»

بشرف عليها الدكتور مرسي سعد الدين رئيس هيئة الاستعلامات ويرأس تحريرها عبد التواب يوسف الحائز على جائزة الدولة في أدب الأطفال عام ١٩٧٦ م .

وفاة شيخ الأزهر

توفي الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن ٦١ عاماً . . وقد كان العالم الإسلامي الراحل عضواً بلجنة جائزة الملك فيصل السعودية .

جوائز الدولة التقديرية في العلوم

فاز بجوائز الدولة التقديرية كل من الدكتور محمود حافظ أستاذ قسم الحشرات بجامعة القاهرة والدكتور بول غليونجي رئيس قسم الأمراض الباطنية السابق بطب عين شمس .

فبحة الجائزة ٢٥٠٠ جنيه مصري وميدالية ذهبية وشهادة تقدير ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

وفاز بالجائزة الشجعية ١٦ شخصية علمية أخرى .

★ كتب جديدة ★

● «مجتمع جديد أو الكارثة» دراسة للدكتور زكي نجيب محمود ، صدرت عن دار الشروق .

● «الفنون التشكيلية المصرية» كتاب يتناول الحركة التشكيلية في الخمسين سنة الأخيرة ويضم لوحات لأشهر الفنانين المصريين .

● «رحلة حب مع سيد درويش» بفلم صلاح طنطاوي .

● «المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم» دراسة للدكتور أحمد عثمان المدرس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بأداب القاهرة .

● «مصر اليوم» دراسة تتناول المرحلة ما بين عامي ١٨٠٥ و١٩٧٦ م ، أشرف عليها روبر مانتوران ونصدر عن المركز القومي للدراسات العلمية .

● «ديوان الشعر في الأدب العربي الحديث» للدكتور يوسف نوفل .

● «أحسن قاهر الهكسوس» ، «الحلم الرابع» ، «الناصر صلاح الدين» ، ثلاثة كتب مبسطة للأطفال بفلم كمال الملاح .

● «الباطنية» رواية للأديب إسماعيل ولي الدين .

● «أمتي والعالم» تأليف الدكتور حامد ربيع أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة .

● «الاعلام الدولي بين النظرية والتطبيق» أول مرجع علمي باللغة العربية عن الإعلام الدولي للدكتور محمد علي العويني .

● «الأقصر في العصر الإسلامي» دراسة تاريخية للباحث محمد عبده الحجاجي .

● «مذكراتي بعد الهجرة» من أوران الزعيم محمد فريد ، صدرت في سلسلة

«المذكرات التاريخية» عن «مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر» .

شخصية الشهر

جبران خليل جبران

(١٨٨٣ - ١٩٣١ م)



● ومن أهم شعره المنشور «عرائس المروج» و«رمل وزيد» ومن شعره المنظوم «المواكب» .

● من أحسن كتبه بالانجليزية «النبى»

● نصب عميداً لأدباء المهجر وبعد أوسعهم تأثيراً .

● شاعر لبناني ولد في «بشري» - لبنان ونزل في مدرسة الحكمة ببيروت .

● اتجه إلى باريس لدراسة الفن التشكيلي والتقى بالنال رودان .

● هاجر إلى الولايات المتحدة مع أسرته وهناك مارس الفن والشعر والنثر معاً .

● انتخب عميداً للرابطة الفلمية التي أنشئت من أدباء المهجر في نيويورك عام ١٩٢٠ م .

● بعد أشد دعاة التجديد حملاً في أبنائه .

● يتمتع بأسلوب سهل يجمع بين الحرارة الوجدانية والتأثير الخطابي .

● من أهم قصصه «الأرواح المنردة» و«الأجنحة المتكسرة» .

والموسيقى . . كما أقيمت ندوة قومية حول أدب ومسرح الأطفال ودورها في تنمية الصغار . . وقد اشترك مسرح العرائس ومسرح الدمى المتحركة العملاقة في المهرجان .

معرض فنان مهاجر

أقام المركز الثقافي الأمريكي بنونس معرضاً للفنان سمير الزغبى التونسي الأصل الأمريكي الإقامة . وقد ضم المعرض ٢٠ لوحة مرسومة بقلم اللباد .

لقاء بين العربية والفرنسية

نظم المركز الثقافي الدولي بالحمات ندوة مشتركة حول اللغتين العربية والفرنسية في ميدان المصطلحات الفلاحية والبيئية . حضر الندوة سنون باحثاً من تونس والمغرب والجزائر ومصر وسورية ولبنان وفرنسا وكندا وبلجيكا .

مؤتمر دولي للتربية

دعت منظمة التربية والثقافة والعلوم إلى اجتماع في العاصمة التونسية لمناقشة تجديد البرنامج التربوي للتنمية وعلاقته باستراتيجية التنمية ، ثمهداً لعقد مؤتمر دولي خلال العام القادم .

ملتقى الأدب الجديد

شارك عدد من الأدباء الشباب في ملتقى الأدب الجديد الذي عقد في دار ابن زيدون ، وكانت الندوة الرئيسية حول فضية الشعر والفصحة الجديدين وصعوبة النشر .

موسيقى

صحيفة ثقافية نصف شهرية

قرر اتحاد الكتاب إصدار صحيفة ثقافية نصف شهرية بشرف عليها رئيس الاتحاد الكاتب علي عقلة عرسان .

ملتقى الخيالة للهواة

أقيم الملتقى العربي الافريقي الخامس للخيالة الهواة بمدينة قليبية . وكان الموضوع الأساسي « نحو لغة الثقافة الجماهيرية » من حيث وسائل الثقافة الإعلامية وتأثيرها على الجمهور ، الرصيد الثقافي ، متطلبات العمل الثقافي .

المهرجان الثقافي الثالث

نظمت مدينة جندوبة « المهرجان الثالث » الذي ضم عروضاً فنية وموسيقية ومسرحية وندوات فكرية ومتحفاً وثائقياً واقتصادياً .

مهرجان خاص بالصيف فقط!

للمرة الثانية نعد مدينة سليانة مهرجانها الصيفي للعروض المسرحية والسبائية

لقطة

* عندما تستطيع عين الكاميرا - من خلال المصور - أن تلعب « لعبة التكرار » حيث تتحكم « العين » في تأكيد المنظور المدروس . . والذي يستعمل في فن المعمار الهندسي .

لقد استطاع المصور أن يؤكد حركة اليدين ونظرات العينين ، التي نستطيع ترجعها إلى غضب ما . . أو . . كأن هذا « الرجل المتكرر » ، يحاول إبعاد خطر ما . . أو أنه يقول للزمن : قف . وفقاً بالإنسان ؟ ! *



وفاة الشاعر المهجري جورج صيدح

توفي عن ٨٥ عاماً الشاعر المهجري جورج صيدح الذي ولد في دمشق عام ١٨٩٣ م وهاجر إلى فرنسا عام ١٩٢٧ م ثم إلى فنزويلا . صدر أول ديوان له بعنوان «الشواغل» عام ١٩٤٧ م ، وطبع آخر دواوينه «ديوان صيدح» في باريس عام ١٩٧٣ م . (طالع في العدد الأول السنة الثامنة رجب ١٣٩٨ هـ - يونيو ، يوليو ١٩٧٨ م ص ١٢٩ آخر لقاء معه نشرته مجلة الفيصل) .

★ كتب جديدة ★

- «نقد الشعر القومي» دراسة تتضمن قضايا الشعر القومي المعاصر للدكتور عمر الدقاق عميد كلية الآداب بجامعة حلب .
- «الغزاة تعود إلى البحر» ديوان للشاعر عصام ترشحاني .
- «متعب وجه المرايا» ديوان للشاعر مصطفى بدوي ، صممت غلافه الفنانة ليلى نصير .
- «الحان الغروب» ديوان للشاعر المهجري الياس قنصل المقيم في الأرجنتين ، تولى اتحاد الكتاب نشره في دمشق .
- «أعراس نهر اللوار» الديوان الثاني بالفرنسية للشاعر تهاد رضا . كان الديوان الأول بعنوان «استشراق اللامرئي» .

★ كتب جديدة ★

- «الينبوع» مجموعة قصصية للأديبة إميليا نصر الله .
- «شيخ بريخ» الكتاب الرابع لسلام الراسي ، صدر له من قبل «في الزوايا خبايا» و«حكى فرايا وحكي سرايا» و«لثلا تضع» .
- «قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية» دراسة للدكتورة نبيلة إبراهيم .
- «ملاح يونانية في الأدب العربي» دراسة للدكتور إحسان عباس .
- «دراسات في النقد» تتناول أشعار أدونيس ومحمود درويش ويدر شاكر السياب ، بقلم القاص الياس الحوري .
- «كيف كتب الأخضر بن يوسف قصيدته الجديدة» مجموعة شعرية للشاعر العراقي سعدي يوسف .
- «عرس بغل» رواية للكاتب الجزائري الطاهر وطار .
- «بيسان في الرماد» مجموعة قصائد للشاعر خالد أبو خالد

معرض الكتاب الأول بالامارات

يفتح بسلطنة عمان معرض الكتاب الأول بدولة الإمارات العربية . ونصحب المعرض عروض مرحة نشرك فيها فرق الإمارات المختلفة ونشرف على تسيفها عايده محمد سالم الغباري مسؤولة المسرح والدراما بوزارة شؤون الشباب العمانية .

المعرض في بيروت .. أولا

يقم الفنان اللبناني سمير أبي راشد معرضه الخاص الثالث في بيروت قبل أن يرحل به إلى باريس ، ويقدم ٣٤ لوحة زيتية و ٨ رسوم بالخط الصيني . معرضه الأول في جاليري سان جرمان عام ١٩٧٣ م ، وأقام معرضه الثاني في جاليري فدروم عام ١٩٧٥ م ، وفي هذا المعرض ياع إحدى لوحاته بعشرة آلاف فرنك .

معرض جماعي في انطلياس

أقيم معرض جماعي خاص بلوحات الطفولة والطبيعة في انطلياس (جاليري داسو) وشاركت فيه الفنانة مهى الخال برسوم متميزة عن الطفل والغضبية اللبنانية .

★ كتب جديدة ★

- «القضية في شعر الامارات» دراسة من تأليف واصف يافى .
- «قيثارة حب» الديوان الثاني للشاعر العماني محمود الحصيصي .



الأمير الشاعر
عبد الله الفيصل

لبس هناك أي مذهب أو قانون أعطى المرأة كما أعطاه الإسلام . . قصوة المرأة في القرآن صورة مشرقة مضيفة شجاعه ومكافحه .

د . حميدة نمنع
سورية

الزمن هو الشعور بما يجري ويدور . . أما زمن الشعر فهو الذي تبدو فيه القصيدة بنت الفكرة أو انعكاساً لتلك الفكرة لتصبح زمن الأزمان .

عبد الله البردوني
اليمن

البندية تكسب المرء شرفاً نضالياً وممارسة ميدانية على أرض الواقع يستفيد منها في أعماله ، ولكنها لا تميزه أدبياً إذا لم يكن أدبياً في الأصل .

محمود الخطيب
فلسطين

على المسند

العاطفة هي مادة الشعر تفاعلاً مع الجمال وإحساساً بالخبر لنقل الأحاسيس الصادقة إلى القارئ . .

صاحب السمو الملكي الأمير
عبد الله الفيصل
السعودية

الأدب لا برندي قبة ، إنه احتمال مطلق هدقه وقع الإنسان إلى المطلق !

ميخائيل نعيمة
لبنان

الشعر الحر قد أخصب الشعر التقليدي ولكنه لم يخرج عن كونه زهرة إلى جانب زهور الشعر التقليدي . . ومع هذا فإن التجربة التي تعتمد داخل الشاعر هي التي تحدد الشكل الشعري !

د . عبده بدوي
مصر

ملتقى الأدب الجديد

نظمت دار الثقافة « ابن زيدون » أسبوعاً ثقافياً حول الأدب الجديد ، أثمرت فيه الفضايا المتعلقة بالنقد والشعر والفصاة ومشاكل النشر والنزيع .

الثقافة المغربية ومفهوم المعاصرة

نظمت الأمانة العامة للجامعة الوطنية للجمعيات الثقافية لقاءً ثقافياً حول « الثقافة المغربية ومفهوم المعاصرة » ، وقد شارك في هذا اللقاء عدد كبير من الأساتذة والأدباء .

★ كتب جديدة ★

- « في ضوء القرآن والسنة » دراسة دينة للدكتور الهامي نقرة .
- « أصول التشريع الاسلامي » دراسة دينة نألف الهادي كرو .
- « الرخ يحول في الرقعة » مجموعة قصصية صدرت للاديب محمد صالح الجابري عن الدار العربية للكتاب .
- « مريمات بلاستيك » مجموعة قصصية للكاتب عبد الواحد إبراهيم .
- « قسمة وطرح » مجموعة قصص قصيرة للفاص أحمد الطويلي .

★ كتب جديدة ★

- « جراد البحر » مجموعة قصص قصيرة للاديب مرزاق بقطاش نظم خمس عشرة قصة .. صدرت له من قبل رواية بعنوان « طيور في الظهيرة » .
- « تاريخ الجزائر » دراسة للمؤرخ الاديب مجاهد مسعود ويقع الجزء الأول في ٤٤٠ صفحة .
- « تطور الشكل الشعري عند نزار قباني » دراسة موضوع رسالة جامعية للشاعر أحمد هويس .. صدر للدارس من قبل ديوان بعنوان « مواجه وإشارات » .

مهرجان عمر المختار

يقام في مدينة بنغازي مهرجان خاص بالقائد الليبي عمر المختار في مطلع ربيع الأول - فبراير (شباط) من العام القادم .. بشارك في المهرجان عدد من المفكرين والمؤرخين والباحثين العرب والأجانب .. ويقام في هذه المناسبة معرض يضم كتب عمر المختار وملابسه وسلاحه .

معرض الستين العربي الثالث

ينظم الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب «معرض الستين العربي الثالث» خلال شهر ربيع الأول - فبراير (شباط) القادم ، في العاصمة الليبية .. أقيم المعرض الأول في بغداد عام ١٩٧٤ م ، وأقيم المعرض الثاني عام ١٩٧٦ م في المغرب .

اللوحات المتجولة !

بقيم الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب في ليبيا ، معرضاً للفن التشكيلي ينتقل بعد ذلك إلى دول أوروبا في إطار التعريف بالفن العربي المعاصر .

★ كتب جديدة ★

- « نقطة نظام » لسعد مجر .
- « أشياء بسيطة » لعبد الله القوي .
- « الحيوانات » للصادق النيهوم .
- « معارك الغد » لأحمد إبراهيم الفقيه .
- « شخصيات ومواقف » للكاتب العراقي ماجد السامرائي .

الحلقة الثالثة لدول الجزيرة العربية والخليج

نعقد حالياً اجتماعات الحلقة الثالثة لمراكز الدراسات لدول الجزيرة العربية والخليج والتي نشارك فيها المملكة العربية السعودية واليمن والعراق والكويت والامارات العربية والبحرين وقطر .. وذلك في مدينة صنعاء .. نتركز الحلقة حول دراسة التراث اليمني .

أقيمت الحلقة الثانية في العام الماضي بالكويت لدراسة التراث الكويتي .

★ كتب جديدة ★

- « منها وإليها » ديوان جديد للشاعر اليمني محمد الشرفي ، وقد سبق أن صدر له قبل هذا ديوان آخر بعنوان « دموع الشراشف » .

★ كتب جديدة ★

- « أضواء النقد » دراسة وضعها مصطفى عوض الله بشارة ونشرها الدار السودانية للطباعة والنشر والنزيع .
- « كلام للحلوة » أشعار سودانية للشاعر السوداني هاشم صديق .

تكريم الشاعرة فدوى طوقان

أقام المجلس الأكاديمي في جامعة النجاح الوطنية في نابلس حفل تكريم للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان بمناسبة حصولها على جائزة الشاعرة الأولى في منظمة البحر المتوسط .

★ كتب جديدة ★

- « سبع وعشرون قصة » مجموعة قصص قصيرة اشترك فيها أربعة عشر قاصدا .. صدرت عن منشورات أفاق بالقدس .
- « الوحش » المجموعة القصصية الأولى للاديب محمد أيوب ، صدرت عن دار الكاتب ببيروت .
- « دراسات منهجية في النقد » دراسة للشاعر نعيم عرايدي ، صدرت عن مطبعة الناصرة .
- « الديوان الكامل » للشاعرة فدوى طوقان ويتضمن الأعمال التي نشرها متفرقة بعد ديوانها الأول « وحدي مع الأيام » .
- « أميرة الماء » مجموعة قصص قصيرة للكاتب صالح أبو أصبع .

حماية تراث القيروان

فرت المنظمة العربية للثقافة والعلوم الفياام بحملة لحماية تراث مدينة القيروان المغربية .. وقد تركزت الحملة على العناية بمجموعة مخطوطات القرآن الكريم المشوخة على الرق .

لغة

نص مجهول لدي سوسير :
... وللحركات ألوان

★ «الألف السوداء» ، والهمزة البيضاء ، والياء الحمراء ... ، هكذا «اخزع» ، الشاعر الفرنسي رامبو للحركات ألواناً بفضل حسه الشعري القوي . ولكن رامبو لم يكن وحده في هذه المناهة . فقد انشغل عدد كبير من علماء اللغة في القرن الماضي بهذا الداعي التلقائي الذي ينشأ بين الإحساسات المختلفة - Synesthésie -

ومن بين هؤلاء العلماء ، العالم النفساني السويسري **تيودور فلورنوي** - T. Flournoy - الذي أصدر سنة ١٨٩٣ م كتابه : «من ظواهر الاتفاقات الحسية» ، ولكنه يبدو أنه أكثر موضوعية من غيره . إذ عمد إلى استغلال استغناء قام به أحد تلاميذه ، ويتعلق «بالسماح الملون والتمثلات البصرية» ، وضمن نتائجه كتابه المذكور .

ومن بين الاجابات ، نغز على نص كامل واحد ، لا حذف فيه ولا نقصان . وإنه لمن الغريب أن يكون هذا النص لعالم لغوي كبير ، هو **فردينان دي سوسير** - F. De Saussure - الذي أحدث انقلاباً في علم اللغة الحديث بكتابه الذي نشره تلامذته بعد مسونه سنة ١٩١٦ م بعنوان «دروس الألسنية العامة» ، وقد تعرض دي سوسير في هذا النص إلى الأصوات : [En] و a و ou و i و e وكذلك الأصوات غير اللغوية كالضجيج . ونغز إلى الغاريه أهم الفقرات الواردة في النص :

«نحن بالفرنسية الصوت نفسه بأشكال مختلفة ، نحو : - chien - matin - plein - train - فإذا كتبت هذه الحركة - ain - فإنني أراها صفراء شاحبة كأنها آجرة سبغة الشاي . وعندما تكتب - ein - فإنني أشعر كأنها شبكة من الأوردة ذات لون ضارب إلى البنفسجي . أما عندما تكتب - in - فلا أعرف البنية أي لون تشره في ذهني ، وأميل إلى الاعتقاد أنها لا توحى في هذه الحالة ، بأي لون . وأخيراً ، إذا كتبت - en - (وذلك لا يحدث إلا عندما نكتبها - ا -) فإن مجموعة - ien - تذكرني ، نوعاً ما ، بخيوط القنب في تشابكها وهي لا تزال حديثة العهد . لم نتخذ بعد ، لون الحبل القديم الضارب إلى البياض .»

ويستنتج دي سوسير من ذلك أن الدافع إلى هذا الإحساس البصري المناسب لبس الحركة في حد ذاتها وإنما «نعتبرها الخطي» ، إنه الكيان الخيالي الذي ينشأ بفضل الداعي الأول للأفكار والذي يبدو لنا وكأنه بملك بدانة ما ، ولوناً ما ، وأحياناً شكلاً ما ورائحة ، أيضاً .

بتعبير آخر ، لا تتعلق هذه الخاصية اللونية وغيرها بالعنصر الصوتي وإنما بالشكل الخطي الذي أحوله تلقائياً . مواد . فالكانن المتشكل من :

حركة س
حرف ص

يختص بهيئة من الهيئات ومسحة وملمس .»

ثم يلاحظ أنه لا يدري إن كانت هذه التدايعات تبقى هي نفسها في اللغات الأخرى ويتخلص إلى الحديث عن الحركة - a - . فهي عنده «ضاربة إلى البياض وتقبل إلى الأصفر» ، وهي مادياً ، شيء صلب قليل البدانة ينكسر بأذن صدمة ، فكأنها ورفة (صفراء) لقدم عهدها) مندودة في إطار . أو هي باب دفين (من خشب مطلي بالبرنيق ، ظل على بياضه) ننوع أنه بفرقع لأذن ضربة مهما كانت خفيفة . أو هي فشرة بيضة مكسرة ، نواصل طفطفتها ضغطاً بين الأصابع . بل إنني أذهب إلى أكثر من ذلك : ففشرة بيضة نية هي - a - (لوناً ومادة) بينما فشرة بيضة مسلوقة ، لبست - a - ؛ فسبب شعورنا بوجود - e - بصيح الشيء مناسباً . زجاجة نافذة صفراء . هي أيضاً - a - بينما زجاجة نافذة عادية اللون . بضرب لمعانها إلى الزرقعة ، هي شيء معاكس تماماً لـ - a - على أن الحركة - a - التي لا تكتب - a - نحو - a - في - roi - . لا تشر في ذهني هذه الأفكار . اللهم إذا كتبت نفس الكلمة بشكل صوتي هكذا : - rwa -

ثم يتحدث عن - ou - فهي ذات لون بنفسجي سنجابي رائق أما - u - فهي فولاذية ذات لون أزرق داكن ، بينما - i - فضية اللون أو زرقية ، أما - e - (المغلقة) فهي كقطعة الخشب ذات اللون البني الفاتح . . ثم يشير إلى أنه لا يجد أي لون له رائحة وطعم ويتعرض في آخر النص إلى الأصوات غير اللغوية فيلاحظ أنه إذا كان لا بد من تحديد لون لها ، فإنه من الأيسر له أن يذكر اللون الذي لا نوحى به ، فبالنسبة له لا تملك ألواناً على جانب من الدقة إلا حركات الكلمات .

ولا شك أن هذا النص لا ينطوي على أي قيمة لغوية علمية ولكنه شهادة أخرى على مدى حساسية هذا الرجل اللغوية . وفدونه الفائقة على الوصف الدقيق ★

نور الدين عزيزة

المؤتمر (٢٠) لمنظمة اليونسكو

عقد في باريس المؤتمر رقم ٢٠ لمنظمة اليونسكو ، وقد ناقش المؤتمر الموضوعات الخاصة بشؤون التربية والتعليم والعلوم الطبيعية والاجتماعية ونظمتها التكنولوجية . . كما ناقش المؤتمر إمكانية التوسع في استخدام اللغة العربية كلغة عمل رسمية بالمنظمة ، وإقرار مشروع بشأن تبادل الممتلكات الثقافية وحمايتها .

مؤتمر علم المصريات

نقرر أن يعقد مؤتمر علم المصريات في مدينة جرينويل في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٩ م . لمناقشة فلسفة الإدارة المصرية القديمة وتحليل اللغة الهيروغليفية ورصد كامل للآثار المكتشفة والمنووع اكتشافها . . بشارك في المؤتمر ٢٦٥ أثريا من مختلف دول العالم .

معرض أميركي في باريس

افتتح معرض الفن التشكيلي الأمريكي الحديث في باريس . . وقد اختير ستة فنانين معاصرين لتمثيل الفن الأمريكي الحديث .

فنان فرنسي معاصر

ظهر في عالم الفن التشكيلي مؤخراً اسم الفنان «جان تاكس» ، بعد أن أقام معرضه الأول الذي يضم مائة لوحة ظل يرسمها على مدى سبعة عشر عاماً . . وجان تاكس يبلغ من العمر سنين عاماً .

معرض للخط العربي

أقيم للمرة الثانية في باريس معرض للخط العربي ضم حوالي ١٥٠ قطعة فنية يعود تاريخها إلى ٢٥٠ سنة للفنان محمد البياقي مكنوية بالخط الثلث المذهب وعفوف على الخشب .

وفاة مؤرخ الصوفية

توفي في باريس المستشرق الفرنسي هنري قريان المتخصص في دراسة التصوف ومؤلف كتاب «تاريخ الفلسفة الإسلامية» الذي ترجم إلى اللغة العربية .

★ أحدث الكتب ★

- «يد فوق إفريقيا» دراسة عن التمييز العنصري ومأساة الفارة الإفريقية ونزوحها للكاتب السباني جون زيفلر .
- «الحب في موسم الجفاف» رواية للأديب شيلبي قوت .
- «إلى الزنجيات» دراسة عن وضع المرأة الزنجية داخل المجتمع الأمريكي ، تأليف آوا تيام .
- «داخل المغرب» الكتاب الثالث للمستشرق جاك بيرك عن الحضارة العربية والإسلامية . . صدر له من قبل «مصر» و«العرب تاريخ ومستقبل» .
- «في بولونيا حيث لا مكان» ترجمة فرنسية لكتاب البولندي كازيمير رز برانديز .

★ أحدث الكتب ★

- «الوساد» للطبيب وعالم النبات العربي «ابن وافد» ٣٨٩ - ٤٦٧ هـ الموافق ١٠٠٨ - ١٠٧٤ م .. قام بتحفيظه وترجمته إلى الإسبانية المستشرق الإسباني الدكتور كاميللو الفارسي دي مورالسي .
- «الأدب التونسي المعاصر» و«الأدب العراقي المعاصر» دراستان للمستشفة الإسبانية «كارمن رويث» .. كما نعد دراسة عن «الأدب اللبناني المعاصر» وتقوم بترجمة أعمال «أمين الرحباني» .
- «ارتدادات في الأدب العربي الجديد» و«مقالات هامشية في الاستعراب» دراستان للمستشرق الإسباني بدرو مارتين مونتياث .

مؤتمر تاريخ الفن الإيراني

عقد في طهران المؤتمر الأول لتاريخ الفن الإيراني وفد ألفت مجموعة من الدراسات والأبحاث العالمية نشرت في مجلد خاص .. وفد نفذت د . نعمت إسماعيل أسناده تاريخ الفن بجامعة حلوان يبحث عن «رسوم المرأة في التصوير الاسلامي» .

مهرجان عالمي للأفلام التربوية

أقيم في طهران المهرجان العالمي الخامس عشر للأفلام التربوية .. وفد شاركت فيه وزارات التربية والتعليم في معظم البلاد العربية .

★ كتب جديدة ★

- «الطريق الجديد» دراسة تربوية وتعليمية لحسين كاظم زاده .
- «تاريخ الدستور الإيراني» الطبعة الرابعة عشرة لكتاب الدكتور أحمد كسروي .
- «أسرار في قلب التاريخ» حول شاعرية الشاه إسماعيل ودبوانه ، دراسة بقلم فيروز منصوري .
- «السجاد الإيراني» تأليف الكاتب الإيراني به آذين .
- «تطور علم اللغة» دراسة لعروض الخليل بن أحمد بقلم كامار ريج .

شخصية عالمية

اسحق نيوتن

(١٦٤٣ - ١٧٠١ م)

- فيزيقي إنجليزي .
- عين أسناده بجامعة كيمبردج (١٦٦٩ - ١٧٠١ م) .
- استطاع خلال تجاربه على الضوء تحليل الضوء العادي إلى ألوان الطيف المعروفة بوساطة المنشور الزجاجي ، كما أمكنه تجميع ألوان الطيف إلى اللون الأبيض ، والتوفيق بين النظرية الجسيمية والنظرية الموجية لتفسير ظواهر الضوء المختلفة .
- اخترع الموقد ذا المرأة العاكسة .
- وضع قانون الجاذبية العام وقوانين الحركة التي تلخص في : (١) يظل الجسم في حالة سكون أو حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية .. (٢) يتناسب التغير في كمية الحركة مع القوة المسببة لها وتأخذ نفس اتجاهها .. (٣) لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ويضاده في الاتجاه .
- ونعتبر هذه القوانين الثلاثة وقانون الجاذبية العام الأسس الأولى لعلم الديناميكا .
- اختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بإنجلترا تقديراً لأعماله .

- «المقامرة الذرية» دراسة عن الطاقة بقلم فيليب لورون .

- «التهديد الصناعي الكبير» تشخيص لأمراض التصنيع في فرنسا ، بقلم كلمان لوني .

- «فرنسا الهادرة» ديوان نماذج مخنارة من أشعار المرحلة الرومانسية ، جمعها وقدم لها جان - لوك شتاين .

- «الإنسان مطروحا للنقاش» أحدث مسرحية للكاتب أوجين يونسكو .

- «الحياة ليست قصة» رواية للكاتبة كلير جالوا .

- «أضواء عربية على الغرب» في العصور الوسطى ، دراسة للمستشرق أندريه سيكال بالاشتراك مع توفيق فهد .

- «لوحة العناصر» مجموعة شعرية للشاعر البولندي شارل دويزنسكي .

اسبانيا

من وحي إسبانيا

افتتح في مدريد معرض للفنانين المصريين الذين استبحوا أعماقهم الفنية من الحياة الإسبانية - عاداتها وتقاليدها وطبيعتها - اشترك في المعرض : عبد الرحمن النشار وزكريا الزيني وفرغلي عبد الحفيظ ومحمد رياض سعيد وأحمد نبيل ومصطفى عبد المعطي وأحمد نوار .

جائزة الرسم الكبرى

منح نادي الفنون الجميلة بمدريد جائزته السنوية الكبرى في الرسم (مليون بسبا) للرسام خوليان كسادو عن لوحته المسماة «مكان للمصالحة بين الأضداد» .

دائرة المعارف الإسبانية

صدرت الطبعة الجديدة من دائرة معارف «إسبانيا كالبية» ومن بين الإضافات في هذه الطبعة ، صفحة كاملة عن فنان الباسنيل المصري «محمد صبري» .

مؤتمر عالمي لكتاب برشلونة

أقام كتاب برشلونة مؤتمراً خاصاً ، تحول إلى مؤتمر عالمي بدعوة عدد من الكتاب والأدباء العالميين الذين ناقشوا مشاكل الكتاب والكتب في إسبانيا بشكل خاص وفي العالم بشكل عام .

معرض للمخطوطات العربية

المعهد الإسباني العربي للثقافة بنظم معرضاً للمخطوطات العربية الموجودة في الخزائن الملكية لاسكوريال وذلك بالمركز الثقافي بمدينة مدريد .

المعرض يحتوي على ٤٢ لوحة ملونة من مختلف الأحجام لصفحة أو صفحتين من كل مخطوطة .. وهذه اللوحات تمثل أنواعاً مختلفة من المعارف الإنسانية في السطرب .. والنحو .. والأدب .. والجغرافيا .. والتاريخ .. والفلسفة .. ونسخاً من كتاب «قاموس المحيط» ، وكتاب «تهافت الفلاسفة» ، وكتب في الطب لابن سينا .. وابن رشد .. والرازي .. والبيطري .



بيليه



جان بيرك



أمين الريحاني



يول كلي

« بيليه » كيف كان يعامل الكرة كأحد أصدقائه موضحاً أن الكرة فن قبل أن تكون رياضة . . وقد استقبل كتاب « الجوهرة السوداء » استقبالا نقدياً وجامعياً رائعاً .



المؤتمر التاسع للفنون التشكيلية

عقد في روما المؤتمر السنوي التاسع للفنون التشكيلية ، شارك فيه مئة رسام من معظم العواصم الأوروبية .

وفاة الروائي سيلوني

توفي الكاتب الروائي إيجنازيو سيلوني في جنيف ، وهو مؤلف روايتي « تحت الثلج » و « باب النجاة » عن ٧٨ عاماً .

مورافيا يقدم بيسسو

قامت دار « انبودي » الإيطالية للنشر بترجمة غنايات من أشعار الشاعر الفلسطيني معين بيسسو إلى اللغة الإيطالية تحت عنوان « العزلة » . قدم المجموعة الكاتب الإيطالي البرتو مورافيا الذي أهدى مقدمته لكفاح الشعب الفلسطيني .

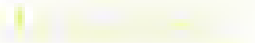
● « مقدمة لعلم الاجتماع » تأليف الدكتور محمد حسين فرجاد ، إصدار دار بوعلمي للنشر يقع في ٢٤٥ صفحة .

● « تألف الروح والحياة » ترجمة لكتاب حسين كاظم زاده ، وضعها الدكتور أمير عباس مجذوب صفا .

● « تاريخ بوسيا » تأليف بهروز أنام ، إصدار (دار علم) .

● « نشيب مع الظما » ديوان للشاعرة كبرا سعيدي (شهرزاد) .

● « المنتدى » مجلة دراسات فصلية صدر منها العدد الأول عن المركز الثقافي الإبراهيمي بالقاهرة يرأس تحريرها الدكتور نور الدين آل علي ، ويشرف على التحرير مجبى الخشاب .



فنون كرة القدم

أصدر لاعب كرة القدم البرازيلي بيليه كتاباً حول « فنون لعبة كرة القدم » أشرح فيه كيفية التحكم بالكرة والسيطرة على أرض الملعب بالعقل قبل القدم . . وبين

تحت مظللة من بيت الشعر

أول ديسمبر

١٩٣٦ وفاة الكاتب المسرحي بيراندللو (طالع مولده في العدد ١٣ من هذا المجلد) .

٢ ديسمبر

١٩١٨ وفاة الأديب إدموند روستاد .

٣ ديسمبر

١٨٩٤ وفاة الأديب روبرت لويس ستيفسون (طالع مولده في العدد ١٨ من هذا المجلد) .

٤ ديسمبر

١٦٧٩ وفاة الفيلسوف نوماس هوبز .
١٧٩٥ مولد الكاتب نوماس كارليل .
١٨٣٥ مولد الشاعر صمويل نيلز .
١٨٧٥ مولد الشاعر ويلكة (طالع تاريخ وفاته في هذا المجلد) .

١٨٩٣ مولد الأديب هيربرت ويد .

٥ ديسمبر

١٧٩١ وفاة الموسيقار موزار .
١٨٧٠ وفاة الأديب الكسندر دوماس - الأب (طالع تاريخ مولده في العدد ١٤ من هذا المجلد) .
١٩٠١ مولد الفنان والت دبرني (طالع تاريخ وفاته في هذا المجلد) .

٨ ديسمبر

١٦٥٠ م. مولد الشاعر هوراس .

١٠ ديسمبر

١٨٣٠ مولد الشاعرة إميلي ديكنسون .

١٨٩٦ وفاة الفريد نوبل (طالع تاريخ مولده في العدد ١٧ من هذا المجلد) .

١١ ديسمبر

١٨٠٣ مولد الموسيقار بوليزو .

١٨١٠ مولد الأديب الفرد دو موييه .

١٢ ديسمبر

١٨٢١ مولد الأديب جوستاف هلدنر .

١٩٢٩ مولد الكاتب المسرحي جون أوزبورن .

١٥ ديسمبر

١٧٣٤ مولد المصور جورج روني (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٨ من هذا المجلد) .

١٩٦٦ وفاة الفنان والت دبرني .

١٦ ديسمبر

١٧٧٠ مولد الموسيقار بنهوفن .

١٨٦٣ مولد الكاتب ريج سانتيا (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذا المجلد) .

١٩٦٥ وفاة الأديب سومرست مو .

١٧ ديسمبر

١٨٩٧ وفاة الأديب ألفويس دوديه .

١٨ ديسمبر

١٨٧٩ مولد المصور يول كلي (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٣ من هذا المجلد) .

١٩ ديسمبر

١٨٤٨ وفاة الأديبة إميلي بروني (طالع تاريخ مولدها في العدد ١٤ من هذا المجلد) .

٢٠ ديسمبر

١٩٦٨ وفاة الأديب جون شتاينبك .

٢٢ ديسمبر

١٨٨٠ وفاة الأديب جورج إليوت (طالع تاريخ مولده في العدد ١٨ من هذا المجلد) .

٢٤ ديسمبر

١٥٢٤ وفاة المكتشف فلنكر دي جما .

٢٥ ديسمبر

١٦٤٢ مولد العالم اسحق نيوتن (طالع شخصية علمية في هذا العدد) .

٢٧ ديسمبر

١٨٢٢ مولد العالم لوي باستنر (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذا المجلد) .

٢٩ ديسمبر

١٩٢٦ وفاة الشاعر ويلكة .

٣٠ ديسمبر

١٩٤٤ وفاة الأديب رومان رولان .



جورجي ماركوف



هيتشوك

★ أحدث الكتب ★

- «استخدام الكتابة في حفظ الشعر العربي القديم» دراسة للمستشرق الألماني كرنكو... سين له أن قام بشرح ديوان ابن السكيت ومزاحم العقيلي.
- «القضية» رواية عن القضية الفلسطينية للكاتب الروائي فولفغانج هيلد.

كامبوا

* قضاء يوم خارج المدينة... رؤيا بريشة الفنان الباكستاني: منصور أبي، وفيها نلاحظ تأثره بالفن الفارسي القديم من حيث الطابع... والشكل ومعالجة الموضوع *



معالم السعودية الأثرية في صور

صرحت البعثة الأثرية البريطانية التي تزور حالياً المملكة العربية السعودية بأنها قد النفطت صوراً ملونة لأهم معالم السعودية الأثرية لتتقلها في لوحات تعرض في مكاتب لندن.

دائرة المعارف باللغة العربية

نصدر في عام ١٩٨١ م، الطبعة الأولى من دائرة المعارف البريطانية باللغة العربية، ثم تصدر بصفة دورية بعد ذلك. وقد كلفت جامعة أكسفورد المشرفة على المشروع عدداً من أساتذة الجامعات العرب بالإشراف على ترجمة وإصدار الطبعة العربية.

اغتيال جورجي ماركوف

اغتيال في حادث غامض بلندن الكاتب البلغاري جورجي ماركوف (٤٩ سنة).

★ كتب جديدة ★

● «دوستوفسكي... حياته وأعماله» دراسة نقدية بقلم رونالد هينجلي عن الكاتب الذي اشهر برواياته «الإخوة كارامازوف» و«الجريمة والعقاب» والذي ولد عام ١٨٢١ م، وتوفي عام ١٨٨١ م.

● «هيتشكوك... حياته وأعماله» دراسة نقدية تأليف الناقد السبتي راسل تيلور.

● «الألمان قادمون» كتاب تاريخي صدر في لندن من تأليف فورمان روز يتحدث فيها عن الفترة التي سفت قيام الحرب العالمية الثانية.

معرض مشترك للفنون العربية

افتتح في مدينة رولاند إيك أضخم معرض للفنون العربية خارج الوطن العربي، يضم المعرض ٢٠٠ لوحة لـ ١٨ فناناً يمثلون ١٥ دولة عربية.

مؤتمر عن مصر القديمة

عقد في العاصمة الألمانية المؤتمر الثاني عن مصر القديمة في العصرين الروماني والبيزنطي... وقد مثل مصر في المؤتمر د. فوزي الفخراني واشترك في المؤتمر عدد من العلماء من أمريكا وألمانيا وبلجيكا والنمسا وفرنسا والمجر وإيطاليا وهولندا وسويسرا.

معرض للفن السريالي

أقيم بمدينة دوسلدورف معرض للوحات الفنية الحديثة التي تنتمي إلى السريالية... وقد ضم المعرض ٦٦ لوحة لأكثر من عشرين فناناً.

●● الشعر لا يتفصل عن تاريخ الأدب ولا عن تاريخ البشر ،
فالشاعر هو التعبير عن عصره ومعاصريه .

روبير ساباتييه
فرنسا

●● نستطيع حركة الاستشراق أن نوصل ما انقطع بين الحضارتين
العربية والغربية ، بعد أن توقفت معظم الدراسات عند تاريخ انتهاء الوجود
العربي في إسبانيا .

كارمن رويث بربابو
إسبانيا

●● ما ينبغي للكاتب تجنبه هو أن يصبح رهينة المجموعات الحزبية ،
وعلى العكس . ففي الوحدة تكمن قوة الأدب الفكرية ، أما وظيفة الأدب
التربوية ، والتي تكمن في الحكم والتجارب والأخلاقيات ، فتعتبر أمراً ثانوياً
ولكنه أمر ضروري في الوقت نفسه .

ارنست يونجر
ألمانيا

●● إن كتاب « ألف ليلة وليلة » العربي يعبر عن القدرة العربية الخائنة على
مقاربة الخيال الأدبي بكثير من الحس الطبيعي المطلق الذي ربما لا يوجد من
يملك أسواره غير العرب .

جابريل ماركيز
كولومبيا

شكسبير في الصين

قامت دائرة الأدب الشعبي للنشر بترجمة أعمال الكاتب الإنجليزي ولم شكسبير إلى
اللغة الصينية ضمنها في ١١ مجلداً .

وفاة كاتب بلجيكي

عن سبعين عاماً توفي الكاتب البلجيكي « جوهان داسن » إثر نوبة قلبية حادة . .
ويعد داسن من الكتاب المعاصرين البارزين الذين عرفوا بغزارة إنتاجهم الأدبي . . فله عدد
كبير من الروايات ، والدواوين ، والمسرحيات ، والمفالات .
والمعروف أن داسن كان قد حصل على جائزة الأدب من ألمانيا الاتحادية وهولندا .
وقد ولد عام ١٩١٢ م ، وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد ، وقد شغل منصب مدير
المكتبة القومية ، وكان عضواً في الأكاديمية الملكية للغة والأدب في بلجيكا .

كاريكاتير

- ولد في ١٣ ديسمبر ١٩٣٥ م ، بمدينة نيويورك .
- تخرج في جامعة كولومبيا عام ١٩٥١ م .
- انتقل إلى باريس وأقام فيها مسرحه عام ١٩٥٨ م .
- عاد إلى نيويورك عام ١٩٦٤ م ، ليعمل مدرساً بكلية الفنون
الجميلة .
- عين أستاذاً لتاريخ الفن بجامعة براون .
- بدأ رسوماته الكاريكاتيرية بمجلتي « إسكوير » و « نيويورك ركر » .
- ساهم برسوماته بعد ذلك في مجلات « نيويورك ناسيز » و « باري
ماتش » و « هاريز ماجازين » و « ساترداي ريفيو » .
- أصدر كتابين عن الأطفال : « لا نتحدث إلى الدببة التي لا نعرفها »
عام ١٩٦٩ م ، و « خلف الموقد » عام ١٩٧٢ م .
- و « كورين » ليس فناناً كاريكاتيرياً فحسب . رغم غيظه في هذا
الفن . ولكنه منال . أيضاً . . وقد اهتم في الفن معاً بالحيوان مجرداً ،
وبه وقد بلغ مرئيه الإنسان ، كما اهتم بالإنسان وقد هبط إلى مرئيه
الحيوان ليعيده إلى إنسانيته أو ليذكره بها على أقل تقدير .
- وهذان الرحمان يبينان تلك العلاقة الكاريكاتيرية بين الإنسان
والحيوان وريؤية « كورين » الخاصة . . بعلق على الرسم الأول بهذه
العبارة : « نحن نصفق للموهبة أباً كان مظهرها » . . ويعلق على
الرسم الثاني بهذه العبارة : « اليوم هو عيد ميلادها الألف » .
- ورغم أن رسومات « كورين » الكاريكاتيرية لا تحتاج إلى تعليقات
إلا أنه بفضل كتابة تلك التعليقات ، ربما لأنه أستاذ فن أيضاً .



كورين
KOREN



« نحن نصفق للموهبة أباً كان مظهرها »

« اليوم هو عيد ميلادها الألف »

تعريب المصطلحات الحديثة



بقلم : عيسى الناعوري

المصطلحات العلمية والتقنية . وكان هذا العمل جديراً بالشناء والتقدير الكبيرين .

وقام في القاهرة بعد ذلك مجمع فؤاد الأول (مجمع اللغة العربية اليوم) ، ومضى بدوره يعمل في تعريب المصطلحات الحديثة ، ونجح في تعريب أكثر من مئة ألف مصطلح ، أصدرها في ثمانية عشر مجلداً حتى الآن ، وأدخل بعضها في (المعجم الوسيط) ، وسيظهر الكثير منها في (المعجم الكبير) الذي يمضي المجمع الآن في إصداره منذ سنوات ، ولما يفرغ منه . وما يزال المجمع ماضياً في عمله ، يضع في كل سنة مئات جديدة من المصطلحات العربية الجديدة .

وفي المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، في الرباط ، قام المدير العام للمكتب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، والأستاذ محمود حقي ، بوضع عشرات من المعاجم ، بالفرنسية والإنجليزية والعربية ، ونشر الكثير منها في مجلة (اللسان العربي) ؛ وتشمل هذه المعاجم العديد من وجوه الحياة العلمية والعملية .

ويعكف مجمع اللغة العربية الأردني الآن على تعريب المصطلحات الأجنبية التي ما تزال دارجة في مختلف الدوائر والمؤسسات الحكومية والأهلية . وليس من شك في أن جهوده هذه ستضيف إلى جهود المجمع الشقيقة ومكتب تنسيق التعريب ، دعماً جديداً في مجال نهضة اللغة العربية ، ومحاولة الوصول بها إلى حيث تصبح في القريب العاجل لغة للعلم ، تقف إلى جانب لغات العصر الكبرى .

وإلى جهود المجمع والجامعات ومكتب تنسيق التعريب ، تقوم الجامعة العربية ، بمنظمتها المختلفة ، بالمشاركة المرموقة في حقل

منذ أن قام المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية اليوم) في دمشق ، عند دخول جيش الثورة العربية إليها بقياد الملك فيصل بن الحسين ، سنة ١٩١٨ م ، وتأسيس الدولة العربية هناك ، على إثر خروج الحكم العثماني ، وكان اسم المجمع يومئذ (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) ، انصرف همه وهم الحكومة العربية الجديدة معه إلى تعريب الإدارة ، والتعليم ، والأمن ، والجيش ، ودواوين الحكومة ، واحلال العربية هناك محل التركية ، التي كانت هي اللغة الرسمية في البلاد .

وبدأت حركة التعريب ، ونقل المصطلحات التركية إلى العربية . ثم جاءت الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) ، وآلت على نفسها أن تكون العربية لغة التعليم فيها ، من طب وهندسة وسواهما ، لا التركية ، ولا الفرنسية من بعدها . وكانت جامعة دمشق أسبق الجامعات العربية إلى هذه الخطوة القومية الرائعة ، وما تزال كذلك إلى اليوم .

وتضافرت جهود المجمع والجامعة في حركة تعريب واسعة جاهدة ، كان من ورائها الاخلاص للعربية وللعروية ، والحرص على أن تكون النهضة القومية الحديثة مرتكزة على نهضة اللغة أولاً . ونجحت جامعة دمشق ونجح مجمع دمشق في تعريب ألوف عديدة من

التعريب ، في مجالات النقل ، والحاسبات الإلكترونية ، ورموز المواصفات والمقاييس ، والمصطلحات العسكرية ، وغيرها .

وهناك جهود أخرى كبيرة على الصعيد الفردي ، لا ينسج المجال لتعدادها ، تساهم في نشر المعاجم العلمية والتقنية المختلفة والكبيرة الأهمية ، حتى أصبح لدينا الآن عشرات من المعاجم الحديثة ، تمتلئ صفحاتها الكبيرة والكثيرة جداً ، بمئات الألوف من المصطلحات الجديدة . ولكنها ، رغم ذلك ، ما تزال بعيدة جداً عن تحقيق الغاية .

هذه الجهود الواسعة الجاهدة والدائبة إنما دفعت إليها حاجة اللغة العربية إلى مسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم . وهي حاجة ملحة وقاهرة : فلقد بلغنا من فقر اللغة حداً تحول معه الكلام على لسان العامل العربي ، وعلى قلم الكاتب العربي ، وفي التعامل اليومي بين العرب ، إلى شبه رطانة غريبة ، يمتزج فيها الكلام العربي بالكلام الأجنبي ، لأن العربية تفتقر كثيراً جداً إلى المصطلحات الحديثة المعبرة عن الأدوات والأجهزة والمعدات التي يستعملها الناس في واقعهم اليومي والعمل ، فلا بد إذن من ادخال المصطلحات الأجنبية في الحديث بين الكلمات العربية ؛ وليس هذا في مجال التكنولوجيا والعلوم العملية فحسب ، بل في مجالات العلوم النظرية كذلك ، وفي المذاهب الأدبية والدراسات الإنسانية .

ولهذا كان لا بد للغيورين على سلامة اللغة العربية من العمل الجاهد والسريع على سد الحاجة وملء الفراغ ، بوضع مصطلحات عربية تحل محل الرطانة الأجنبية التي تفسد على العربي لسانه .

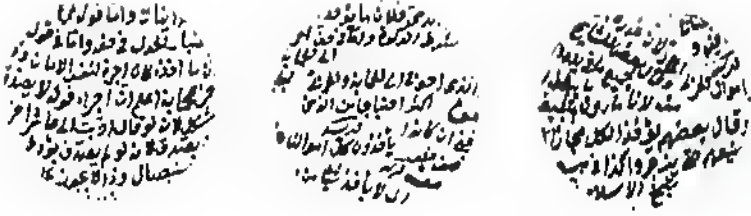
ولكن هذا كان لا بد فيه من محاذير مؤسفة ، فقد أصبحت لدينا (لغات) عربية متعددة بدل اللغة الواحدة : لغة مصرية ، ولغة سورية ، ولغة عراقية ، ولغة مغربية ، وهكذا .

وطبيعي جداً أن تقع مثل هذه الفوضى في غياب التنسيق والتوحيد . ذلك أن السياسات العربية ما تزال متفرقة متباعدة ، ومثلها التربية والتعليم في البلاد العربية ، ومثلها كذلك كل شيء آخر . وكان لا بد لهذا من أن يخلع ظله حتى على عملية التعريب ، فأصبح هنالك ضروب من التعصب في كل بلد عربي للمصطلحات الحديثة التي وضعها أهله . وقل أن نجد

مصطلحات تتفق عليها البلاد العربية كلها . ولهذا أيضاً أصبحت هنالك ازدواجية ، وازدواجية مركبة - إن جاز القول - في العمل التعريبي ، بحيث تقوم في بلدان عربية متعددة عمليات تكرار لتعريب ما سبق تعريبه في بلد عربي آخر . وهذا أيضاً طبعي - وإن يكن لوناً من ألوان الفوضى في العمل العربي - لعدم اطلاع كل جهة عاملة في التعريب على ما قامت به الجهات الأخرى في الوطن العربي . ويخفى أن تستمر هذه التكرارات المؤسفة إلى أمد طويل . فلا بد من قيام جهود مخلص للتنسيق ، ولتوحيد الجهود التي ما تزال مبعثرة ، لأن مثل هذه البعثرة تعوق نهضة اللغة ، وقد تؤدي إلى مزيد من بعثرة اللغة نفسها .

أما الأسس التي تقوم عليها عملية التعريب فتعددة : فهناك الاشتقاق اللغوي ، والنحت ، والقياس ؛ وهناك التعريب ، بمعنى تحويل اللفظ الأجنبي بعض الشيء ليناسب اللفظ العربي ، ولتنطبق عليه قواعد الاعراب . وهذه الأسس كانت في القيم ، ولا تزال إلى اليوم .

ولا يعيب أية لغة في الدنيا أن تستعير من سواها لتزيد في غناها ، ما دام يمكن للمصطلح المستعار أن يخضع لقواعد اللغة ويطاوعها . ولقد كان العرب القدماء واعين لهذا ، ومنفتحي القلوب والصدور له حينما لم يجدوا غضاضة في استعارة الألوف من الألفاظ من لغات الأعاجم واغناء لغتهم بها ، حتى ورد بعضها في القرآن الكريم - فة البيان العربي - وفي الشعر الجاهلي والاسلامي . وحين أخذ العرب يشاركون مشاركة فعلية في صنع الحضارة ، وفي ازدهار العلم ، أخذوا يفرضون مصطلحات علمية جديدة من عندهم . ولو أن العرب اليوم يشاركون فعلاً في صنع الحضارة ، وفي الاختراعات العلمية وصناعات العصر ، لكان لهم هم أيضاً مصطلحات جديدة من صلب لغتهم ، يغنون بها لغات العالم الحديث .



نستعير ، ونستعير الكثير جداً ، ودون حدود ، لكي نلحق بالركب العالمي المنقطع دون توقف .

حتى في العلوم النظرية ، وفي حقول الإنسانيات المختلفة ، ما تزال لغتنا بحاجة ماسة إلى المصطلحات الجديدة التي استحدثت ، وما تزال تستحدث في هذا العصر .

هذه الحقيقة الهائلة تجعلنا نرى مدى الفجوة الكبيرة جداً بين لغتنا العربية واللغات الغربية التي تزداد غنى كل يوم ، بما يضاف إليها من مصطلحات علمية وتكنولوجية جديدة . وهذا يضطرنا إلى توسيع الجهود في حقل التعريب ، وإلى جانب التعريب الاكثار من الترجمات العلمية ، لأجل اغناء لغتنا ونهضتنا الثقافية بالأفكار العلمية ؛ فالترجمة هي التطبيق العملي للمصطلحات المعربة ، وهي الوسيلة العملية لتحقيق نهضة علمية عربية .

إننا اليوم في سباق عنيف مع الزمن ، ومع العلم والتكنولوجيا . وقد سبقنا الزمن كثيراً جداً في اختراعات أهله وعلومهم وتقنياتهم . والغرب المتقدم في علومه وتكنولوجياه لا يترك وسيلة لاغناء لغاته بالمصطلحات الحديثة : يشتقها من اللاتينية واليونانية ، أو يخترع لها ألفاظاً من لغاته ، أو قد يطلق عليها أسماء المخترعين والباحثين ، فتصبح هذه الأسماء مصطلحات علمية . ولا شك في أن الاشتقاق من اللاتينية واليونانية هو وسيلة كبيرة الأهمية للتقريب بين اللغات الغربية ، وتعميم المصطلحات فيها جميعاً ، بحيث تكاد لغة العلم تكون واحدة في لغات الغرب المتقدم علمياً وتكنولوجياً : فهي في الروسية مثلها في الألمانية ، وفي الانكليزية مثلها في الفرنسية ، وفي الإيطالية مثلها في الإسبانية ، وفي المجرية مثلها في البولونية ، وفي السويدية مثلها في الدانمركية ، وهكذا ، مع تحريفات بسيطة لمناسبة اللفظ في كل واحدة من هذه اللغات .

وأنا أعتقد أن من الممكن - بل من المستحسن في يقيني - أن نقارب نحن أيضاً في لغة العلم بين لغتنا العربية واللغات العلمية العالمية الأخرى ، عن طريق الاكثار من استعارة المصطلحات الحضارية الحديثة التي لا أصول لها في العربية ، مثلما فعل أجدادنا من قبل ، وذلك بتحريفها لتتناسب مع قواعد لغتنا ، مع بقاء شيء من لفظها مشتركاً مع اللغات الأخرى . وفي هذا اغناء كبير للغتنا ، وخروج بها إلى نطاق العالمية التي لا يد منها لتأخذ لغتنا مكانها من عالم القرن العشرين وما يليه .

وينبغي الحد من الاجتهادات الفردية التي لا تقوم على التخصص ، بحيث لا يجوز لشخص غير متخصص في مادة علمية أن يضرب في صنوف التعريب في كل الاتجاهات - كما يفعل البعض الآن - فهذا مضیعة للوقت ، ومدعاة إلى عدم الثقة في العمل المعرب .

إن التخصص أولاً ، والتنسيق ثانياً ، والتوحيد ثالثاً ، هي عمليات ضرورية وملحة جداً ، وتقضيها المصلحة القومية . وإذا لم يتم هذا ، فستظل الفوضى مستمرة ، وسيصبح لنا عدة لغات علمية عربية بدل اللغة الواحدة . وهذه البعثة اللغوية هي أدهى على الأمة من بعثة الجهود والاتجاهات السياسية : فحين تسوء السياسة ، يظل من الممكن ومن السهل اصلاحها ، وحين يستشري الفساد في اللغة القومية ، لا يعود من الممكن اصلاحها .

وإذا كان في الطائفة الواحدة - كما يقول الصديق الدكتور إبراهيم بدران - أكثر من ثلاثين ألف قطعة ، ما بين كبيرة وصغيرة ودقيقة جداً ، وكان لكل قطعة اسم خاص بها في اللغات الأجنبية ؛ ولتصور كم في الأجهزة الإلكترونية ، وفي الآلات الصناعية ، حتى في أجهزة الترانزستور الصغيرة ، والحاسبات الصغيرة جداً ، إضافة إلى صناعات الفضاء العجيبة الدقيقة ، من القطع الكبيرة والصغيرة ، وكل منها ينفرد باسم خاص به . وأسماء الأدوية ، والمصطلحات الكيماوية ، ومصطلحات الفيزياء الماضية في التطور والتغير ، وكلها ليس لها أسماء في اللغة العربية ، ومن المستحيل أن نبحث لكل ذلك عن مقابلات عربية بالرجوع إلى قواميس اللغة القديمة المحدودة لكي نشق منها أو ننحت . وحتم علينا أن

التفسير الإعلامي للأدب

بقلم : د. عبد العزيز شرف

فأساس التفسير الإعلامي إذن يشمل في الجوهر الاتصال بالآدب ، ذلك أن معظم خصائص العقل البشري التي تميزه عن غيره ترجع - كما يقول ريتشارد - إلى كونه أداة للاتصال ، «حقا إن التجربة لا بد أن يتم تكوينها قبل أن يبدأ توصيلها ، غير أن التجربة عادة تأخذ شكلها المألوف لأن وجوب توصيلها أمر عمنل الوقوع ، ولقد جعل قانون الانتفاء الطبيعي القدرة على الاتصال لدى الإنسان عاملا ذا أهمية بالغة ، . وأهمية الاتصال ، أكثر ما تكون في ميدان الفنون ، ففي الفنون تظهر عملية التوصيل في أسمى صورها . ولا شك أن أكثر المسائل الفنية صعوبة وأشدّها تعقيدا ستنتضح لنا طبيعته في الحال إن نظرنا إليه من ناحية عامل التوصيل»

الاتصال أساس التفسير الاعلامي

وبدءة يحتاج الاصطلاحان : «اتصال واتصالات» إلى اوضح . «فالاتصال» ببساطة هو عملية الاتصال ، والاتصالات هي الوسائل التكنولوجية المستخدمة لتنفيذ هذه العملية . والاتصال - إذن - هو حقيقة أساسية للوجود الإنساني والعملية الاجتماعية ، والاتصالات تمثل شتى الطرق التي يؤثر بها شخص في شخص آخر أو يتأثر بها ، وقد نكون هذه الطرق مباشرة وشخصية مثلما ينشد الشاعر العربي شعره في سوق عكاظ مثلا ، أو غير مباشرة ولا شخصية عندما يتوسل الأدب بالصحيفة أو التليفزيون لنقل رسالته الإبداعية . فالاتصال - كما يقول ويفرز وزميله في كتاب «وسائل الاعلام والمجتمع الحديث» هو حامل العملية الاجتماعية ، وهو الذي يجعل التفاعل بين الجنس البشري ممكناً ، ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية . ويرى «ادوارد سابير» أن هناك فرقا بين الاتصال والاتصالات . فالفرق - في رأيه - يعني ما يسميه بالعمليات الأولية أي السلوك الشعوري واللاشعوري الذي يقوم به الاتصال . وعنده أن العمليات الأربع هي : «اللغة ، والايحاء بأوسع المعاني ، الكلمة ، وتقليد السلوك الظاهري للآخرين ، بالإضافة إلى مجموعة كبير يمكن أن تسمى بشكل غامض : بالايحاء الاجتماعي ، وهو يستخدم الجمع «الاتصالات» للدلالة على ما يطلق عليه الوسائل الثانوية ، وهي الأدوات ، والنظم التي تساعد على القيام بالاتصال . ويرى سابير أن التفرقة بين اللفظين لها أهميتها التاريخية والاجتماعية ، ذلك أن البشرية كلها قد منحت العمليات الأولية : كاللغة ، والايحاء ، وتقليد السلوك والايحاء الاجتماعي ، على أن

إن الانجذابات النقدية التي نصطليح بصيغة قضائية كما يقول «جون ديوي» قد أفسدت مفهوم «النقد» نفسه . . . ذلك أن الحكم النهائي الحاسم بقلن السبيل أمام نجدد الطبيعة البشرية ، وعلى العكس من ذلك الحكم الذي ينمو ويتطور في مضمار الفكر ، كادراك واع قد تحقق بِنفاذ وعمق .

ولا شك أن الأدب والفن بوجه عام - كما يقرر تولستوي - هو إحدى وسائل الاتصال بين الناس . ومن هنا فإن تفسير الأدب يحتاج إلى مناهج أخرى غير تلك التي تصطليح بصيغة قضائية . فشهد القرن العشرون انقلابا شديداً على الطريقة «التبعية» التي ولدت على أيدي «سانت بوف» و«تين» و«لانسون» في القرن الماضي ، وبلغ قبا - كما يقول «البريس» تحت تأثير النزعة الألمانية : نقد وتحقيق النصوص ، دراسة التحريقات الطارئة على النص ، تفسير الأثر الأدبي بسيرة حياة الكاتب وبيئته وجيله الأدبي ، ولم تلبث دوجانية الذوق أن تراجعت في مطلع القرن العشرين أمام معنى النسبية والتواضع ، وققد النقد ادعاءه السطوولي الباطل في الشرح ، على حد تعبير «البريس» ، واتجه حثباً إلى تفسير الآثار الأدبية بواسطة التحليل الداخلي الذي تدعمه جميع المناهج الخارجية وهو الأمر الذي يسعى حديثاً وبشكل علمي : منهج التفسير الاعلامي للآدب . . يهدف مقاومة الطلاق الذي يهدد بالظهور لا بين الكاتب والناقد وحدهما ، بل بينها وبين القارئ أيضاً .

التفسير الاعلامي وطبيعة الأدب

والتفسير الإعلامي يقوم على أساس فهم طبيعة الأدب : وانها تقوم في جوهرها على أساس اتصالي ، فكما أن الإنسان ينقل أفكاره إلى الآخرين عن طريق «الكلام» فإنه ، كما يقول تولستوي : «ينقل إلى الآخرين عواطفه عن طريق الأدب أو الفن ، ومعنى هذا أن الأدب لا يفرج عن كونه أداة تواصل بين الأفراد ، يتحقق عن طريقها ضرب من الاتحاد العاطفي أو التناغم الوجداني فيما بينهم . ولما كان الناس يملكون هذه المقدرة الفطرية على نقل عواطفهم إلى الآخرين عن طريق الحركات والأنغام والخطوط والألوان والأصوات وشتى الصور اللفظية ، فإن كل الحالات الوجدانية التي تمر بالآخرين من حولنا هي بطبيعة الحال في متناول احساساتنا فضلا عن أن في وسعنا أيضا أن نستشعر عواطف أخرى أحس بها غيرنا من قبل منذ آلاف السنين» .

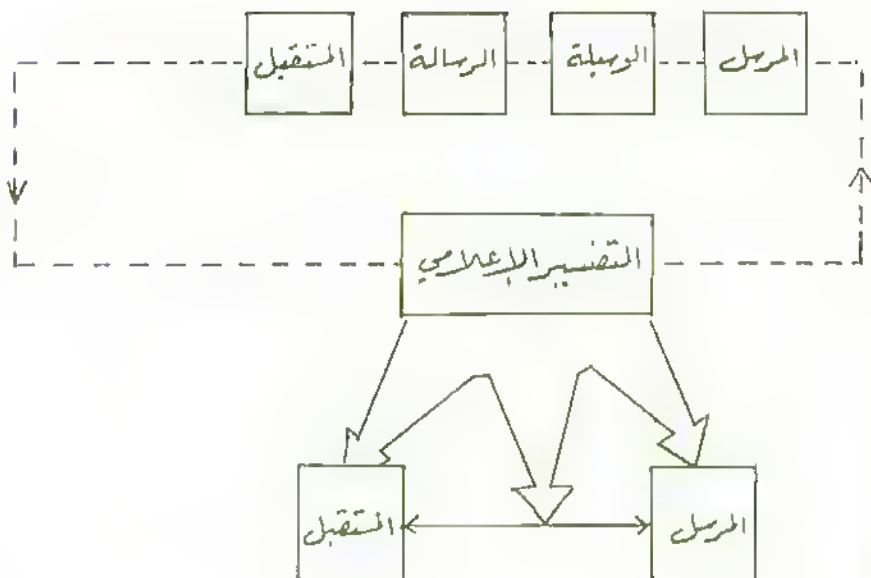
● **التفسير الإعلامي يقوم على أساس فهم طبيعة الأدب ، وأنها تقوم في جوهرها على أساس اتصالي ، فكما أن الإنسان ينقل أفكاره إلى الآخرين عن طريق الكلام ، فإنه ينقل عواطفه إلى الآخرين عن طريق الأدب والفن .**

● ● **وعنصر الوسيلة الإعلامية في الاتصال الأدبي بالجمهور من أهم عناصر التفسير الإعلامي للأدب ، حيث يعني بفهم عملية الاتصال ودراسة إمكاناتها وخصائصها ، سواء كانت بصرية أو سمعية ، أو بصرية سمعية معاً .**

العمل الأدبي ، إذا عتبرت هذه السلسلة نقطة ضعف معينة في أية حلقة من حلقاتها . . . فالعمل الفني الحقيقي - كما ذهب إلى ذلك تولستوي أيضاً - هو « ذلك الانتاج الذي يوجه إليه من جهة أخرى ، ثم هو أيضاً ذلك الانتاج العاثر بالعاطفة الذي يكون من شأنه أن يوحد بين قلوب كل من يوجه إليهم » .
ونخلص عما تقدم إلى أن :

١ - من ؟

هي دراسة الأدب المرسل مبدع الرسالة أو الأثر الأدبي ، وهنا يفيد ، التفسير الإعلامي في دراسة (من ؟) من المنهج المستمد من علوم الطبيعة لمعرفة المؤثرات الذاتية التي عملت في تكوينه وما إلى ذلك ، مما يمكن أن يفيد من دراسات « سيرونتير » و « دين » و « سانت بوف » . ولكن هذا النهج وحده لا يكفي في دراسة المرسل ، إذ لا بد من الاستفادة من المناهج الأخرى كالمناهج الاجتماعية ، والتحليل النفسي وما إلى ذلك مما يلقي الضوء على « المرسل » كعنصر أساسي من عناصر العملية الإبداعية ، ذلك أن مكان « المرسل » يبين من النموذج التالي للتفسير الإعلامي .



الحضارات المتقدمة نسبياً فقط هي التي طورت الفنون الثانوية المتطورة ، وتشترك كل الفنون في ناحيتين : الأولى - أنه بالرغم من اختلافها مادياً فإن مهمتها الرئيسية هي إيجاد الاتصال اللغوي في المواقف التي يستحيل فيها الاتصال المواجهي . والثانية - هي أن كل الفنون الثانوية تقدم الوسائل غير المباشرة التي يمكن بها تنفيذ العمليات الأولية للتقليد والالهام الاجتماعي ، فهي وسائل غير مباشرة ، إذ إن الراديو مثلاً لا يقوم بالاتصال بنفسه وإنما يستطيع القيام بذلك فقط عندما يستخدمه شخص من الأشخاص ، لارسال رموزه . وقد استطاع الإنسان عن طريق اختراع هذه الوسائل الفنية وتحسينها وزيادة عددها ، أن يجر عملية الاتصال من قيود الزمان والمكان .

عمليات التفسير الاعلامي

وتأسيساً على هذا الفهم ، فإن كاتب هذا المقال ، حينما بشر بالتفسير الإعلامي للأدب العربي فإنه قد حاول الاستفادة من تخصصه الإعلامي ومن اهتماماته الأدبية ، لي طرح افراضات حول استخدام هذا الأسلوب الجديد في تفسير الأدب العربي .
فإذا كنا قد طرحنا الافتراض الأساسي ، وهو أن الأدب يقوم على جوهر اتصالي ، فإن عمليات التفسير الإعلامي للأدب ، تقوم على أساس من العبارة الإعلامية الشهيرة :
من : « الأديب » .
يقول ماذا : « الرسالة الإبداعية » .
لمن : « الجمهور المتلقي » .
وباية وسيلة : « وسائل الاتصال بالجمهور » .
وبأي تأثير ؟

ونضيف إليها تعديل ريموند نيكسون الذي يتصل بالموقف العام للاتصال ، والهدف من العملية الاتصالية ، بحيث تصبح العبارة على هذا النحو ملخصة لعمليات التفسير الإعلامي للأدب بصفة خاصة :

« من - يقول ماذا - لمن - وما هو تأثير ما يقال - وفي أي ظروف - ولأي هدف - وباية وسيلة ؟ » .

فالتفسير الإعلامي للأدب يقوم على أساس من الوحدة الاتصالية ؟ فالأدب والمضمون والوسيلة والمستقبل والاستجابة ، هي جميعاً حلقات متصلة في سلسلة واحدة ، وينهار

٢ - يقول ماذا ؟

ويقصد به « الرسالة الإبداعية » وما تنضوي عليه من « مضمون » وكيفية التعبير عن هذا المضمون وتحريره في رموز لتكوين « الرسالة » والمرسل يضع رسالته في شكل معين أو جنس أدبي معين وصيغة محددة من الرموز أو الكلمات .

وفي هذا العنصر يفيد التحليل الإعلامي من المناهج والنظم التي تقررت فائدتها للنقد الأدبي ، ومنها : العلوم الاجتماعية ، فقد أفاد النقد من التحليل النفسي وعلم النفس الجماعي ، والتجريبي والاكليتيكي وعلم النفس الاجتماعي ، واستعار النقد من علوم الاجتماع المتزاخمة ، كما يقول « ستانلي هايمن » : نظريات ومقدمات عن طبيعة المجتمع والتغير الاجتماعي وصلته هذه بالأدب والظواهر الثقافية الأخرى ، كما يفيد من المذاهب الأنثروبولوجية والفولكلورية ، والدراسة الأدبية ، والدراسات القديمة في اللغويات وفق اللغة ، والدراسات الدلالية الحديثة . وكذلك العلوم الطبيعية والحيوية والفلسفة .

وحين يضيف المنهج الإعلامي هذه المناهج إليه في دراسة « الرسالة الإبداعية » وما حولها من عناصر ، فإنه ينظر إلى العملية الإبداعية نظرة متكاملة ، فالفنان العظيم - كما يقول مالرو - هو « ذلك الكيماوي الساحر الذي اهتدى أخيراً إلى السر في صناعة الذهب ، وإن كان لا يصنع الذهب - بطبيعة الحال - من أي شيء كان ما كان . فليس الفنان من العالم بمثابة الناسخ أو الناقل ، بل هو منه بمثابة المنافس أو الخصم المناضل » .

ولعل التفسير الإعلامي بالقياس إلى هذا التشبيه ، هو المنهج الذي بوضوح التجربة بالإبداعية ويجلوها ، مفيداً من منهج الإعلام الذي يعتمد الفروض والملاحظة وإجراء التجارب والقياس ، إلى جانب الفكر النظري والنماذج الحضارية ، وهناك دراسات تجريبية عديدة ركزت على عنصر « الرسالة » نقد منها في تفسير الأدب ، مثل الدراسة التي أجريت حول ترتيب عرض الموضوعات ذات الزوايا المختلفة ووجهات النظر المتعددة . والدراسة التي أجريت حول أثر المواد المعارضة للقضايا بعد الاقتناع بها . كما نفد من دراسة « هوفلاند وفاييس » الإعلامية حول أثر « المرسل » في الانتفاع ومدى تأثير الثقة به في الوصول إلى الهدف ثم دراسة « جانيس وفيشباخ » حول المضمون وأثره في الجماهير .

٣ - لمن ؟

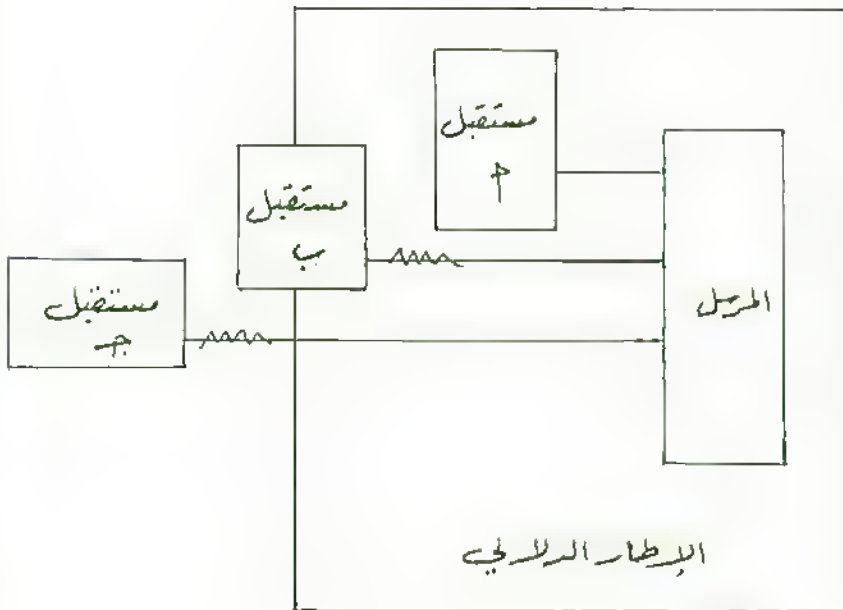
والعنصر الثالث في التفسير الإعلامي للأدب هو عنصر « المستقبل » (لمن) من حيث تفسيره للرسالة الإبداعية ، وفك رموزها . وهنا نصبح الرسالة الإبداعية شائعة بين الجماهير المستهدفة والجماهير الأخرى أيضاً ، وفي هذا العنصر يعني التفسير الإعلامي باستجابة المستقبل للأثر الأدبي ومدى تأثيره به وتقبله له . وهذا كله يتوقف - بطبيعة الحال - على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل .

يقول الدكتور إبراهيم إمام في كتابه « الاعلام والاتصال بالجماهير » : إن « المرسل » إذا كان ضعيفاً في كتابته ، أو غير واثق من نفسه ، أو ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فإن ذلك يؤثر على الاتصال . وإذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة فإنها تقف في سبيل نجاح الاتصال . كما أن الوسيلة نفسها لا بد وأن تكون من القوة والمرونة بحيث تصل الرسالة الإبداعية إلى المستقبل في الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، مهما حدث من تداخل ، أو تنافس مع الرسائل الأخرى . كما أن المستقبل نفسه وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة ، من أهم العناصر لتمام الدورة الاتصالية . فكفاءة المرسل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول إلى النتائج المطلوبة ، واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال ، وقدرته المستقبل على حل الرموز ، لا بد وأن ينظر إليها على أنها عناصر متعددة لعملية واحدة .

ذلك أن الميزة الرئيسية للأدب والفن بوجه عام - كما يقول تولستوي - إنما تنحصر في قدرته على عو شتى الفواصل بين الناس ، لكي يحقق ضرباً من الاتحاد الحقيقي بين الجمهور والفنان ، فإذا ما وجدنا أنفسنا إزاء (عمل) لا نشعر بأننا منحدون مع صاحبه (مرسله) ومع غيره من الناس الذين يوجه إليهم هذا العمل ، كان معنى ذلك أننا لسنا بإزاء « عمل فني » بمعنى الكلمة . أما إذا شعرنا بأن ثمة رابطة حقيقية تجمع بيننا وبين صاحب العمل ، كان معنى ذلك أننا بإزاء عمل فني يصدق عليه لفظ الفن « بحق » ، وإذن فإن محك صدق العمل الفني عند تولستوي إنما هو مدى انتشاره عن طريق « العدوى » لأنه كلما كانت العدوى أقوى كان الفن أصدق بوصفه فناً . ودرجة العدوى الفنية - عنده - تتوقف على شروط ثلاثة تفيدنا في التفسير الإعلامي :

- أولاً : الاصاله أو الفردية أو الجدة في العواطف المعبر عنها .
- ثانياً : درجة الوضوح في التعبير عن هذه العواطف .
- ثالثاً : إخلاص الفنان ، أو شدة العواطف التي يعبر عنها .

وهذه الشروط الثلاثة لا تكفي للتناغم بين المرسل والمستقبل من وجهة نظر التفسير الإعلامي للأدب ، بل ينبغي أن تكون « الخبرات » مشتركة أيضاً بين « المرسل » و « المستقبل » ، فالمتعلم باللغة العربية عن نظرية النسبية لآينشتاين ، لن تسعفه معرفته للغة العربية في فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس شيئاً من علم الطبيعة والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة . وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالي فكلياً كان المرسل والمستقبل بنفاهمان في اطار دلالي واحد ، كان ذلك أقرب ما يكون إلى الفهم ، على حد تعبير د . إمام ، ويعبر عن ذلك على النحو التالي :



فالمستقبل (أ) يقع داخل الاطار الدلالي للمرسل ، فهو يفهم الرسالة كلها ، والمستقبل (ب) كاد أن يقع داخل الاطار الدلالي ، فهو يفهم أشياء ولكنه لا يفهم أشياء أخرى ، أما المستقبل (ج) ، فإنه لا يفهم شيئاً مما يقول المرسل ، لأنه خارج اطاره الدلالي تماماً .

ومن ذلك بين أن تولستوي لم يفتن إلى الوسائل التي تجعل الاتصال حفيضة ، فالانصال - كما يقول التفسير الإعلامي - يتم بامتدادات أنفسنا ، وهو في كل امتداد يتمثل خصائصه ، كما أنه لم يفتن إلى أن تأثر الأفراد بالعمل الفني يختلف من فرد إلى آخر بدليل أننا نجد أفراداً ينحسرون لبعض الأعمال الفنية ، كما نجد « المستقبل أ » في النموذج السابق ، في حين يعجز غيرهم « مثل المستقبل ج » عن تمييز ما فيها من عناصر وجدانية أو عاطفية . ثم نساءل مع الدكتور زكريا إبراهيم : كيف يتبين لنا أن نعرف حيناً نكون بصدد قصة أو قصيدة ما إذا كانت العواطف التي تنبها في نفس المتلقي مشابهة للعواطف التي استشعرها الفنان نفسه ؟ بل كيف يتسنى لنا أن نحكم بأن « المرسل » قد استشعر حقاً تلك الأحاسيس التي يبعثها في نفس « المستقبل » ؟ ألا تدلنا التجربة على أن الفن ليس تعبيراً عن انفعالات الفنان بقدر ما هو براعة في إثارة مثل هذه الانفعالات لدى الآخرين ، عن طريق وسائل فنية قد يبتدعها « المرسل » لهذا الغرض ؟ حقاً إن

أن وظيفة الفن هي التوثيق، وما يذهب إليه البعض الآخر من ربط للفن بالحب، كذلك ما يذهب إليه البعض حول المظهر الجمعي للانسان الأدبي، ورأي تين في اجتماعية الفن، ورأي نيتشه في الصراع بين الفنان والجمهور الخ.

وما تقدم يتضح أن التفسير الإعلامي لا يذهب مع المناهج الأخرى إلى اعتبار الرسالة أهم شيء في العملية الأدبية. فقد تبين أن الرسالة جزء من الموقف الاتصالي العام بأبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية. وقد حرصت نظرية الاتصال على تأكيد أننا ننصل لسكي تؤثر. وأنه لا توجد عملية اتصال بدون هدف، والناس يسعون دائماً للتأثير في البيئة، وفي الآخرين أيضاً. ولذلك ينظر التفسير الإعلامي للأدب، على أنه لا يوجد ما يسمى «بالأدب للأدب»، وما إلى ذلك من الدعوات، وأن الأدب المرسل في عملية الاتصال، له نوعان من الأهداف. فقد ينتج عناصر انصالية مفضودة لذاتها بهدف الامتصاص، أو وسيلة استعمالية لتحقيق غايات أخرى، وهنا يصبح الجمهور المستهدف مرتبطاً بتمام الارتباط بالغاية، المقصودة.

ومن ذلك بنضح أن الأدب يرتبط بالاتصال بالجمهور في التفسير الإعلامي، وقد لاحظ «شارل لالو» أن كل فن لا بد من أن يتطلب الجمهور le public. بيد أن البعض قد يعترض على هذا الرأي بقوله: ولكن ما رأيكم في فنانين عباقرة لم يكونوا مفهومين من أهل عصرهم، بل قضوا كل حياتهم في صراع عنيف مع جمهورهم، وماتوا دون أن يجدوا بين معاصريهم من يفهمهم أو يقدرهم حق قدرهم؟ وما رأيكم في فنانين مثل فاجنر (١٨١٣ - ١٨٨٣م)، وبرليوتس (١٨٠٣ - ١٨٦٩م)، وشيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢)، ونيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٩م)؟ هذا ما يرد عليه لالو بقوله: «إننا حيناً نتحدث عن «الجمهور» فنحن لا نتحدث فقط عن الجمهور المعاصر، أعني ذلك الجمهور الذي يشجع ويدفع، وينبع «المواضات» الحديثة، والذي قد يكون موضع كراهية الفنان الحقيقي أو احتقاره، كما أننا لا تعني أيضاً ذلك الجمهور الصغير المحدود، ألا وهو جمهور العارفين الذين يفهمون المواهب الحقيقية ويعملون على تشجيعها ويسهمون في توجيه التطور ويقومون باتخاذ الإجراءات المشروعة في سبيل تحقيق التقدم الفني، بدلاً من العمل على اعاقته أو تأخيرها. فنقول إننا لا نتحدث عن هذا «الجمهور» القليل أو الموضوعي، بل كل ما يعنينا هو تلك الفكرة التي يكونها الفنان لنفسه عن «الجمهور»، لأن هذه الفكرة بالذات هي التي تؤثر عليه وتعمل عملها في نفسه. ويذهب التفسير الإعلامي للأدب تأسيساً على هذا الفهم إلى أنه لا يمكن الفصل بين الهدف والجمهور، لأن كل اتصال يستهدف تحقيق استجابات محددة بالنسبة لجمهور معين.

٧ - وبأية وسيلة ؟

وعنصر «الوسيلة» الإعلامية في الاتصال الأدبي بالجمهور، من أهم عناصر التفسير الإعلامي للأدب، حيث يعنى بفهم عملية الاتصال، ودراسة امكانياتها وخصائصها سواء كانت بصرية أو سمعية أو بصرية سمعية معاً.

وهنا نذكر «ه. ج. ويلز» حين رأى أن الإنسانية قد مرت بمراحل كما نعرف، ولكنه لم يحدد هذه المراحل بالعصر القديم أو الوسيط أو الحديث، ولكنه رجح أن مراحل التطور البشري خمس، يسترشد بها التفسير الإعلامي للأدب في عصوره المختلفة: الأولى هي المرحلة التي انبثقت فيها الحياة الإنسانية من الحياة الحيوانية، لأن «ويلز» كان يرى أن حياة الإنسان إنما هي امتداد للتاريخ الطبيعي. . . ووجد أن هذه المرحلة تنسم باللغة، واللغة والفكر لا ينقسم أحدهما عن الآخر، فهما شيء واحد وليس شيئين منفصلين. أما المرحلة الثانية فهي التي جعلت الإنسانية تسير إلى الامام وإلى أعلى: إنها مرحلة الرموز التي اصطنعها الإنسان تلبيةً لمشاعره ونجاياه وأفكاره ووقائعه عبر الزمان والمكان، وهي المعروفة بالكتابة. . . فمصر الكتابة أو التدوين في نظر «ويلز» هو المرحلة الثانية بعد مرحلة الكلام المنطوق أو الكلام المجهور.

والمرحلة الثالثة، وهي المرحلة التي ظهرت فيها الطبقة الوسطى - كما يقول المؤرخون الآخرون - هي مرحلة اختراع الطباعة، التي جعلت من هذه الكتابة وسيلة أكثر مرونة على الحفظ والنقل، وهكذا اتسعت وظيفة الكتابة بفضل الطباعة اتساعاً كبيراً.

والعنصر الخامس في التفسير الإعلامي هو الموقف العام للاتصال الأدبي، فلاستجابات التي تحدث نتيجة لمثير معين، في موقف اتصالي معين، لا تحدث بطريقة آلية أو كيميائية، كتأثير الضوء على السطح الحساس مثلاً، وإنما - كما يقول د. إمام - يعتمد على عصلة العوامل الشخصية والقوى الثقافية التي يمثلها كل شخص في الموقف. فالأديب والمتلقي يخلعان على الأشياء من المعاني ما يخلعانه وفقاً لخبرات كليهما الماضية وطريقة فهم كليهما للحياة. ولذلك فإن الأديب مسؤول عن جعل رسالته الابداعية تحتل منطقة البؤرة بدلاً من الحاشية في شعور المستقبل.

ولذلك فإن التفسير الإعلامي يدرك مزالق الاعتماد على مجرد أحكام الرسالة الأدبية وإهمال دراسة بقية الموقف الاتصالي، كما تفعل مناهج التفسير الأدبي الأخرى، التي تركز إلى مجرد التعرض للاتصالي، ظناً منها أن ادراك الأثر الأدبي أمر مضمون ومؤكد بمجرد نشره على الناس، فالجمهور تدرك ما تريد أن تدركه وتعزف عما لا نهم به. وقد يتأثر المستقبل بجزء معين من الرسالة قبقر من تعميم الجزء على الكل، أو أنه على العكس من ذلك يتنظر إلى الرسالة الأدبية في ضوء اطار أكبر، كالحكم على قصة من القصص مثلاً على ضوء الموقف العام والاتجاه العام من موضوعها.

ولذلك ينظر التفسير الإعلامي للأدب على أن جوهره الانصالي عملية منصلة الحلقات مناسكة، تتطلب دراسة المستقبل كما تدرس المرسل، فتعنى بدراسة دوايق المستقبل وقبمه وطريقة ادراكه ومعاني مدركاته. على اعتبار أن الادراك عصلة مجموعتين من العوامل البنائية والذاتية، كما يعنى بدراسة العادات الاتصالية، فهناك من يفضل الاذاعة وهناك من يفضل الكتاب وهناك من يفضل الصحيفة الخ.

ويلفت فيرنج Frank Fearnig النظر إلى أهمية هذه القضية قائلاً: «إنه ليس من الممكن تبسيط عملية الاتصال إلى حد اعتبارها مجرد نقل معلومات وأفكار أو وحدات ذات معنى من مصدر إلى آخر». ولذلك فإنه يصير على اعتبار المستقبل مقسر وليس مجرد جهاز تسجيل، ومن ناحية أخرى بنير «كولمان» و«ومارسن» وحدة العملية الاتصالية. فالمرسل والمضمون والوسيلة والمستقبل والاستجابة هي جميعاً حلقات منصلة في سلسلة واحدة. وتنهار عملية الاتصال كلها إذا اعترت هذه السلسلة نقطة ضعف معينة في أية حلقة من حلقاتها.

٦ - لأي هدف ؟

ولا يمكن تقويم العملية الاتصالية في الأدب إلا على أساس الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، ولا تعني هنا مجال من الأحوال ما يسمونه «بالأدب الهادف»، وإنما نعني أن الأدب «عمل اجتماعي». ذلك أنه حين يتوصل بوسائل الإعلام، فإنه يشتق أحداته ومواقفه من البيئة الاجتماعية، ومن الثقافة السائدة بما فيها من اتجاهات وقيم ومعايير وتقاليد، فالاتصال الجماهيري - كما يقول الدكتور إمام - تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها، والأدب حين يتصل بالجمهور لا يد وأن يكون انعكاساً صادقاً لهذه الثقافة أو الحضارة. ومن خلال ذلك يقوم بتعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع، وترسيخ القيم السائدة فيه، وتنبئت العلاقات القائمة.

إن الأدب في الاتصال الجماهيري يقدم فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير من خلال اجتاسه الفنية المختلفة، والفن في رأي «جيو» (١٨٥٤ - ١٨٨٨م)، مثلاً إنما ينبع من صميم الحياة نفسها، وأن الجمال إن هو إلا شعور خصب مليء بالحياة، ولا يكتفي جيو بأن يقول إن الحياة الوفيرة المليئة هي منذ البداية حياة جمالية، بل هو يقرر أيضاً أن الفن لا يخرج عن كونه نشاطاً اجتماعياً تنحصر غايته في الحياة أو الواقع نفسه، وحيناً يقول جيو: إن الفن هو «الحياة نفسها مركزة»، فإنه يعني بذلك - كما يقول د. زكريا إبراهيم - أن من واجب الفنان ألا يدع الحياة تطفئ عليه، بل أن يظل معاصراً لها في تقديمها المستمر، وأن يفك على أشكال الحياة الاجتماعية التي تلذوب فيها الحياة الفردية.

وفي هذا العنصر يجد التفسير الإعلامي للأدب مذاهب نافعة ومتقدمة، مثل ما يذهب إليه البعض من أن الفن واقعة إيجابية في الحياة الاجتماعية، وما يذهب إليه «سوريو» من

أما المرحلة الرابعة فهي التي استطاعت فيها البشرية أن تجعل اللحظة المحدودة لحظة عالمية ، وأن ترتفع على الحواجز المادية والحدود الجغرافية ، وهي مرحلة استخدام المخترعات الحديثة في وسائل الاتصال كالبخار والكهرباء وما إليها ، مما أعان على نقل الأشياء والأفراد والجماعات إلى مسافات شاسعة غير معهودة ، وفي فترات قصيرة لم تكن تخاطر حتى في الأحلام .

وتتبع المرحلة الخامسة عند «لوز» هذه المراحل جميعاً ، وهي التي تعيش فيها ، ولقد أسماها بالمرحلة الإذاعية أو «مرحلة الإذاعة» . . . ومعنى ذلك أن «لوز» جعل الإذاعة عاملاً كبيراً من عوامل التقدم الإنساني ، وجعلها أعظم وأخطر من الطباعة ، وأرق من جميع وسائل النقل والاتصال التي كانت مقصورة على الأشياء والأجسام ، ذلك أننا بواسطة الإذاعة استطعنا أن نسجل الأفكار والمشاعر ونقلها وتكررها ، ثم نتخطى بها جميع الحواجز والحدود . كما أن هذه الإذاعة تنساب كما ينساب الهواء ، وكما ينساب الماء من الصنابير في كل بيت ، وفي كل إقليم ، وفي كل مكان .

ولكن لا نزعج أن هذه النظرة للتاريخ علمية صحيحة ، ولكنها مع ذلك نسحق التأمل ، فالانصاف بالجاهل ، يتطور في العالم الحديث تطوراً سريعاً متدهلاً يحكم التقدم التكنولوجي في فنون الاتصالات السلكية واللاسلكية وعلوم الإلكترونيات وفنون الطباعة ، فنحن نعيش الآن في قلب نهضة اتصالات لها آثارها العميقة على وسائل نشر الأدب ، من حيث مضمونها ، بل ومن حيث نوع العالم الذي نعيش فيه ، وقائمه ووسائل نهضة الاتصالات طويلة ، منها وصلات يمكن بها مشاهدة أفلام وأشرطة سيق نسجلها ، أو تحويل الإشارات الإذاعية إلى صفحات مطبوعة ، والأشرطة المبرجة بالحاسب الإلكتروني والتي تمكن الطابعين من إنتاج صفحة كتاب كل خمس ثوان ، وأقار اتصالات القضاء التي جعلت الاتصال الفوري بجميع أنحاء الكرة الأرضية في الحال حقيقة واقعة ، والمعدات المحسنة التي تمكن من إنتاج صور ذات ثلاثة أبعاد ، والتسجيلات المرئية وأجهزة العرض ، والطباعة الكهروستاتيكية التي لا تلامس فيها الحروف الورق بالمره ، وجمع الحروف بأنوية الأشعة الكاثودية ، وتوكل المعلومات بالحاسب الإلكتروني مع ارتباطه بالوصلات التليفونية وغير ذلك كثير .

ولذلك فالموضوع الذي نعرض له متشعب المسالك ، في محاولة للتعرف على أثر الاختراعات التكنولوجية الخالصة والمستقبلية على فنون الأدب العربي بخاصة ، وعلى أساليب اتصاله بالجاهل ، وهنا نجد - بدءاً - أن الجمهور العربي سوف يتصل بالأدب من مصادر أكثر تنوعاً بكثير عن ذي قبل . ولا يحتمل أن تؤدي البطاقات المتناهية الدقة إلى قتل الكتاب ، كما أن بنوك المعلومات المنظمة بالعقل الإلكتروني لن تقتل المجلات ، فعندما تظهر وسيلة جديدة للاتصال بالجاهل ، لا تقتل الوسائل القديمة ، ولكن من المحتمل أن نغبرها . فالراديو لم يقتل الفوتوغراف أو المجلة ، رغم التنبؤ بذلك ، والتليفزيون لم يقتل الراديو .

وما دعنا نعالج تأثير وسائل الاتصال الأدبي في الجاهل ، فمن واجبنا أن نؤكد أن هذه الوسائل تتعامل مع الثقافة بمعناها الاجتماعي كمجال لجميع الأفراد في قسومة من القوميات ، وفي وطن من الأوطان ، ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر إلى التراث الثقافي الحي القتل ، ولا ننظر إليه على أنه شيء جامد لا يتغير في زمان أو مكان ، ووسائل الاتصال بالجاهل إنما تنصل بهذا المجال الثقافي الحي الفعال بالاتصال الوثيق ، ذلك لأنها تنوّل بأقوى المنظمات في الحياة الاجتماعية وهي اللغة !

وهذه الوسائل الإعلامية امتداد تكنولوجي للغة أو الكلمة والأيماة . ويقول «ماكلوهان» : إن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع ، أو يضطر إلى استخدامها ، تحدد طبيعته وكيفية علاج مشكلاته ، وأي وسيلة جديدة ، أو امتداد للإنسان ، تشكل ظرفاً جديدة ، تسيطر على ما يتعلمه الأفراد الذين يعيشون في ظل هذه الظروف ، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون بها ويعملون وفقاً لها . الوسيلة امتداد للإنسان ، فالملايس والمسكن امتداد لجلدنا ، والمجلة امتداد لأقدامنا ، والكتاب امتداد لعيوننا ، والكهرباء امتداد لجهازنا العصبي المركزي كله . وكاميرا التليفزيون تمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا .

ويتفق هذا الاتجاه الإعلامي مع أساس التفسير القيني ، الذي يذهب إلى أن الحياة

تجربة ، وتتمثل في «خمس حواس صغيرة تنتفض بالبهجة والسرور» وقد نذكر أو نسجل أجزاء أو جوانب من تلك التجربة ، التي تحقق الصفاء والوضوح والحدة والعمق - أي مجال الفن ومبخته ، على حد تعبير «أروين ادمان» - ويغض النظر عن مجرد العلاقة القائمة بين الفن والتماثيل والصور والسمفونيات ، فالفن اسم يطلق على الإدراكات كلها التي بها تعي الحياة ما يكتنفها من ظروف خاصة ثم تحيل هذه الظروف إلى شيء غايه في الطرافة والابداع .

إن الفن - كما يقول أرسطو - يمكن أن يعد سياسة لو فدرت أهميته تفديراً سديداً . عند ذاك يكون موضوعه هذه التجربة بأسرها ، وتكون الحياة كلها هي مسرحه ومادته .

لقد كان على الفنان ، بحكم الأمر الواقع ، أن يعالج فطاعات من التجربة ، ولو أنه قد يوصي بها أو يضمها كلها . والتجربة بقض النظر عن الفن والادراك ، متقلبة ومشوشة ، أنها مادة بلا شكل ، وحركة بدون انجاء . ويقدر ما يكون للحياة شكل ، تكون فناً . وكل ما يسمى «عادة» أو كل تطبيق في Technique أو نظام System هو عمل من أعمال العقل ، أو ربما تراثه المبدد . وحينما نتخذ المادة شكلاً والحركة انجاءاً والحياة خطأ وتكوناً مثلاً ، وهنا يكون لدينا عقل وادراك . وهنا تتحول الفوضى (اللاتكون) إلى نظام قسوي ومرغوب فيه نسبه «الفن» . إن التجربة بعيداً عن الفن والادراك ، مادة بلا شكل وحركة بلا اتجاه .

ومن ثم فن أهم وظائف الفنان أن يجعل التجربة أخاذة بأن يمنحها الحياة . إن الفنان سواء أكان شاعراً أم رساماً أم مثالا يتناول الأشياء كما يتناول الشاعر والقصاص الأحداث على نحو يجير العين على التوقف ونشيدان المتعة في الرؤية ، كما يجير الأذان على الاستماع لمجرد الاستماع ، والعقل على التلهف على لذة الاكتشاف التي لا تسعى إلى نفع ، أو الحيرة أو الدهشة . وفيما يتصل بوظيفة تركيز الحياة ونقوسيتها ، فإن حواسنا ، كما يقول البيولوجيون ، عبارة عن محورات وتكيفات مع البيئة المتغيرة غير المستقرة التي لا يؤمن لها .

وهكذا يتضح أن حواسنا عملية في أصلها ولبت جمالية . وتبقى في حياتنا البيومية ذات سمة عملية ، وتقاس وظيفة الفنان ونجاح العمل الفني ، جزئياً بالقدر الذي تصبح فيه حواسنا لا اشارات للعقل وإنما للانباء بالمحسوس والملموس والابانة عنها .

وهكذا تزداد التجربة في القنون الجميلة ثباتاً ورسوخاً وحدة عن طريق استيلائها على الأحاسيس والشاعر ، والوظيفة البارزة للفنون الجميلة تكمن أساساً في حدود هذين الجهازين المتميزين في دقة وعمق : العين والأذن . وفي حين نجد اللون هو ذلك الجانب من المنظور الذي يهمل عادة لأغراض عملية أكثر من غيره ، إذ به يصبح المادة التي بها يعنى الرسام خاصته . وفروق الايقاع والنغم التي يهمل في الاتصال العمل تصبح بالنسبة للموسيقى مصدراً لكل فنه ومصدر امتاع عاشق الموسيقى . وهكذا تتحول الحواس من مجرد كونها مثيرات للعقل والحركة إلى مجالات الامتاع .

وتأسيساً على هذا الفهم نذهب في التفسير الإعلامي للأدب ، إلى أن «الوسيلة هي الرسالة» على حد تعبير «ماكلوهان» ، وهذا يعني أن النتائج الفردية والاجتماعية في الأدب لاية وسيلة من الوسائل تتوقف على تغير المقياس الذي تحدده كل تكنولوجيا جديدة ، وكل امتداد لأنفسنا في حياتنا . والواقع أن «رسالة» وسيلة أو تكنولوجيا ما هي تغير المقياس ، أو الايقاع ، أو النماذج التي تحددها في الابداع الأدبي ، فإذا سألنا هنا : ما هو مضمون الكلام ، يجب «ماكلوهان» بأنه عملية تفكير «فعلية غير شفوية في ذاتها» والرسم التجريدي يمثل تعبيراً مباشراً لعمليات الفكر المبدع مما لو كانت تتاجاً لعقول الكترونية .



اقتطاف الزهر واجتناء الثمر

لعلي بن بري
(٦٦٠ - ٧٣٠ هـ)

من
المخطوطات
العربية

يقام: د. محمد بن سعد الشويجر

بري من هذا المختصر . . مما دفعه الى بذل جهد كبير في اخراج هذا الاختصار الجديد .

أما مختصر الحصري فقد أشار اليه السنوسي في كتابه « شعراء القيروان من أمودج الزمان » (ص ٢٠) ولكنه لم يوضح كيف اختصره أو معلومات أخرى عنه .

إلا أن حسن حسني عبد الوهاب رحمه الله قد كان أكثر ايضاحاً عندما قال : « ان الحصري نفسه اختصر كتابه زهر الآداب تحت عنوان نور الطرف ونور الطرف ويسمى أيضاً النورين ، وهو كتاب في جزء واحد منه نسخة خطية في مكتبة الأوسكريال بأسبانيا ونسخة بمكتبي » . [نقل هذا الدكتور عبده قلقيلة في كتابه النقد الأدبي في المغرب العربي ص ١٢٥] لكنني لم اجد من يدلني على هذا المختصر حيث أخبرني الأستاذان محمد العروسي المطوي و الحبيب اللمسي التونسي بأن النسخة المشار إليها في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب لا وجود لها بعد اطلاعها على جميع محتوياتها وجردها بعد ان استلمتها الحكومة التونسية .

من هو ابن بري

ومختصر هذا الكتاب هو الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين الرباطي المغربي المالكي المعروف بابن بري (معجم المؤلفين لعمر رضا كحلة ٧ : ٢٢٠-٢٢١) ولم يورد الزركلي من اسمه إلا علي بن محمد بن الحسين (الاعلام ٥ : ١٥٦) بينما اسمه على طرة الكتاب علي بن محمد بن علي بن بري .

كان أديبا وناظما وعالما بالقراءات وله مشاركة في العلوم الاسلامية . . من أهل « تازة » بالمغرب وقد ولي رئاسة ديوان الانشاء بها وهذا دليل على مكانته في الادب وعلوم اللغة . وكان مقرئاً وقد نظم في القراءات أرجوزة أسماها « الدرر اللوامع

واحد من كتب التراث العربي التي لم تر النور بعد ، إذ هو لا يزال مخطوطاً في دار الكتب المصرية . وقابلاً في إحدى زواياها تحت رقم ١٤٤١٧ / ز .

موضوعه

لقد بلغت الشهرة الأدبية بزهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق الحصري القيرواني (٣٦٣-٤١٣ هـ) أن كان موضوع اهتمام الأدباء والكتاب العرب ، على اختلاف أزمانهم ومراكزهم . وقد كان الحصري درج في كتابه هذا على منزع الأدباء قبله في الجمع والحشد والأخذ بمفهوم الأدب في عصره أنه الأخذ في كل فن بطرف وقد منعه سمته ووقاره من الاسفاف في النكتة أو الانحدار بالقول و التجني في الفكاهة ، ذلك أن الطابع الديني ووقار العلماء قد تغلغلا في شخصيته فكان كتابه مطمع الأدباء وقدوة المتأدبين .

فجاء ابن بري (٦٦٠-٧٣٠ هـ) ليختصر هذا الكتاب في جلد واحد كما أشار في مقدمته لهذا المختصر وأعطاه اسماً مشتقاً من الاسم الاصلي للكتاب إذ اعتبر هذا المختصر « مقتطفات من زهر الآداب ومجتمعات من فوائد ثماره » وأدخل المفهوم المجازي في التعبير اللفظي ليزيد هذا المختصر أهمية عند القارئ وترغيباً عند المتبع عندما قال : أما بعد فهذا كتاب سميت اقتطاف الزهر ، واجتناء الثمر اختصرته من كتاب زهر الآداب وثمر الألباب تأليف أبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القروي وقد اخترته لنفسه وأثرته على كتاب النورين لأبي اسحاق المذكور (اقتطاف الزهر ٣-٤) فابن بري لم يرد منه إلا المتعة الأدبية وترتيب المعلومات .

ذلك انه لم يجد بغيته في مختصر الحصري نفسه الذي سماه نور الطرف . هذا الكتاب الذي فقدنا الأمل في العثور عليه حتى يمكن المقارنة بين هذين المختصرين والمفاضلة بينهما ليزر أمام القارئ سر عدم قناعة ابن

في قراءة نافع» طبعت في كتاب اشهر في شمال افريقيا . وله كتاب آخر هو «الكافي في علم القوافي» . ولد عام ٦٦٠ هـ واختلف في تاريخ وفاته فأثبت الزركلي وكحالة ان وفاته عام ٧٣٠ هـ .

وفي دائرة المعارف الاسلامية عام ٧٣٠ هـ مرة ، وأخرى عام ٧٣١ هـ ، ورواية ثالثة عام ٧٣٣ هـ ، ومثل هذا الاختلاف وقع فيه بروكلمان . . وفي هدية العارفين وكشف الظنون أن وفاته عام ٧٠٥ هـ .

وصف الكتاب

لا يزال كتاب : اقتطاف الزهر واجتناء الثمر للإمام اللغوي علي بن محمد بن بري كما قلنا آنفاً مخطوطاً . وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية بخط مغربي ورقه ٦٨٧/١٩٤٢ ، ١٤٤١٧/ز ، ١٤٠٩٤/ز .

وقد أخذ عنها نسخة أخرى من النسخ التي كتبت في عام ١٣٦١ هـ وبخط جيد ، أما النسخة الأصلية فقد كتبت يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الثانية عام ١٢٦٧ هـ ولم يتضح اسم الناسخ ولا تعريف بالنسخة التي نقل عنها .

وكلمنا وجد في آخرها مما يرتبط بالناسخ ، العبارة التالية بعد ايراد أشعار للنساء الأعرايات : « وجد في الأصل المتسخ منه من نسخة

الصفحة الاولى



مصنفها علي بن محمد بن علي بن بري ، وجد في تاريخها كمل الكتاب المبارك على يد علي بن محمد بن بري غفر الله له آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد» (اقتطاف الزهر ص ٥٣٠) .

ثم عقب الناسخ بالعبارة التالية « انتهى الاختصار المبارك بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل وبمنه الجزيل ، وكان الفراغ منه يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الثانية عام ١٢٦٧ هـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين » (اقتطاف الزهر ٥٣١) .

ولكن ناسخ دار الكتب المصرية أضاف ما يدل على انتهائه منه ونسخه فقال بعد ذلك مباشرة : « انتهى كتاب اقتطاف الزهر واجتناء الثمر لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن بري والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كتبه محمود حمدي على نفقة دار الكتب المصرية من النسخة المخطوطة بها الموضوع تحت رقم (١٤٠٩٤) ز وكان الفراغ منه يوم الأربعاء سابع عشر صفر عام ١٣٦١ هـ موافق رابع شهر مارس سنة ١٩٤٢ م والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » (اقتطاف الزهر ٥٣١) .

ويقع هذا الكتاب في جلد واحد يحتوي على « ٢٦٥ » ورقة في ٥٣١ صفحة من القطع المتوسط وتحتوي كل صفحة معدل « ٢١ » سطراً في كل سطر إما نصف بحث من الشعر « شطر أو عجز » أو ست كلمات من النثر . . ومقاس الصفحة ٢٦ × ١٩ وقد كتبت بالحبر الأسود والأحمر .

وبين مقدار هذا المختصر إذا قارنت حجومه بالأصل الذي ظهر في عدة طبعات منها تحقيق البجاوي في جلدتين تحوي « ١١٨٨ » صفحة بالفهارس وتحقيق الدكتور زكي مبارك (١٣٠٨ - ١٣٧١ هـ) في أربعة مجلدات تحوي « ١٢٣١ » صفحة مع الفهارس .

وأتوقع لمختصر ابن بري هذا ثلث حجم الأصل فيما لو طبع وقد وزع هذا المختصر إلى جزئين متساويين تقريباً . ولست أدري هل هذا التقسيم من عمل المؤلف أم الناسخ إذ كثيراً ما يتصرف الناسخ مثل هذا .

محتويات الكتاب ومنهج المؤلف

إن من المناسب إعطاء القارئ لمحة عن هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً فهو مختصر عن زهر الآداب كما أشار ابن بري (٦٦٠ - ٧٣٠ هـ) في مقدمة (اقتطاف الزهر ص ٣) .

ولم يكن يخرج في موضوعه العام عن موضوع زهر الآداب . فبعد المقدمة المختصرة من ابن بري والتي لم تزد عن ٢٥ سطراً ولم يضمها ما يدل على منهجه صراحة إلا في قوله : « وأصفت الشيء إلى مثله وإن كان المؤلف رحمه الله إنما قصد بتشتيت الكلام وخفي الماضي الذي ينافي الملل ويباعد الكسل إلا أن الترتيب للطالب أنفع وفي النفس أوقع . . . »^(١) كثيراً من الكلام المنشور والشعر المستغلق على المأثور وربما أضفت زيادة يسيرة والله تعالى يبلغ فيه الأمل ويختم لنا بصالح القول والعمل عنه » (اقتطاف الزهر ص ٤) ثم قال بعد هذا مباشرة « ابتداء المختصر بحول الله وقوته » .

بسم الله الرحمن الرحيم
 صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
 المسد للبحر الذي جعل من البيان
 ومن الشعر حكايا وأظهر سر الألفاظ
 بها الأدبية غفلة هات من طله
 نثر ونظما والعمارة الكاملة على النبي
 الأمجاد من معجز القرآن ومجيب الأيات
 من الهدى والفرقان بما أوضح مذهبها
 في ربها وأزكى سلاما وأزال ظلمة محمد صلى
 الله عليه وعلى آله الذين أحببتهم من
 أسرته وجبا هم بمبرزين إمامه وأما
 علماء هذا وفهمه في كتاب مهمته
 اقتطاف الزهر ولبقاء الشعر المختصر
 من كتاب زهر الآداب ومزج الآداب
 تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري
 القروي الكوفي وغيره اختصره لنفسه
 وأقره على كتاب النور لأبي إسحاق
 المذكور وقدمه قهر السراة
 وأصفت الشيء إلى مثله وإن كان المؤلف
 رحمه

بإني في الأصل

بإني في الأصل

بإني في الأصل

بإني في الأصل

الصفحة الثانية

شتاتها في معلومات متجمعة فيحدث الأبواب التالية، مثلاً : « باب
 المديح وما شاكله (ص ٢٧٢) ، باب الفخر (ص ٣٢٧) ، باب
 الهجاء (ص ٣٦٤) ، باب الأوصاف (ص ٣٧١) ، أبيات الأمثال
 والحكم (ص ٣٨٥) » . ويستمر إلى آخر الكتاب على هذا المنوال ، ولم
 يكن درج على هذا في أول الكتاب ذلك أنه انتهج مسلك الحصري في
 العناوين والتبويب بادئ ذي بدء .

وقد وضع في كل ما يتلاءم مع ميوله من محتويات الكتاب أو من
 خارجه ، فزاه في أبيات الحكم والأمثال يورد (ص ٣٨٨-٣٩٠) الأمثال
 التي لها نظائر في القرآن الكريم ، ويقارن كل مثل أورده بآية قرآنية ،
 ولم يكن الحصري سلك هذا الطريق من قبل .

والنسخة الخطية التي رجعت إليها في اقتطاف الزهر كثيرة
 السقط ، إذ لا تخلو صفحة من تهميشة أو تهميشتين للناسخ
 بهذا النص : « بياض في الأصل » .

فابن بري في بيان منهجه هذا المختصر ، ينتقد الحصري في
 التفريق بين الأشباه والنظائر ولم يقنعه بما التمسه الحصري
 لنفسه من عذر في ذلك إذ كان شعار ابن بري ينبثق من
 قوله « إلا إن الترتيب للطالب أنفع وفي النفس أوقع » .
 كما أن ابن بري قد خالف الحصري أيضاً في الإطالة والاستطراد لأن
 هذا المختصر يتطلب منه تركهما .

وقد بدأ ابن بري مختصره هذا ببداية هي بداية الحصري لزهر الآداب
 فقال : « روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : وفد على رسول
 الله ﷺ الزبيرقان ابن بدر وعمرو بن الأهم (اقتطاف الزهر ٢ - ٣
 زهر الآداب ١ : ٥ ب) إلا أن ابن بري لم يتقيد بتسلسل الموضوعات
 وترتيبها كما سار عليها الحصري فقد ختم مختصره هذا بأبيات نسبت
 لفاطمة بنت رسول الله ﷺ في رثاء أبيها وهذه الأبيات جاءت في
 أول زهر الآداب (اقتطاف الزهر ص ٥٣٠ ، زهر الآداب ١ : ٣٢
 ب) .

ذلك أن ابن بري قد جعل مسك ختامه لهذا الكتاب إيراد أشعار
 النساء في الرثاء عندما قال « ولنساء الأعراب في هذا الباب اليد الطولى
 والسابقة الأولى ولنختم هذا الباب بما هو مسكه الختام ومنتهى الائتم
 (اقتطاف الزهر ص ٥٢٨) ثم أورد شعراً لسكينة بنت الحسين بن
 علي (١١٧ هـ) ترثي مصعب بن الزبير (٢٦-٧٢ هـ) ثم شعراً
 لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ترثي والدها عليه الصلاة والسلام ، وقد
 سبق هذا مجموعة من المراثي جعلها تحت باب اسماء : باب التعازي
 والمراثي (اقتطاف الزهر ص ٥١٠) .

وعدم تقيد ابن بري بتسلسل الموضوعات كما هي عند الحصري عائد
 لأن الحصري لم يتقيد في سرد معلومات كتابه وما يحويه من معارف تحت
 مسمى أبواب ثابتة ، فهو يأتي بالمراثي في أماكن متفرقة ومثل هذا الحكم
 والأمثال والزهد . . وغيرها . فجاء ابن بري في هذا المختصر ليعوب هذه
 الموضوعات ويجمع ما تفرق في زهر الآداب ، ويدخل ما يستجيد من كل
 شيء في هذا الكتاب تحت مسمى باب ، رغبة منه في توحيد العناصر ولم

تباخر في الأصل

رحمه الله انما قصد بتبسيط لط
وحتى لما ضي لي في الملل ويباعد
الكسل الا ان الترتيب للطالب الفتح وفي
المنشور او فتح كثير من الامم
والله تعالى يبلغ فيه الامل ويمنح لنا
بصالح القول والعمل منه .
ابن منظر في مختصر بحول الله تعالى
روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال وفدا في رسول الله صلى الله عليه
وسلم الزبقات بن بدر وعمر بن لا هتم
فقال الزبقات يا رسول الله انا سيد
منهم والمطاع منهم اخذ لهم حقهم وانهم
من الظلم وهذا يعلم ذلك واستأمر
الى عمر فقال عسرا جل يا رسول الله
انه مانع لجوزته مطاع في عتيرته فقال
لزيترقان يا رسول الله ايا الله يعلم
اكثرهما قال ولكنك عسدي ستعرف
فقال عسرا ما قال ما قاله هو الله
ما علمته الا ضيق المعطن وهو المروءة
احسن الالب لشيم الخال حديث الغني

تباخر في الأصل

الصفدي

- هو الاديب المؤرخ خليل بن ايوب الصفدي .
- ولد بصفد في فلسطين عام ١٢٩٦ هـ .
- كان كثير التصنيف فقبل له نحو ٥٠٠ كتاب وأشهرها (الوافي بالوفيات) و (أعيان العصر وأعوان النصر) و (تحفة ذوي الالباب) .
- ارجح لفتات الناس كالعميان والعمور واختار موضوعات شعرية ونثرية تدور حول موضوع واحد مثل كتابه (تشفييف السمع بانسكاب الدمع) .
- وله ايضاً (جنان الجناس) و (فض الختام عن التورية والاستخدام) .
- توفي بدمشق عام ١٣٦٣ هـ .

ابن منظور

- هو اللغوي المؤرخ محمد بن مكرم الانصاري ، ولد عام ١٢٣٢ هـ في طرابلس الغرب . . وقيل في مصر .
- عمل بديوان الانشاء بالقاهرة وولي قضاء طرابلس .
- كف بصره في نهاية حياته .
- اختصر كثيراً من الكتب المطولة في الأدب والتاريخ كالأغاني والعقد الفريد والذخيرة وتاريخ دمشق وتساويع بغداد للسمعاني والحيوان للجاحظ .
- جمع غنارات الشعر والطرائف في (نثار الأزهار في الليل والنهار) .
- أشهر كنهه معجمه اللغوي المعروف (لسان العرب) .
- توفي عا ١٣١١ هـ بالقاهرة .

الصفحة الثالثة

بل لقد بلغ السقط أحياناً إلى صفحة ونصف دفعة واحدة (ص ٥٢٦ تهميشة بخط الناسخ) ، وقد تجنب ابن بري في هذا المختصر كثيراً من الآراء النقدية التي تعرض لها الحصري ، وأسقط المقامات ورسائل الخوارزمي (٣٢٣-٣٨٣هـ) ، وبيدع الزمان الهمذاني (٣٥٨-٣٩٨هـ) ، التي أكثر منها الحصري وأعطى أهمية كبيرة للشعر الذي أورد منه الشيء الكثير .

كما اقتصر علي بن بري فيما أن به على ما فيه المتعة ، وربما يتمشى مع منهجه الذي أوضحه في المقدمة .

وعلى العموم فإن اهتمام ابن بري (٦٦٠ - ٧٣٠هـ) بزهر الآداب وبينه وبين الحصري قرابة ثلاثة قرون يدلنا على مكانة هذا الكتاب في الأوساط الأدبية وخاصة في المغرب والأندلس إذ بقيت مكانة الحصري ومؤلفاته ماثراً إعجاب طالبي الأدب والراغبين في المتعة والفائدة .

وهذا ما حدا بجمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي (٦٣٠-٧١١هـ) المعروف بابن منظور صاحب لسان العرب إلى اختصار زهر الآداب كما حكاها الصفدي (٦٩٦-٧٦٤هـ) في الوافي بالوفيات (٥ : ٥٦) وهو ممن كاد يعاصره كما أن ابن منظور من المعاصرين لابن بري . . واهتمام هذين وفي وقت متقارب باختصار زهر الآداب برهان صادق على مكانته ورغبة الأدباء في اقتنائه والتزود من معلوماته .

هوامش

(١) بباض في الأصل بمقدار كلمة كما أوضحه الناسخ .

الأبجديات

ولكن الذي حدث - وما زال يحدث - هو أن اللغة من طبيعتها التطور والتغير من حال إلى حال في الزمان والمكان كليهما . ومن ثم يصيب أصواتها وطوائق نطقها نوع من التغير أو الابتعاد عن الأشكال والأنماط النطقية السابقة ، على حين تبقى الأبجدية مستقرة ملازمة لوضعها الأصلي . وهناك بالإضافة إلى هذا العامل - عامل التطور في اللغة عنصر آخر له دور في إبراز هذه المشكلة إلى حيز الوجود . ذلك أن بعض الأمم تلجأ - لسبب أو لآخر - إلى اقتراض أبجديات لغات أخرى أو بعض رموز منها ، واستخدامها في تصوير لغاتها . هذا الاقتراض - لا محالة - له أثر كبير في هذا الشأن ، حيث إن هذه النظم أو الرموز المقترضة قد وضعت في الأساس لتفي بحاجة لغتها الأصلية . ومن المؤكد أن هذه اللغة الأصلية تختلف قليلاً أو كثيراً في خواصها الصوتية عن خواص تلك اللغة المنقولة إليها هذه النظم أو الرموز .

والنتيجة الحتمية لهذا العامل أو ذاك وجود هوة - تختلف ضيقاً واتساعاً - بين ما ينطق وما يكتب . وربما يمتد الخلاف وينمو بين الجانبين - جانب النطق وجانب الكتابة - إلى أن تصبح تهجية لغة ما مشكلة حقيقية أمام الدارسين والمتعلمين معاً ، كما هو الوضع الآن في حال بعض اللغات ونظم كتابتها .

ولقد كان هذا الوضع - وما زال - مثار الشكوى من العامة والخاصة جميعاً . ولقد ارتفعت أصوات هنا وهناك تنادي بسجوب العمل على التخلص من مثل هذه المآخذ ومحاولة علاجها . ومن ثم برز هذا السؤال المشهور المعروف : ما السبيل إلى التخلص من هذه المشكلة ؟ ، ما الطريق إلى علاجها على وجه علمي مقبول ؟

يجب أن نقرر منذ البداية أنه لا يمكن علاج هذه المشكلة من الجانب اللغوي الصرف ، أي من جانب اللغة المعنية وحدها ؛ إذ لا يمكن وقف اللغة عن مسيرتها في التطور ، أو تجميد حركتها لفترة ما ، فذلك ضد طبيعتها . وليس من الممكن كذلك التحكم في السنة الناطقين بهذه اللغة ، وإن كنا نستطيع - في حدود ضيقة جداً - أن نضع أنماط معيارية للنطق ندعو إلى اتباعها والسير على منوالها ، وبذلك نأمل المحافظة على الخواص الأصلية للغة ، ونقل في الوقت ذاته من شدة الخلاف بين النطق وطرائق تسجيله بالكتابة .

من الواضح أن هذه الكلمة (أبجديات) ترجع إلى اللفظة العربية « أبجد » التي تمثل حلقة في سلسلة معروفة من الألفاظ قصد بها إلى التعبير عن أصوات اللغة العربية بطريقة يسهل حفظها وذكرها . وهذه الألفاظ هي : أبجد ، هوز ، حطي ، الخ .

ولكننا هنا نستخدمها مصطلحاً علمياً قصد به إلى معنى أوسع وأشمل ؛ إذ نطلقه الآن على نظم الكتابة التي تتبعها الأمم المختلفة في تسجيل لغاتها . والمعروف أن الكلام أسبق من الكتابة ، أي أن الناس في مختلف الأصقاع والبقاع تكلموا واستخدموا ألسنتهم في تدبير أمورهم وشؤونهم قبل أن يكتبوا أمر أن يسجلوا ما ينطقون به من حديث خاص أو عام . ذلك أن الكتابة اختراع حديث نسبياً ، دعت الحاجة إليه عندما تقدمت أحوال البشر وتطورت وسائل معيشتهم ، ورأوا ضرورة تسجيل كلامهم أو بعض أنماطه للحفاظ عليه وتقديمه إلى الأجيال الخالفة أو لتسهيل الاتصال بينهم أفراداً وجماعات .

ولسنا هنا بصدد بيان الأصل التاريخي لهذه النظم والكشف عن خطوط تطورها في الزمان والمكان . وإنما نرمي إلى إلقاء الضوء على أهم مشكلة واجهت - وتواجه - الأبجديات على مر الأيام . تلك هي مشكلة عدم التوافق بين المنطوق والمكتوب في معظم اللغات ، حيث يأتي النطق في هذه اللغات بصورة ما وبأني تسجيله الكتابي على وجه يختلف معه قليلاً أو كثيراً . إننا لنلاحظ مثلاً في بعض هذه اللغات أن ينطق صوت ما ومع ذلك يهمل في الكتابه أو أن يوجد رمز في الصيغة المكتوبة دون أن يكون له ما يقابله في النطق ، أو أن يصور الصوت الواحد بأكثر من رمز . ومن خبر اللغة الإنجليزية وعرف شيئاً عنها يدرك هذه الحقيقة بوضوح وجلاء ، بل قد يصل به الأمر إلى حد القول بأن نظام الكتابة لهذه اللغة يسير على غير هدى ، وليست له ضوابط معلومة . وهناك لغات أخرى تحظى بنظم كتابية مقبولة في جملتها وإن كانت لا تخلو من عيوب تستحق النظر والتأمل .

والسر في هذا التصور وذاك العيب أمر بسيط وحتمي معاً . يحدثنا التاريخ اللغوي أن كل أمة من الأمم حاولت في فترة ما من الزمن أن تتخذ لنفسها نظاماً لكتابة لغتها ، يكون قادراً على تصوير النطق لهذه اللغة تصويراً كاملاً قدر الطاقة ومؤهلاً للفناء بخواصها الصوتية .

مستشركا



يقام : د. كمال بشر

غير أن هذه الأنماط المعيارية ذاتها لا تلبث بمرور الزمن أن تصبح في واد والنطق الفعلي في واد آخر ، بسبب التطور الدائم المستمر في اللغة . لهذا اتجهت الأنظار الراغبة في الإصلاح إلى الأبجديات ذاتها وإلى النظم الكتابية المتبعة ، وتركزت الجهود حول هذه الدائرة . ولقد تشعبت آراء الباحثين والمعنيين بالأمر إلى ثلاث طوائف إزاء هذه القضية .

فريق يرى حتمية التعديل في الأبجديات المعيبة التي لا تفي خير وفاء بحاجات النطق الدقيق ؛ على أساس أن مثل هذه الأبجديات تفوق العملية التعليمية وتزيد من صعوبات تعلم اللغات واستيعابها ، وبخاصة للأجانب . بل إن بعضاً من هذا الفريق لا يرى ما نص من تغيير هذه الأبجديات تغييراً كاملاً ، كأن نستبدل بها نظماً كتابية أخرى خيراً منها في هذا الشأن وأقرب إلى الوفاء ، بأغراض النطق . ولقد نودي بهذا الرأي في فترة من الزمن بالنسبة لنظام الكتابة العربية ، حيث ظهرت دعوة تروج لاتخاذ الحروف اللاتينية سبيلاً إلى كتابة لغتنا ، متناسين بذلك طبيعة هذه اللغة ومتجاهلين حقيقة العلاقة بينها وبين رموز كتابتها . وهي أمور ينبغي إدراكها والوقوف عليها وقوفاً تاماً قبل الإقدام على هذه الخطوة غير الواعية البعيدة عن الإخلاص والنظر العلمي ، على ما سوف يتبين لنا فيما بعد .

أما الفريق الثاني من الدارسين فيرى عدم المساس بهذه الأبجديات التي يظن أنها ناقصة أو قاصرة عن أداء دورها ، ويصر على التمسك بها ، وذلك لأسباب علمية وأخرى عملية .

يقرر هؤلاء أن الأخذ بمبدأ التعديل في نظم الكتابة سوف يجزنا إلى سلسلة من المشكلات المتلاحقة على مر الزمن . ذلك أن اللغة - بطبيعتها - ذات خاصية ديناميكية ، فهي لا تبقى على حالها ، بل إنها دائمة التغير والتطور في أصواتها وأنماط نطقها . فكلما أردنا مقابلة هذا التطور النطقي المستمر ورغبنا في تصويره بشيء من الدقة ، كان علينا أن نقوم بتعديل الأبجديات والنظر فيها من فترة زمنية إلى أخرى ، دون الوقوف عند حد أو زمن معين ، لأن اللغة المنطوقة لا تعرف حدوداً زمنية تقف عندها جامدة دون تغير أو تطور .

ومن الواضح أن هذا النهج المتتابع الحلقات في تعديل نظم الكتابة سوف يقود - دون شك - إلى صعوبات عملية ليس من السهل أن

نتغلب عليها . من هذه الصعوبات مثلاً :

١ - القيام بمثل هذه السلسلة من التعديلات يحتاج إلى بذل جهود كبيرة متلاحقة وإلى مال وفير .

٢ - هذا الأسلوب من العمل يؤدي إلى تعقيد العملية التعليمية ويزيد من صعوبتها ، إذ سوف يأتي اليوم الذي يشعر فيه المتعلمون بالاضطراب وعدم قدرتهم على ملاحقة التعديلات الكثيرة التي تفرض عليهم من حين إلى آخر .

٣ - هذا النهج يقود - إن عاجلاً وإن آجلاً - إلى مشكلات حضارية وثقافية ، إذ قد ينتج عن التعديلات المتلاحقة في الأبجدية المعينة اختلاف جذري عن النظام القديم . وهنا تبرز مشكلة النصوص والآثار العلمية المكتوبة بهذا النظام القديم . فإما أن نضحي بهذه النصوص والآثار ، وهذا شيء لا يمكن قبوله . وإما أن نعيد كتابتها ، وذلك أمر يكاد يكون مستحيلاً لاحتياجه إلى جهود جبارة ووقت طويل ، بالإضافة إلى ما يتطلبه من أموال طائلة .

٤ - من المحتمل جداً أن يقع خلاف بين الأمم الناطقة بلغة واحدة حول التعديل المقترح ومداه ، وبذلك يضيع عامل من أهم عوامل الوحدة اللغوية والثقافية بين أصحاب هذه اللغة .

٥ - في حالة اللغات العالمية ، كالإنجليزية مثلاً ، يقع اضطراب كبير وتضحية محققة بعالمية هذه اللغة ، إذ من المحتمل ألا يكتب الانتشار لما يحدث من تعديلات في الأبجدية ، إما بسبب الجهل بها أو لرفضها . وهناك فريق ثالث يتوسط في الأمر ولا يرى مانعاً من إدخال نوع من التعديلات على الأبجديات ، ولكن في حدود ضيقة لا تمس جوهر النظام الأصلي وتغير من خواصه الأساسية ، على ألا يكون ذلك قاعدة عامة أو مبدأ يتبع . وهذا النهج من التعديل هو من أخذ به الأمريكان عندما عمدوا إلى الأبجدية الإنجليزية وصنعوا بها صنعة خفيفاً رقيقاً ، لم يغير من أساسيات النظام الأصلي ولم يبعد به عن خواصه .

ولعله من المناسب في هذا المقام أن نلمس موضوع الأبجدية أو نظام الكتابة العربية لمسا خفيفاً في ضوء ما قررنا من حقائق وآراء ، حتى تكتمل الصورة ، وتبين حقيقة الأمر في هذا النظام المفترى عليه والمتهم بالقصور في أداء دوره

من غير العارفين .

يرجع نظام الكتابة العربية إلى تاريخ قديم لا تعرف حدوده على وجه الدقة . وكان لهذا النظام - على ما يروى - صورة أخرى تختلف قليلاً أو كثيراً عما نعهده الآن ونستخدمه في حياتنا العامة والخاصة . ولقد كان للإسلام ولرجال الأوائل الفضل الأول والأخير في صياغة هذا النظام القديم صياغة جديدة وفي إدخال عدد من الإصلاحات وأوجه التحسين عليه ، كي يفي بأغراض النطق العربي ويقابل أصوات العربية التي نزل بها القرآن الكريم مقابلة دقيقة .

يروى لنا التاريخ اللغوي مجموعة من هذه الإصلاحات ، أهمها ثلاثة ، ظهرت متتابعة لخدمة القرآن الكريم واللغة العربية بعامه . يتمثل الإصلاح الأول فيما يعرف بنقط الشكل . كانت الأبجدية العربية في القديم خالية من علامات الشكل ، أي علامات الحركات القصار : الفتحة والكسرة والضمة ، فخيف على القرآن الكريم من التحريف ، فعهد إلى واحد منهم - يقال إنه أبو الأسود الدؤلي - أن يصنع شيئاً في ذلك ، فهداه فكره إلى استخدام النقط للدلالة على هذه الحركات وفرق بينها بوضعها في أماكن مختلفة من الكلمة .

ويعرف الإصلاح الثاني بنقط الإعجام . أي نقط التوضيح وإزالة العُجْمَة والإبهام . كانت الحروف العربية في الأصل غير منقوطة . فحرف الباء مثلاً كان غير منقوط ، وكان لذلك يصلح لأن يكون باء أو تاء أو ثاء ، وكذلك رمز الحاء كان يؤخذ على أنه حاء أو خاء أو جيم . فكان لا بد إذاً من صنع شيء لإزالة اللبس بين هذه الأصوات الثلاثة التي كان يمثلها في الكتابة رمز واحد . فاستقر الرأي على وضع النقط المعهود لنا الآن ، فهناك نقطة واحدة للباء واثنان للتاء وثلاث للحاء . وهناك كذلك نقطة للجيم في موضع معين من الرمز وأخرى للحاء في موضع مختلف ، وأهملت الحاء من النقط ، وذلك كله بقصد التفريق بين الرموز الثلاثة . وهكذا صُنِعَ شيء من هذا القبيل في بقية الحروف ، كما نلاحظ مثلاً في الدال والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين الخ .

وبتففيذ هذه الخطوة الثانية من خطوات الإصلاح برزت مشكلة الازدواجية في النقط : ونعني بذلك نقط الشكل الذي قصد به إلى الدلالة على الحركات القصيرة ونقط الإعجام الذي أريد به التفريق بين الرموز لتقابل الأصوات المختلفة . ومن ثم نشأ هذا السؤال : كيف نفرق بين النقطين ؟ كانت الإجابة العملية السريعة أن عمدوا إلى التفريق بينهما بالألوان والأصباغ ، فكتبوا أحد النوعين من النقط باللون الأسود والثاني باللون الأحمر .

فلما جاء عبقرى العربية الأول الخليل بن أحمد لم يعجبه هذا النهج . ففكر وتدبر في الأمر حتى وصل إلى الإصلاح الثالث ، وهو أهمها جميعاً . عمد إلى نقط الشكل فاستبدل به نظاماً آخر بارعاً مبنياً على أسس علمية دقيقة من الدرس الصوتي . ذلك النظام هو المعروف لنا الآن وهو الذي يتمثل في الفتحة والكسرة والضمة بصورها المعهودة . تذوق الخليل الحركات قصيرة وطويلة ، أي جربها نطقاً ، فوجد أن هناك علاقة « الجزئية والكلية » بين هذه الحركات : وجد أن الفتحة القصيرة في « كتب » نصف الفتحة الطويلة نطقاً في « كاتب » وعلامتها الألف ، وأن الكسرة القصيرة في « بيع » نصف الكسرة الطويلة في « بيع » ورسمها الياء ، وأن الضمة القصيرة في « قُتِل » نصف الضمة الطويلة في « قوتل » ورمزها الواو ، وبذلك وصل إلى تلك النتيجة البارة ، بما أن الحركات القصار أنصاف الحركات الطوال نطقاً فينبغي أن تكون العلامات أيضاً على هذا النسق . ومن ثم جعل علامة الفتحة ألفاً صغيرة توضع فوق الحرف ورمز الكسرة باء صغيرة تكتب تحت الحرف وعلامة الضمة واواً صغيرة فوق الحرف . ومعنى ذلك كله أنه لما كانت الحركات القصيرة أنصاف الحركات الطويلة نطقاً فكذلك تكون علاماتها .

وقد لخص ابن جني العظيم هذا النهج الصوتي الرائع بقوله : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو . فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة . فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو . وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة » .

ولم يقف الخليل عند هذا الحد من الإصلاح بل امتدت جهوده إلى وضع علامات ورموز أخرى ذات شأن كبير ، كعلامات التنوين وهمزة الوصل والتشديد .

وجدير بنا الآن أن نقرر أن هذه النظرات التي قام بها هؤلاء العلماء الأجلاء قد وصلت بنظام التهجية أو نظام الكتابة العربية إلى درجة من الامتياز والتفوق ، بحيث أصبح هذا النظام خير سبيل وأفضل منه بالنسبة للغتنا . لقد بات هذا النظام بعد هذه النظرات متمشياً مع القاعدة العلمية المشهورة التي ينبغي تحقيقها في الأبجديات ، وهي : « رمز واحد لكل وحدة صوتية » . ومعنى هذا أن الأبجدية الجيدة هي التي ينحصر فيها رمز واحد لكل صوت ، فالياء رمز وللتاء رمز وللحاء رمز وهكذا . والأبجدية العربية بذلك تفوق كثيراً من الأبجديات كالانجليزية مثلاً التي يكتب فيها الصوت المعين بأكثر من رمز ، كصوت الـ f مثلاً فهو يكتب

بحرف f كما في fat و ph تارة أخرى كما في philosophy.

أضف إلى هذا أن اللغة العربية انمازت من غيرها من اللغات ببقائها محافظة على خواصها النطقية الأصلية وذلك بفضل القرآن الكريم وتمسك المسلمين بهذا النطق والمحافظة عليه قدر الطاقة في كلامهم الفصيح . وكانت النتيجة الحتمية لذلك أن ظل الانسجام قائماً بين اللغة ونظام كتابتها إلى حد كبير، إذ نلاحظ حتى الآن أن ما ينطق يكتب (ويكتب برمزه المخصص له منذ البداية) ، وأنه لا توجد رموز في الصيغة الكتابية ليس لها مقابل في النطق . ونستثني من ذلك بطبيعة الحال مجموعة محدودة من الكلمات خرجت عن هذه القاعدة العامة ، كما في نحو «هذا» و«طه» حيث تنطق الفتحة الطويلة (الألف) ولا ترسم في الكتابة . وكذلك نحو «أولئك» و«عمرو» حيث يوجد رمز الواو في الكتابة وليس لهذا الرمز ما يقابله في النطق .

ومهما يكن من أمر فهذه أمثلة لا تتجاوز أعداداً محدودة ، ومن السهل التغلب عليها بصورة أو بأخرى . أما الاعتراض الكبير أو النقد الشديد الذي يوجه نحو الكتابة العربية فهو يتمثل في عدم وجود رموز مستقلة للحركات القصار يدخل في صلب الكتابة ، وفي أن رموز هذه الحركات في النظام الحالي لا تعدو أن تكون علامات ثانوية توضع فوق الحرف أو تحته . وهي بهذا معرضة للإهمال والخطأ ، الأمر الذي تنشأ عنه صعوبات كبيرة في القراءة والضبط السليم .

ونحن من جانبنا نقول : هذا اعتراض وارد . ولكن يمكن علاجه بواحد من اثنين .

أولاً وجوب الالتزام بالضبط الصحيح دائماً وأبداً ، على الأقل في المراحل الأولى من التعليم ، إلى أن يبرن الدارس على القراءة الصحيحة بعامل الخبرة والزمن .

الثاني (وهو المهم) التثقيف اللغوي العام الذي ينبغي الاهتمام به على كل المستويات ، بحيث تصبح اللغة أشبه شيء بأنماط أو قوالب مستقرة من التعبير يعرفها الخاصة والعامة جميعاً ، بحيث يستطيع المتعلم العربي أن يقرأ الكلام صحيحاً سليماً .

أما الأسباب العامة فقد عرضنا لمجموعة منها في هذا البحث حين

أشرنا إلى ذلك الرأي الذي يرفض تعديل الأبجديات تعديلاً يمس جوهرها أو خواصها الأساسية .

أما الأسباب الخاصة وهي التي تعيننا في هذا المقام لخفائها على كثير من الدارسين ، فيكفي أن نعرض لأمثلة خفيفة منها بقصد توجيه النظر إلى حقيقة الموضوع .

ينبغي أن يعلم أن الأبجدية العربية لم يعد دورها مقصوراً على مجرد التسجيل الكتابي للغة ، وإنما امتدت وظيفتها وأصبحت تمثل عناصر أساسية في القواعد الصوتية والصرفية والنحوية للغة العربية وهذه نماذج منها :

همزة الوصل : لهذه الهمزة رمز كتابي معروف . ولكن هذا الرمز يشير إلى قيمة صوتية معينة في النطق . وله كذلك دلالة صرفية ، حيث إن همزة الوصل إنما تدخل في صيغ صرفية خاصة ومن المستحيل أن نجد رمزاً أجنبياً يقوم بهذه الوظائف أو يشير إليها .

التنوين : هذا الرمز البسيط المعروف للتنوين ذو دلالة صرفية ونحوية معاً ويكفي أن نعلم أن هناك باباً من أهم أبواب النحو يسمى «المنوع من الصرف» أي المنوع من التنوين .

تاء التانيث المربوطة : وهي تدل على التانيث ، هي دلالة صرفية نحوية ، كما هو معروف ، ولها قيمة صوتية مهمة كذلك . فهي تنطق هاء في الوقف وتاء في الوصل .

اللام : قد تكون شمسية أو قمرية ، وذلك بحسب السياق الصوتي المعين .

السكون : هذا الرمز - وإن كان رمزاً ثانوياً في نظر بعضهم ويدل على العدم (أي عدم الحركة) - ذو قيمة صوتية وصرفية ونحوية ، على ما هو معروف .

وأخيراً وليس آخراً **الألف والواو والياء** . نعم هذه رموز كتابية ، ولكنها في الوقت نفسه أصبحت علامات لإعراب لحالات نحوية معينة ، فالألف علامة الرفع في المثنى والنصب في الأسماء الخمسة والواو علامة الرفع في جمع المذكر السالم والأسماء الخمسة كذلك ، والياء علامة النصب والجر في جمع المذكر السالم والجر كذلك في الأسماء الخمسة .

ما الحال إذاً لو استبدلنا بهذه الرموز رموزاً أجنبية ، ربما نستطيع رسم اللغة العربية بالحروف الأجنبية . لكن : هل نستطيع بهذه الرموز أن نشير إلى تلك الدلالات الصرفية والنحوية ؟ من المؤكد أن الإجابة بالنفي . ومضمون ذلك أن استخدام حروف غير عربية سيؤدي بالقطع إلى التضحية بقواعد العربية . وما نظن أن عادلاً منصفاً يرضى بذلك بحال من الأحوال .

وصف الأقدمون المرض النفسي على أنه « العته » (بفتح العين والتاء) . وقسم الإغريق العته بحسب عمر المريض فهناك عته الشيخوخة وعته متوسطي العمر والعته المبكر . والعته كما نعرفه الآن هو فقدان المريض لملكاته العقلية (التفكير السليم ، الإرادة ، الذاكرة ، العناية بالمظهر والروابط الاجتماعية ... الخ) ، وللعته أسباب عضوية مثل تصلب الشرايين وضمور قشرة المخ والالتهابات المزمنة والأورام الخفية إلى غير هذه الأسباب المرضية التي نعرفها الآن ولم نعرف في السابق حتى وقت قريب في أواخر القرن الماضي .

وكما شغل المصريون القدماء (الجانب العلمي للطب) فأفردوا معابد خاصة للمرضى وفتحوا الدماغ ، عني الإغريق أكثر ما عنوا بالحكمة (الجانب الفلسفي أو النظري للطب) وبرعوا في الوصف والملاحظة وهم الذين ابتدعوا كلمة النفس Psyche والطب النفسي Psychiatry ووصفوا الوجدان « العاطفة » وأمراضها « مرض المرح ومرض الاكتئاب » والهرم الناتج عن الحمى والهستيريا وما ليس كذلك سمي تعمياً (بالعته) . أما الرومان فكانوا أهل عمل وواقعية وعنوا بتقسيم

الفصام مرض نفسي (أو عقلي) أو قد يكون مجموعة أمراض متشابهة فيها ، يحدث اختلافا في علاقة الفرد بالواقع بسبب تغير انطباعاته الفكرية والعاطفية والاجتماعية على غير المألوف للسويين (أي الأفراد الطبيعيين) . أو بمعنى آخر ، أن المريض يعيش في عالم خاص به .. وإن يكن هذا التعريف بسيطا ولا يدل دلالة كافية ليصف مريض الفصام بدقة ، إلا أنه يجب معرفة مريض الفصام حتى يسهل ادراك ما هو هذا المريض .

الفصام .. في التاريخ

عرف الفصام في صورته التي نعرفه بها الآن منذ فجر التاريخ وإن اختلفت مفاهيمه على مر الأجيال عند الباحثين والمستغلين به . ولذا يستحسن أن نأتي بنبرة تاريخية عن تطور مفهومه ، وهي على كل حال تعتبر في مضمونها قصة تاريخ الطب النفسي .

الفصام

أسبابه .. وأنواعه ..

بقلم: د. عبدالرؤوف شابت

الأمراض النفسية إلى أمراض قابلة للشفاء وغير قابلة للشفاء وبينوا حقوق المرضى ووضعوا في التشريع المسؤولية الجنائية المخففة والأحوال التي يجوز فيها الحجز على المريض ... الخ . وهم الذين نبذوا كلمة المجنون على أنها سوقية . إلا أنهم لم يعتنوا كسابقيهم بالوصف ولم يبحثوا عن أسباب ذلك المرض .

عني الأطباء العرب بالحكمة والتطبيب معا ، وكان الرازي مديرا لمستشفى بغداد حوالي عام ٧٠ هجرية ، وكان هذا المستشفى يحوي قسما للأمراض النفسية ، ثم جاء بعده رجل أحب الطب والناس وهو الطبيب أو الحكيم ابن سينا وقال إن (العتة) قد يكون له أسباب عضوية وعالج بالطرق النفسية المتعارف عليها في ذلك الوقت .

شغل الأطباء العرب نظرية الأخلاط (السوائل الجسمية) وقسموا النفس تبعاً لتلك الأخلاط ، مائي ودموي وصفراوي وسوداوي . وكتبوا (راجع كتاب القانون في الطب لابن سينا) . عن اضطراب الأخلاط ونتائجها في تغيير النفس وقالوا إن الأسباب المحدثه للاضطراب هي الاجهاد في العمل ، الفراغ العملي ، كثرة الحب ، الحرمان من الحب ، الثراء الفاحش ، الفقر المدقع . الخ . وبالطبع لم يذكروا الرائي (التليفزيون) أو الكونكورد !

في العصور الوسطى ظهر مسبب آخر للمرض النفسي وهو الجن والروح الشريرة التي تقمصت أجسام المرضى ، ولولا تعاليم الاسلام السمحة والأحاديث النبوية الشريفة التي نادت بالعطف والعناية بالمرضى لغالوا من العذاب والقتل والحرق ما نال أمثالهم في الغرب .

انتشرت المستشفيات العقلية في العالم العربي وعومل المرضى فيها معاملة حسنة رحيمة وعولجوا بالرفق والفصد والحجام والعسل الأسود والأبيض . ثم نهضت أوروبا من سباتها وانفتح عنها الظلام في القرن الثامن عشر ، وفتحت المستشفيات أبوابها للمرضى العقلين ونشط البحث عن الأسباب العضوية لهذه الأمراض . ولم تجيء نهاية القرن الماضي حتى عرفوا أن نصف المرضى المصابون بالعتة يعود مرضهم إلى مرض الزهري والالتهابات الخفية والأورام وغيرها .

بقي جزء كبير من (مرضى العتة) لا يعرف سبب مرضهم . ووجدوا أن هؤلاء المرضى عادة من صغار السن ، فسمي المرض كما نعرفه الآن بالعتة المبكر Dementia Praecox سنة ١٨٨٣ م بواسطة علامة يدعى إميل كريبلين Emil Kraepelin ولكن يوجين يلويلر Eugen Bleuler لم تعجبه كلمة (العتة) لأنها تدل على تدهور العقل بينما الفصاميون لا يتدهورون عقلياً مهما طال بهم المرض . وسماه بالشيذوفرنيا Schizophrenia كما يعرف بها الآن سنة ١٩١١ م ، وكلمة شيذو تعني بالألمانية فصم أو تفكك وكلمة فرينيا معناها النفس أو العقل . وعلى كل فكلمة الشيذوفرنيا لا تدل على شيء من حيث

وصف وتعريف المرض تعريفاً طبياً كبقية المصطلحات الأخرى كما سيأتي بعد . إلا أن لها وقعاً موسيقياً منغماً في الأذن أبقى عليها إلى الآن . أما كلمة الفصام كما نعرفها وتداولها في اللغة العربية فهي من وضع الأستاذ يوسف مراد في أواخر الثلاثينات ، وهي للأسف كمثلتها بالمصطلح الغربي لا تدل على طبيعة المرض أو مسيرته في المريض .

ماهية مرض الفصام

لما هو مرض الفصام كما يصطلح عليه الآن ؟ إنه مرض مزمن ، فلا يصح وصف المريض بأنه فصامي قبل مضي ستة أشهر على الأقل على ابتداء المرض معه ، بحيث لا يظهر على المريض أثناء هذه الفترة أي أعراض وجدانية (فرح أو حزن) . ومن الأعراض وجود معتقدات غريبة (هذات) وهلوسة (سماع أصوات أو رؤية أشباح) مع أن المريض غالباً ما يكون واعياً ولم يفقد التوجيه الحقيقي للزمان والمكان أو الأشخاص المعروفين لديه . وبالإضافة إلى ما ذكر ، يصعب التفاهم مع المريض بسبب عدم تسلسل أفكاره أو فهم منطقته . بجانب كل هذا يجب توفر ثلاث نقاط من الخمس الآتية :

- ١ - أن يكون المريض أعزباً (يلاحظ أن كثيراً من مرضى الفصام لا يميلون إلى الزواج وإن تزوجوا يطلقون في الغالب أو ينتهي بهم الأمر بحالة انعزال عن الزوج أو الزوجة) .
- ٢ - أن يحدث المرض قبل سن الأربعين (في أغلب الأحيان) .
- ٣ - أن يكون أحد أفراد الأسرة أو العائلة مصاب بالفصام أو ما يشبه الفصام (أحياناً) .
- ٤ - أن تكون شخصية المريض قبل مرضه غير متكيفة اجتماعياً أو عملياً (مهنيّاً) .
- ٥ - ألا يكون سبب الأعراض سألغة الذكر تناول العقاقير المنبهة أو المخدرة أو المشروبات الكحولية لفترة لا تقل عن عام قبل حدوث المرض .

وهناك تعريف آخر للفصام وفيه يشترط وجود أربعة أعراض أساسية يجب وجودها قبل أن يتأكد من وجود المرض على التحديد هي :

- ١ - تفكك الترابط الفكري ، ومعنى ذلك أن أفكار المريض لا تتداعى تداع منطقى يخدم الفكرة التي يريد نقلها إلى سامعه بحيث أن من يستمع له يجد نفسه بعد فترة وكأنه (لا راح ولا جاء) وقد يبدو المريض متزنّاً ظاهرياً وفي تمام الوعي .
- ٢ - انفصال التفكير عن العاطفة ، كأن يضحك وهو يروي قصة محزنة أو يبكي وهو فرحان .
- ٣ - التضارب العاطفي (الوجداني) أو ما يسمى بثنائية المشاعر ، كلنا قد نكره إنساناً أو نحب إنساناً وقد نحبه في وقت ونكرهه في وقت آخر أو قد نحب فيه بعض الخصال ونكره فيه خصالاً أخرى ، ولكننا لا نحب ونكره شخصاً أو موضوعاً واحداً في نفس السوكت وفي فكرة واحدة .

إلا أنه يلاحظ في تلك البلاد أن كثيراً من الفصامين ينحدرون بسبب مرضهم إلى الطبقات الأقل من طبقتهم الاجتماعية بسبب تركهم للعمل وميلهم إلى الحياة الأبسط وعدم استطاعتهم مزاولة ومعايشة أترابهم وتسمى هذه الظاهرة بالانحدار الطبقي . وليس مؤكداً أن الطبقات ذات الدخل المحدود أو الفقيرة أو المتخلفة حضارياً (تفرخ) مرض الفصام أو أن بدوز الفصام تكمن فيها .

(ج) أسباب عائلية : يلاحظ من دراسات للعائلات التي جاء منها مرضى الفصام المزمين أن عدداً كبيراً منها يحوي بين أفرادها مرضى الفصام أو ما يشبه الفصام . ومن هذه الدراسات لوحظ أن الفصامي يأتي في الغالب من أسرة يكون العلاقة بين الوالدين على أحد الأنماط الآتية :

١ - لا ترابط عاطفي بين الوالدين أو ما يسمى بالانفصال العاطفي أو الطلاق العاطفي .

٢ - أو أن العلاقة بين الوالدين علاقة ظاهرية فقط أو علاقة مظهرية ولا ارتباط عاطفي أو فكري خلف الواجهة الزوجية .

٣ - أو أن يمتد الشقاق بين الوالدين عميقاً وحاداً ، كأن يكون أحدهما شديد التسلط والقسوة والآخر شديد الاستكانة والخنوع . ومعروف أن الطفل الصغير والحدث يلاحظ ويسجل في ذاكرته كل الانطباعات ، وقد يدهش الآباء إذا عرفوا أن المدرسين والبحرانيين يعرفون عنهم وعن أسر البيت والأسرة من أطفالهم ما لم يكن يظنون أن ذلك سينقل عنهم من صغارهم . .

ومع ذلك فبالرغم من القاعدة أن الأسرة السليمة (الدافئة العلاقة) لا تنتج في العادة مرضى فصامين إلا أن كثيراً من الأسر بها العيوب سائلة الذكر ، ولكنها أيضاً لا تنتج فصامين .

(د) أسباب كيميائية : تدل الأبحاث أن العقل يعمل بواسطة كيمياء حيوية تؤثر في خلايا المخ فتجعلها تعمل بنظام وترابط . فإذا اختلفت هذه المفعلات الكيميائية اضطرب العقل ومن هنا فإننا نداوي الفصام بالعقاقير ضد الفصام كالكلوربرومازين Chlorpromazines. والهالوبيريدول Haloperidol.

(هـ) الانطوائية : يلاحظ أن ٣٥٪ من مرضى الفصام كانت لهم شخصية انطوائية قبل حدوث المرض ولهذا يجب تشجيع الأطفال والشباب الانطوائيين على الخروج من عزلتهم واحتمالهم بأنفسهم لنفسهم بأن يشاركوا في أمور الأسرة ويحنوا على الخروج في المجتمعات والسفر أو حتى ادخالهم مدارس تهتم بالنشاط الاجتماعي وتنمية الشخصية بجانب العناية بالدراسة . على أن الأمر ليس على هذا النحو دائماً ، فمن المعروف أن نصف الفصامين لم تكن لهم شخصية انطوائية أصلاً بل إن البعض يقرر أن الفصام لا يسبقه نوع معين من الشخصية .

(و) وأخيراً وليس آخراً ، نظرية الصراع النفسي الداخلي . فمن المسلم به الآن أن الحياة والتكيف السليم في المجتمع هما نتيجة للتوازن

أما مريض الفصام فقد يكره ويحب في وقت واحد وتحتل مشاعره حيال رفيقه أو صاحبه أو طبيبه بحيث يحبه حباً شديداً وقد يكرهه كرها شديداً في نفس الوقت وعلى طول المدى . وتطالعنا الصحف بين الوقت والآخر بحادثة قتل وقد نقل عن القاتل بالبنط العريض « قتلها لأنني أحياها » فإذا قرأنا ما بعد العنوان وجدنا أن المريض القاتل لم يعرف القتل أو القتيلة معرفة أكيدة أو كان على صلة وثيقة بها أو به ولم تقم العلاقة بينها إلا في خياله . على أنه والحمد لله من التادر حدوث مثل هذا التعدي من مرضى الفصام .

٤ - الانطوائية ، أو ذاتية التفكير . ومعناها أن تفكير المريض يدور حول نفسه وكأنه هو محور هذه الدنيا وما عداه لا أهمية له . فهو قليل القراءة للصحف أو السماع إلى المذياع أو الجلوس إلى الرافي إلا إذا كان يفتش عن شيء أو يتناوله بالخصوص وإن لم يجد قد يتدع هذا الموضوع .

وليس للهلوسة أو الهذيان أو فقدان الشعور بالشخصية (وكانه ليس هو أو أن الدنيا ليست هي الدنيا كما عرفها) أهمية كبرى ، فمن الملاحظ أن هذه الأعراض تحدث في أمراض نفسية أخرى كذلك . ولكن وجودها مع الأعراض الأساسية السالفة الذكر يقوي من الثقة في التشخيص . . قابلت أحد المرضى الجدد في المستشفى وكان يعرف أن والده حضر لمقابلتي في اليوم السابق قال لي محيياً « أهلاً يا دكتور ، صباح الخير ، إن صحتك لا تبدو على ما يرام وتفوح منك رائحة غير طيبة فيستحسن أن تعني بنفسك . قبح الله أبي وعلى كل فهو رجل محبوب جداً » من يسمع هذا الكلام يظن أن المريض يشكلم كلاماً بلا معنى أو فارغاً ولكن المدقق سيعرف أن المريض قصص كل جملة قالها ولها عنده مغزى ، فقد كان غاضباً على (صحتك متدهورة) لأنني قابلت والده وتأمرت مع الوالد عليه (تفوح منك رائحة غير طيبة) وكان يشعر بالذنب حيالي فقال (يحسن بك العناية بصحتك) أما تضاربه الوجداني حيال والده فواضح من الإشارة إليه في نهاية حديثه معي (قبحه الله إنه رجل أحبه) .

أسباب ظنية لحدوث الفصام

(أ) الوراثة : يقول بعض الوراثيون إن التوأمين من بويضة واحدة إذا أصيب أحدهما بمرض الفصام فإن احتمال حدوث المرض في الشقيق الآخر هو بنسبة ٦٠ أو ٧٠٪ ، إلا أنه يلاحظ أن أكثر من نصف الفصامين لا يأتون من أسرة فيها فصام ، أي أسر طبيعية ، ومن الملاحظ كذلك أن نسبة الفصام في عائلة المريض ضئيلة ومن هذا لا نستطيع الجزم بأن الفصام مرض وراثي إلى حد كبير .

(ب) أسباب أو عوامل بيئية : في كثير من البلاد يجيء أكثر الفصامين من الطبقة ذات الدخل المحدود . أو بمعنى آخر نسبة الفصامين من الطبقة ذات الدخل المحدود إلى مجموع هذه الطبقة يزيد بكثير عن نسبة الفصامين من الطبقات العليا إلى مجموع هذه الطبقات .

بين الغرائز (التغذية - الجنس - الراحة - الحركة) والضمير والعالم الخارجي . ولا يستطيع أن يعمل الإنسان عملاً ذهنياً مجدياً لأن الصراعات إذا اختلفت فإنها تعطل أو تعوق من التفكير . ومعظمنا قد جرب مثلاً تأثير الراحة أو عدم الراحة (النوم) على تفكيره وأدائه .

والخلاصة : أنه من الناحية السببية ، في رأيي ، أنه ما دمتنا لم نصل بعد إلى حقيقة التفاعلات الكيميائية بالمخ وكذلك اختلاف الأنسجة الخفية التي يعتقد أنها أكثر المسببات أثراً في حدوث الفصام فإن المعركة الطبية لاييجاد السبب الحقيقي ستستمر إلى حين . وبعض المراكز الياحثة تقوم الآن بدراسات في أسباب لم نفكر فيها من قبل مثل الفيروس Viruses وهي ميكروبات دقيقة جداً مثل ميكروبات الانفلونزا . أو الاختلافات الناتجة عن المناعة الذاتية autoimmune التي من نتائجها حدوث مركبات يظن أنها ضارة تؤثر في المخ . وإلى أن يكتشف السبب الحقيقي للفصام فإن الأسباب النفسية والاجتماعية والبيئية والأسرية التي ذكرت سالفاً يجب أن تستحوذ على أقصى انتباهنا واهتمامنا لأنها إذا لم تكن الأسباب (الحقيقية) للفصام فهي على الأقل من العوامل التي تساعد على استمرار المرض أو على الأقل تسبب في اظهار المرض في من عنده الاستعداد ، وصدق من قال تعددت الأسباب والفصام واحد .

إذن فالفصام مرض نفسي مزمن يحدث أول ما يحدث في سن المراهقة أو بعده بقليل (في أوائل العشرينات) . يصيب الشبان والشابات بأعداد متساوية . يتوقع حدوثه في واحد من كل مائة شخص في حياة الفرد وتقدر درجة انتشاره بنسبة ٣٪ بين أفراد المجتمع ، ويعتقد أنه من كل حالة فصام تعرض في العيادات النفسية يوجد عشر حالات فصام مستترة تعيش في المجتمع دون أن يلجأ المريض أو ذويه إلى طلب المشورة الطبية . ويذهب كثير من هؤلاء إلى الطبيب العربي أو رجال الدين ولست معارضاً للجوء هؤلاء المرضى لهؤلاء السادة الأفاضل فقد يعرفوا أشياء نجهلها نحن الأطباء وقد يرتاح بعض المرضى إلى طرقهم العلاجية أكثر مما يرتاحون في مكاتبنا المتفرجة .

وليس كل مريض نفسي بمرض الفصام الذي لا يجوز تشخيصه بالتأكيد قبل مضي ستة أشهر على حدوث المرض . ولا يصح إطلاقاً تشخيص مرض الفصام إذا حدث اختلال نفسي (انهيار) مؤقت لمدة أسبوعين أو شهر أعقبه شفاء . وليس صحيحاً أيضاً أن هؤلاء المرضى الوقيتين ، كما يعتقد بعض الأطباء ، سيرتدون مرة أخرى في الانهيار أو أن المثل الطبي القائل « بأن الفصام إذا حدث مرة فإنه يتكرر دائماً بشكل فصام في المستقبل » له أي أساس من الصحة أو الواقع . وكثير ما يأتي عيادتنا مريض مصاب بالقلق أو الاكتئاب أو أي اختلاف نفسي بسيط ومعه تقرير يقول (لمن يهمه الأمر) إنه منذ خمس سنوات (مثلاً) أصيب السيد فلان بمرض الفصام استمر معه لمدة أربعة أو خمسة

أسابيع وقد عولج منه تماماً ويمكنه العودة إلى عمله . فإذا كان الطبيب متسرعاً قال « إنه فصام آخر » وعلى القارئ ادراك نتيجة هذا الحكم المتسرع الخاطيء .

أنواع الفصام

أولاً : الفصام الحقيقي

- ١ - الفصامي ذو المعتقدات الخاطئة .
- ٢ - الفصامي كثير الحركة والضحك والسخف في التفكير والكلام .
- ٣ - الفصامي الهاديء غير المكترث العازف عن المجتمع .

ثانياً : القصام الكاذب

- في الغالب ليس فصاماً بل قد يكون أمراض نفسية أخرى .
- ١ - الفصام القصير المدة .
 - ٢ - توهم المرض العضوي وكثرة التردد على العيادات العامة بدون مبرر .
 - ٣ - الفصامي غير الفصامي أو الحالة الحدية (لا هو بالفصام ولا هو بالطبيعي) .
 - ٤ - الفصامي المتعاش في المجتمع .
 - ٥ - الاضطراب العصبي الحاد الوقتي .
- هذه الأنواع الكاذبة يجب استشارة الطبيب النفسي الكثير الخبرة والدراية قبل البت في تشخيصها لابتداء المشورة وطرق علاجها . لأن الشفاء فيها أكثر تأكيداً .

ثالثاً : الأمراض التي تتشابه مع مرض الفصام

- ١ - الانهيار العصبي نتيجة أزمات اجتماعية . ويلاحظ أنه إذا كان المؤثر الاجتماعي المسبب للانهيار قوياً كان أيسر والنتيجة حميدة . وهذه الحالات كثيرة الحدوث في السجون وفي الجماعات أو الهجرة وكثير من الطلبة الذين ذهبوا للدراسة في البلاد الغربية اضطربوا وعادوا إلى بلادهم بسبب اضطرابهم ثم لا يلبثوا أن يعودوا لحالتهم الطبيعية بعد وصولهم إلى أرض الوطن (كأن الجهاز السري F.B.I يتجسس عليهم) .
- ٢ - حالات الحزن الشديد مع فقدان الشعور بالشخصية ، وتحدث كثيراً في الشابات عقب حالة وفاة في الأسرة ويشفين بالعقاقير المضادة للحزن والتبصير العلاجي النفسي .
- ٣ - أزمات أو اضطرابات سن المراهقة . كثير من الشباب من طلبة المدارس الثانوية والجامعة ، قد اضطربوا وأصيبوا بغربة الشخصية والتصرفات نتيجة لتحديات المجتمع وقسوة التقاليد والقيود

حالات تنذر بالشفاء

أولاً : النقاط الحسنة (الحميدة) الانذار :

- ١ - حدوث المرض فجأة أو بشكل حاد .
- ٢ - حدوث المرض نتيجة عوامل نفسية (صراعات) أو جسمانية (بعد العمليات الجراحية وفصام عقب الولادة) .
- ٣ - تماسك واتزان الشخصية قبل المرض ومنها أيضاً ارتفاع ذكاء المريض وحدوث المرض في سن متأخرة (بعد الأربعين) .
- ٤ - وجود حالة حزن واضحة على المريض أو ما يشبه التوهان أو التغبش في الوعي .

ثانياً : النقاط سيئة الانذار :

- ١ - حدوث المرض في سن مبكرة (المراهقة) وببطء في شخصية غير متكيفة اجتماعياً أو مهنيًا .
 - ٢ - قلة حظ المريض من الذكاء .
 - ٣ - إذا كان المريض أعزباً أو مطلقاً ومضى على إصابته بالمرض ستة أشهر على الأقل (أو سنة) قبل دخوله مستشفى الأمراض العقلية .
- ويلاحظ أنه على العموم يشق مريض الفصام الحقيقي بنسبة ٣٥٪ و ٣٥٪ منهم يتحسنون لدرجة تمكنهم أن يعيشوا عيشة مسورة في المجتمع قد تكون عملية ومجدية ، وأن ٢٠٪ من المرضى لا يشفون غالباً ويستحسن ادخالهم مستشفيات الأمراض النفسية أو الوحدات (المستوصفات النفسية) كما سيجيء ذكره بعد .

العلاج

كثيراً ما أتردد إذا طلب مني أن أكتب عن علاج مرض الفصام لأن الفصام قبل كل شيء مفهوم أكثر منه مرضاً محدداً ولأن أسبابه غير معروفة يقيناً ولأن علاجه يتطلب ، فوق الدراية التامة به ، فناً وتعاطفاً في المشاركة بين الطبيب والمريض وأهل المريض أكثر من أي مرض عضوي أو مرض نفسي . ولأن العلاج يتطلب اتخاذ خطوات عدة تختلف وتنوع حسب حالة المريض .

أولاً : الفصام حميد الانذار : وهذا أمره سهل وعلاجه مضمون على يد الطبيب الاختصاصي الذي يجب استشارته في بداية الأمر .

ثانياً : الفصام الحقيقي المبكر ، كلنا نحن السويين ، مكبلون بالواقع والتقاليد والوهم . تدور حياتنا في مسار معلوم من صنع « الخبراء » ، خبراء في التربية ، خبراء في الإدارة ، خبراء في الاقتصاد حتى أصبحنا في عالم الشهادات والمال . المجتمع الرأسمالي يحترم الفرد بما يملك من أموال ، والمجتمع الاشتراكي لا يحترم الفرد كثيراً ويهتم بالإنتاج ولزاماً على الفرد أن ينتمي للمجتمع الذي يعيش فيه . والانتفاء حقوق وواجبات .

الأسرية المترتبة ، ويلاحظ أن في هذا السن تكون عقلية الحدث متنبهة ومتدفقة وكثير منهم يصابون بنوبة في الاجتياح الاجتماعي والديني ، وقد يقعون في أيدي الشرطة أو يلتمنون على المخدرات أو يتجه استعدادهم الدراسي العادي إلى البحث فيما وراء الطبيعة وما أشبه مما لا يقدر عليه العلماء . ويكفي أن نجلس مع هذا الحدث عدة مرات حتى نكسب ثقته فنذكر أنه شاب ذكي ، لطيف مستعد للتفاهم والعودة إلى مجرى الحياة الطبيعية بأقل مجهود من الطبيب أو الاختصاصي النفسي الفاهم لعقلية .

٤ - الأعراض الفصامية التي تنشأ نتيجة أمراض المخ العضوية . مثل تصلب الشرايين والأورام والالتهابات وحالات الضمور المخي وارتفاع التسمم البولي (الكلوي) . ويديهي أن الطبيب المدقق يستطيع بسهولة اكتشاف السبب بالطرق الكشفية (الاكلينيكية) البسيطة ، كفحص البول أو فحص قاع العين أو قياس ضغط الدم أو تحليل الدم إلى غير هذه الفحوصات التي يمكن عملها في العيادة الخارجية في سر وسرعة وبأقل التكاليف . ولا أستطيع هنا أن أتصور أن طبيباً مهما قلت خبرته قد يغيب عليه الالتفات لهذه الأسباب فيترك الأصل - المرض العضوي - ويشخص أو يعالج الحالة على أنها فصام .

٥ - تعاطي الامفيتامينات (الحبوب المنبهة والمنقصة للوزن) . كثير من الشباب يتعاطى الحبوب المنبهة قبل الامتحانات وكثير من الزوجات والشابات يتعاطين هذه الحبوب لانقاص وزنهن والحفاظ على الرشاقة . وغالبية هؤلاء يتناولون هذه العقاقير سراً لكي لا يقال عنهم بأنهم أقل من غيرهم نشاطاً وتحصيلاً أو أن الرشاقة من خواصهن الجميلة . وبعض سائقي النقل الثقيل الطويل المسافة يلجأون إلى تعاطي هذه الحبوب لتعينهم على مشاق الطريق مما ساعد على انتشار هذه في السوق السوداء . ومن مضاعفات هذه العقاقير ظهور أعراض تشبه الفصام في المريض المتعاطي . وتسمى هذه الأعراض الفصامية عند الزوجات وريات البيوت « بأعراض الزوجة المتعبة » لأنها تشعر بالتعب مع قليل من الجهد . وبعض هؤلاء المرضى يدخلون مستشفيات الأمراض العقلية خطأ على أنها حالات فصام ، ولكن لو فحص البول للكشف على مادة الامفيتامين فيه لعرف السبب ونسطل العجب . . . ولا يمكن تفادي دخول هؤلاء المرضى المستشفيات . وغالباً ما يشفوا بعد إيقاف تناولهم للحبوب .

٦ - بعض أنواع الصرع تحدث فيها أعراض تشبه أعراض الفصام . ولكن هذه الأعراض يصعب معرفتها إلا بواسطة الطبيب المتخصص . ويستعين هؤلاء الأطباء بجهاز رسم المخ الكهربائي للتحقق من الصرع . وعلاجها ميسور بالعقاقير ضد الصرع . وأحياناً (نادراً) ما يلجأون إلى عمل جراحة في المخ (الشق الصدغي) .

هذه الأمراض تتشابه مع مرض الفصام ، لكنها ليست بالتأكيد فصاماً .

ومن حق كل فرد أن يأكل ويحب ويأمن ويرتاح ، ومن واجبه أن يعمل ويطيع ويخاف ويؤمن بالموت . وهذه معادلة من الدرجة الأولى تساوت فيها الحقوق مع الواجبات . أو بمعنى آخر ، الواجبات يذهب الحقوق . فإين الإنسان من كل هذا ؟ إنه على قدر ، ليس مع الدنيا ولكن مع عقله ، وكلمة عقل في اللغة العربية من عقل الدابة أي ربطها من ركبها حتى لا تشطح . ومن القول « اعقلها وتوكل » والإنسان العاقل هو الذي يمثل لتلك المعادلة ، معادلة الحقوق والواجبات . وهي على كل حال معادلة نتيجتها صفر ... هكذا ... حقوق=واجبات .. وإذا فحقوق=واجبات=صفر .. والصفر هنا هو الموت أو هو الصح أو الحق . وأنا ، وقد تكون أنت ، والحمد لله ، رضية أن أكون صفرأ نزولاً على رأي الخبراء والمصلحين لورقي الاجتماعية أو الدنيوية . ولكن مريض الفصام أو بمعنى أصح الفصامي رفض هذه المعادلة أصلاً حينما رفض أن يكون له عقلاً متقيداً . فهل يلام على هذا ؟

لقد ارتضى لعقله أن ينطلق من عقاله وصمم (وربما لأنه عنيد) على ألا يقيد عقله بقيود . وهدهاء عقله أن يعيش في عالم الحقوق بلا واجبات فهل يلام على ذلك ؟ إنني من أشد المعجبين (حسداً مني) بالفصامين ، العاملون منهم في المجتمع والمحجوزين في مستشفيات الأمراض العقلية على السواء . فمنهم الفنانون والمفكرون والمتفوقون في أعمالهم على اختلاف أنواعها . وفيهم المستسلمون لحكم المجتمع القاسي والرضا بالقليل ، ومنهم من زاد في استكانته واستسلامه فارتضى العيش في « عنبر » متوار خلف جدران عالية . وينقسم هؤلاء الفصامين من الناحية العلاجية إلى عدة أقسام :

أولاً : فصاميون لا يشكون من الفصام ، ولا يسببون بسبب فصامهم ، لغيرهم أو لذويهم أي مشكلة . وفي رأيي أن يترك هؤلاء وشأنهم . فالفصام في مفهومه بالنسبة لهؤلاء (المرضى) قد يكون « رحلة » للعقل في المجال الفكري أو العاطفي وقد تعود عليهم بالنفع (أو الضرر) ، لسنا نذري ، ولا يصح هنا توقع الضرر قبل حدوثه ، لأن النفع سيفيد (تذكر أنني قلت عن المفكرين والمبدعين) أما الضرر فحسوب على المجتمع بحكم تركيبه ، ولأن أغلب الضرر لا يأتي من الفصامين .

ثانياً : فصاميون لا يشكون من أعراض فصامهم ويسببوا لغيرهم أو لذويهم بسبب فصامهم مشاكل ، وهؤلاء يجب علاجهم في المستشفى قبل أن يكون قد طال المرض معهم لمدة كافية . في الغالب يحضر إلينا آباء يشكون من أن ابنهم لا يريد الذهاب إلى المدرسة هذا العام .. أو أن فلاناً لا يريد البقاء في عمله « المرموق » (كذا) . أو يريد الطلاق من زوجته . مسكين الطبيب النفسي ! ما الذي يمكنه عمله في هذه الحالات ؟ لو قال لذوي المريض ، « دعوه وشأنه فربما غير رأيه فيما بعد »

لوصف بأنه غير طيب (ولماذا إذن حضرنا إليك ؟) . وإذا قال للمريض اذهب إلى مدرستك أو لا تترك عملك أو لا تطلق زوجتك . أجابه المريض وماذا تعرف عن المدرسة أو عملي أو زوجتي ؟ ..

كل ما أريده من القارئ أن يفكر فيما ذكرت قليلاً ولا يتعجل الحكم علي أو ابداء فتواه في كيف يتصرف هو لو كان مكاني .. ولا أعرف حبواً أو حقناً تجعل الطالب يعود إلى مدرسته أو يبقى الموظف في عمله أو يحب الزوج زوجته . ويجب ألا يغيب عن بالنا أن وسائل الاقناع أو الإيحاء أو الرقيا أو السكي أو الضرب لا تنفع مع الفصامين . وقد يصلح تفكيرهم مع الوقت وكثيراً ما يحدث ذلك .

ثالثاً : وهو الأهم ، فصاميون يشكون من أعراض الفصام ويسببون لذويهم أو لغيرهم مشكلة . وهذا هو شغل الطبيب النفسي وعقدة المنشار وعك تجربته وعمله وفنه . بل إنني لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنها من أهم مشاكل المجتمع . لعلاج هذه الحالات يجب أن يشترك « فريق » مكون من الطبيب النفسي والأخصائي الاجتماعي والممرض والمشرف التربوي وصاحب العمل أو الرئيس وأهل المريض . وكل من له علاقة به .

على الطبيب أن يقدر الانذار ويضع خطة للعلاج تبعاً لذلك ، فإذا كان الانذار حميداً فيجب أن يشحذ كل القوى العاملة والمتعاونة معه على محاربة المرض بالعقاقير والراحة والمعاملة الحسنة والفهم واحترام رغبات المريض وحرية الذات (الشخصية) والعمل على تطوير بيئته وأسرته حتى تتلاءم مع إمكاناته وقدراته . وعلى « الفريق » أيضاً أن يبذل قصارى جهده - كل فيما يخصه - لايصال المريض إلى بر العافية أو التحسن المرضي مع الملاحظة أن الفصام مفهوم عسير وأن شيئاً يعود بالنفع على المريض وأهله أحسن من لا شيء . أما إذا كان الانذار سيئاً فيجب أن يكون عند الطبيب الشجاعة والحكمة بأن يصرح بذلك حتى يعرف أهل المريض وذويه أين يقفوا وكيف يتصرفوا . وإنه من المؤسف ألا يوجد بالمملكة نظام الصحة النفسية البيئية حيث يهتم بالمريض المزمّن ويعالج في بيئته وفي المكان الذي يحبه ويختاره . ولا يوجد عندنا حتى الآن إلا مستشفى الأمراض النفسية في الطائف .

ورأيي أن تعمم المستوصفات النفسية الصغيرة في جميع أنحاء المملكة على غرار وحدة المدينة المنورة . وسوف يكون عندنا وحدة في مستشفى الملك خالد الجامعي بالرياض وسيتبعها بإذن الله وحدة في جدة ، ثم في المنطقة الشرقية وبذلك نكون قد خطونا خطوة كبيرة في مجال الطب النفسي الحديث .

العام الجديد

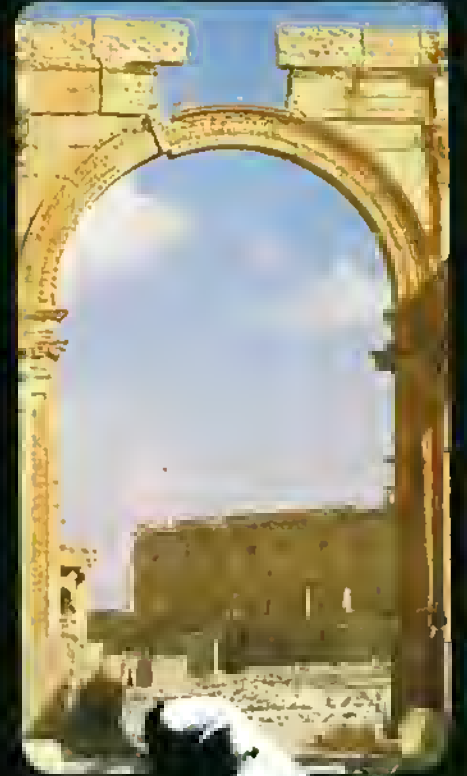
شعر: زكي قنصل

تلاقي على استدلالنا ألف واغل
فهل يدفع الشر الويل كلام
يحل لهم ما لا يحل لغيرهم
ونحرم مما ليس فيه حرام
شريعته أن الفضاء لكاسر
فلا يتعرض للعقاب حمام
إذا نار منكوب أعادته حربة
وإن صاح مجروح نهاه لجام
عقدنا على «نادي السلام» رجاءنا

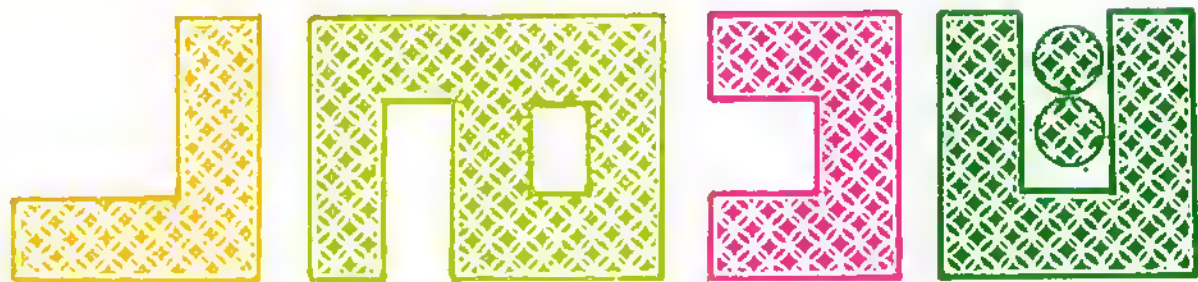
فكنا كمن يهدي خطاه ظلام
سرت «الأفعى» إليه فقبضت
شرايعه المثلى فهن حطام
تباركت فرق الغافلون لدمعها
وأكدت بالك في السحاب جهام
ومن عجب تراثي القلوب لقايل
وتهمي على قبر القليل سيهام
حنائك يا عاماً هل هلاله
حنائك فالأمال فيك جسام
رعينا ذمام العالمين ولم نزل
فهل صاع بين العالمين ذمام
نريد لأبناء العروبة دولة
يذود يرأع دوماً وحسام
نقوم على التقوى ونُدعم ركنها
إخاء يساوي بينها ووائم
نريد لأخوان تشرد مثلهم
وتأثروا على شوك الهوان وقاموا
نريد لهم أن يسردوا ديارهم
وتطوي إلى دهر الدهور خيام
نريد لكل الناس ألا يصيبهم
بلاء، وألا، يستجد خصاص
وأن نمحي بين الشعوب فوارق
وأن ينطفي بين القلوب ضرام
نريدك يا عام الرجاء محبة
وسلماً .. وإلا لا عليك سلام

مضى العام يا قلبي وأقبل عام
أبأي مع الفجر الجديد سلام
أطل ونار الشر في نظرائه
وولى وفيها شدة وعرام
نشيع بالشكوى من العمر حبة
فهل في سماء الظالمين غمام؟
وهل يهدي خيران صناع طريقه
وشردة بين القفار قمام؟
وهل يجد المظلوم في الناس رحمة
ويعلو لأصحاب العقول مقام؟
مضى العام لم يترك لنا غير غصة
وشرق بالماء الزلال مضام
صبرنا على البلوى فلم نجد صبرنا
ومنا فأودي بالرجاء منام
بلادي بين الثاب والظفر نهبة
وأهلي شراب لليردى وطعام
مضى العام تتلو نكبة فيه نكبة
وهوي نظام كي يقوم نظام
وتجري دماء الأبرياء سخية
ليحظى بألقاب الجهاد طغام
ولا تعجب إن خاب في الناس فألنا
فهل يرتوي باسم السراب أوام
يفأخرونا بالموبقات زعانف
وينهشنا بالترهات لئام

مكة
وتاريخ



★ منظر من آثار مدينة نهمر ★



عاصمة زنبوبيا ومملكة الزبباء

بقلم: عدنان الداعوق



أما وقد تضاربت أخبار كل من «الزباء» و«زنوبيا»، فكانت كل واحدة منها تحاول أن تصيغ المدينة الرائعة «عروس الصحراء» بلون شخصيتها.. فإنه يتعين علينا أن نتوقف عند هذه المدينة التي تحتل إلى جانب جمالها المتميز جلال البطولة من جهة وجلال العظمة من جهة أخرى .

تدمير . عروس الصحراء

هنا نتوقف ، ونفتح صفحة من التاريخ لنرى ما يقول فيها : تقع مدينة «تدمير» في القلب من البادية السورية ، وعلى مسافة متساوية بين مدنها من جهة ، وبين سورية وبلاد ما بين النهرين من جهة أخرى .

فقد جذب ينبوع الواحة المحيطة بها إنسان تدمير الأول ، وحول هذا ينبوع الدافئ عرف حياة الزراعة وبدأ حياة الاستقرار ، إذ دلت حفريات عام ١٩٥٥ م ، في كهوف تدمير على أول تجمع بشري عاش على حياة القنص والصيد في أواخر الدور الحجري القديم أي قبل خمسين ألف سنة .

ولعل الإنسان الأول الذي ابنى تلك الواحة وجعلها محط مقامه ، هو الذي كان جَوَاب البادية السورية ووديانها وجبالها منذ أقدم العهود . . وهو نفسه ذلك الإنسان الذي رأبناه في مختلف العصور يبحث بلا هوادة من قلب الجزيرة العربية منطلقاً نحو الهلال الخصيب باحثاً دؤوباً عن الخصب والماء والشجر والزرع .

ولعل أول إشارة تاريخية لهذه المدينة تعود لمطلع الألف الثاني قبل الميلاد . . وفي ذلك العهد كان الآموريون الساميون يغلبون على العراق وبادية الشام وكانوا في تدمير ذاتها ، وفي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد نستقر القبائل الآرامية السامية في مدن بلاد الشام ومنها تدمير وحلب وحماة ودمشق وتغلب لغتها ولهجتها على التدمريين كما غلب على بلاد الشام كلها من الأمانوس حتى سيناء .

يحار المرء من أين يبدأ في الحديث ..

هل يبدأ من عبقرية «الزباء» الملكة التي تبوات العرش في (تدمير) بعد مقتل أبيها «عمرو بن الظرب العمليقي» على يدي ملك الحيرة «جذيمة الأبرص» .. فأبدعت في الملك وتميزت بالدهاء والحيلة والمكر حتى أقنعت «جذيمة» - قاتل أبيها في القدوم إليها للزواج منها ، فغدرت به في قصرها وقتلته ثأراً لموت أبيها ؟

وإذ تطول قصة «الزباء» ، فهي ترتبط فيما بعد بقصة وزير «جذيمة» (قصير) الذي فافها مكرأ وخداعاً بعدما جذع أنفه وتوسل إليها في قصرها من جور الملك «عمرو بن عدي» - الذي خلف جذيمة على عرش الحيرة - فضربت العرب بقصير المثل حين قالت : لأمر ما جذع قصير أنفه ..

وتمكن «عمرو بن عدي» بمساعدة الوزير الماكر من «الزباء» في قصرها ، وماتت بين يديه على حد سيفه وهو يلثم نار الثأر في دم الملكة المراق .. أم نبدأ من قصة «زنوبيا» الملكة الحكيمة الشجاعة التي جعلت من مملكتها (تدمير) حاجزاً جباراً في وجه أكبر إمبراطورين في ذلك الزمن : إمبراطورية فارس من الشرق ، وإمبراطورية روما من الغرب . . . وتمكنت هذه الملكة ببعد نظرها أن تجعل من (تدمير) عروساً للصحراء ، ومنارة التجار والقوافل المتجهة إلى أي مكان ، وجعلتها بحق مفتاح التجارة بين الشرق والغرب فحفل ملكها بشقي النعم والخيرات .. وصار موقع هذا الملك شوكة في عين فارس وروما ، كل منها تريد تدمير والاستيلاء عليها وعلى نعمها وخيراتها .. وكانت المعارك والحروب .

وكان آخر هذه المعارك تلك التي انتصر فيها الإمبراطور «اورليان» على «زنوبيا» فكسر جيشها واستباح المدينة بعد ضربها ومحاصرتها زمناً ، واقتاد الملكة المنكسرة «زنوبيا» أسيرة تجر الحديد في أقدامها ويديها في احتفالات روما بالنصر العظيم ؟



★ منحوتات تدمرية .. للأطفال ★



واسم مدينة تدمر معروف لدى الساميين جميعاً ، ويطلقه العرب عليها حتى اليوم ، ولا نجد له اشتقاقاً في اللغات السامية المعروفة ، لكنها اتخذت اسماً لاتينياً هو (يالميرا) من - بالما - ومعناه النخل والتمر ، وعرفت به لدى اليونان والرومان .

ومنذ بداية القرن الأول قبل الميلاد نرى الدلالة الواضحة لهذه المدينة ذات الأهمية والمركز المرموق لدولة مستقلة قائمة أعقاب إنبيار دولة السلوقيين . . . وإبان الحروب الطاحنة في روما . . . وإذ بهذه الدولة الفتية - تدمر - تتخذ سياسة التوازن بين أعظم قوتين عظيمتين آنذاك وهما إمبراطورية روما والفرس .

ويشير المؤرخ (ابييان) في حوادث عام ٤١ قبل الميلاد على سياسة الاعتدال التي نهجتها دولة تدمر ، عندما يقول : أرسل أنطونيوس فرسانه إلى تدمر بعد عودة كليوباترا بجزراً إلى مصر ، وأمر بنهب تدمر وضمها ، فليس لديه ما يلوم عليه التدمريين غير سياستهم الحكيمة الوسط بين الروم والفرس ، فهم تجار يتباعون من الفرس منتجات الهند وبلاد العرب ، ويقومون ببيعها للرومان .

وظلت دولة تدمر قائمة على هذا النهج من الاستقلال رغم الفتح الروماني لسورية في سنة ٦٤ قبل الميلاد .

غير أن المؤرخ (بلين) يؤكد أن تدمر كانت في عهده - أي في منتصف القرن الأول قبل الميلاد - مستقلة على الرغم من تأثرها الاقتصادي بسيطرة روما على الطرق والموانئ في كل من مصر وسورية والأناضول . . . مما جعلها تقبل بوصاية روما تحت هذا الضغط الاقتصادي

وبقيت روما تتمتع بحرية مطلقة أثناء خضوعها العسكري لروما زمن (هارديان) الذي منحها لقب (المدينة الحرة) وعهد إلى التدمريين أنفسهم بالاستقلال بشؤون دولتهم الاقتصادي والمالي .

أما في عام ١٠٦ للميلاد فقد توقف نشاط مدينة (البتراء) وانتقل النشاط إلى تدمر فسيطرت على الطرق التجارية بين الشرق الأقصى والبحر الأبيض المتوسط وبنيت مراكز تجارية هامة على الفرات والخليج العربي .

والتفتت دولة تدمر إبان ازدهارها التجاري والاقتصادي إلى العمران والبناء فأكملت بناء وتجديد معابدها القديمة ووسعت في ميدانها الكبير المسمى بـ (الأغوار) كما التفتت إلى بناء شارعها الطويل المتميز .

كذلك حصلت تدمر على لقب (مستعمرة رومانية) أبام الإمبراطور (كراكلا) ، وتناوى سكان تدمر مع سكان روما نفسها ، وأعفوا من دفع الضرائب ، مما ساعد تدمر على الانطلاق في حركة البناء والعمران وحركة التجارة الواسعة الممتدة . . . وفي هذه الأثناء استطاعت تدمر أن تبني المدافن الفخمة والمعروفة باسم « المدافن البيوت » .

وعندما قامت الأسرة الساسانية في بلاد فارس عام ٢٢٨ م ، بإحتلال مصب نهر دجلة ، حولت طرق التجارة عن تدمر عبر الشمال إلى نصيبين والرها وإنطاكية ، فثارت الأسرة العربية التدمرية بقيادة (أذينة) ، وزحف على الساسانيين في بلاد الفرس يتعقب ملكهم (سابور) ومحاصره في عاصمته (طاق كسرى) .

ويقتل (أذينة) الذي نال لقب : مصلح الشرق كله ، في ظرف غامض مع ابنه ، مورثاً العرش من بعده لزوجته (الزباء) التي كانت راجحة العقل حازمة الأمور ، واستطاعت أن تستولي على سورية كلها ، وتحتل مصر عام ٢٧١ م ، ثم آسيا الصغرى . . . وتلقبت مع ابنها بأرفع الألقاب الرومانية . عندئذ خشيت روما وإمبراطورها (أورليان) أن يزحف النفوذ التدمري فيشمل جميع ممتلكات روما ، فانطلق لملاقاة زنوبيا وجيش تدمر العظيم . . . في معركتين هائلتين . . . استطاع أن ينصر في الأولى عند مدينة إنطاكية ، وفي الثانية عند حمص . . . وفرت زنوبيا لكنه لحق بها وهي تعبر الفرات فأخذها أسيرة ، وتنتهي معها أروع أعجاد دولة تدمر على مر تاريخها الطويل .



★ معبد
« بعل بعلين » ★

تدمير قبيل الاسلام وبعده

يشير الشاعر الجاهلي (الناطقة الذبياني) في قصيدته الدالية الشهيرة إلى أن الجن قد أشادوا لسليمان الحكيم رائعة الأوابد تدمر، والتي يستحيل على بشر أن يقوم على بنائها، حين يقول :
ألا سليمان إذ قال الإله له
قم في البرية فاحدها عن الفند

وخبر الجن أني قد أذنت لهم

بينون تدمر بالصفاح والعمد ..

وكذلك لم يعرف العرب قبيل الاسلام مدينة تدمر، سوى واحة صغيرة ارتفعت فيها بعض أشجار النخيل وأشجار الزيتون، ومدينة تجارية لها من المكانة الهامة على طريق القوافل التجارية، وموقعا ومحطة صحراوية .. ظلت كذلك حتى الفتح الإسلامي وبها مر القائد العربي «خالد بن الوليد» أثناء عبوره من العراق في طريقه إلى اليرموك فحاصرها .. ولما استعصت عليه

★ الأعمدة
المتنبة
بنفوس
النصر ★



واستعجله الرحيل قال لأهلها :

(يا أهل تدمر ، والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم .
ولنصرنا الله عليكم) .

وأما في العهد الأموي ، فقد نالت أهمية كبيرة نظراً لتوسطها بين
قصري الخليفة هشام بن عبد الملك - الحير الشرقي والحير الغربي - وقتل
بالقرب منها الخليفة الأموي الوليد الثاني .

أما الخليفة مروان الثاني فقد حاصرها وهدم أسوارها عام ٧٤٥ م ،

حين ثار عليه أهل تدمر .

ويروي صاحب (النجوم الزاهرة) أن زلزالاً كبيراً حل بتدمر وهدم
القسم الأعظم من بنيانها ومات بشر كثير تحت أنقاضها في أوائل القرن العاشر
الميلادي .

كذلك زحف إليها سيف الدولة الحمداني عام ٣٤٤ للهجرة وقاتل
أهلها الذين ثاروا عليه فأخضعهم لسلطانه ، وقد ذكر المتنبي ذلك في
قصيدته التي يروي في مطلعها مفاخرها مسجلاً :



★ غنابل نصفية من «شلم اللات» ★

وترمم بعض الآثار والمحافظة عليها ، لا سيما أن أصبحت تدمر من أهم مدن العالم الأثرية جلياً للسياح يزورونها للاطلاع على آثارها الضخمة وحضارتها العريقة .

فبعد أن كانت تدمر لا تضم سوى ثمانية عشر أسرة تدمرية فقط تعيش داخل أسوار معبد (بل) عام ١٧٥١ م ، - كما يقول المكتشفان الانكليزيان (داوكنز وود) في كتابها الهام (آثار تدمر) - نجد أن السكان قد بدأوا في القدوم - بعد ذلك - إلى المدينة الجديدة الواقعة خارج سور المدينة الشمالي . فانتعشت المدينة بالزراعة والتجارة النشطة ، وانتعشت أيضاً بإحاطتها بأشجار الزيتون والنخيل الوارفة ، واجتهد في عملية جرّ المياه إليها استكمالاً لمشاريع زراعية هامة كزراعة الحبوب والقطن وغير ذلك .

حفرة السور

ومدينة تدمر هي مركز المنطقة ، وترتبط بمدينة حمص ارتباطاً وثيقاً ، ويقطن فيها حوالي ٢٠ ألف نسمة ، ومعظم سكانها يشتغلون بالزراعة والتجارة مثل : الحبوب والقطن والزيتون والنخيل والقمح والصوف . . وفي المدينة عدد من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ، ومنذ وقت قصير دب فيها نشاط عمراني وزراعي وثقافي ملحوظ ، وهي أولاً وأخيراً تعد السوق الوحيدة للبدو في بادية الشام فبها يبيعون منتجاتهم الزراعية ويشترون كافة لوازم حياتهم منها . ترتفع مدينة تدمر ٤٥٠ متراً عن سطح البحر وهي ذات مناخ صحراوي . يقوم بالقرب منها بئر حيوي وهام للمياه الحلوة . . إلى جانب عدة آبار أخرى ذات مياه كبريتية تجرّ إلى حمامات يؤمها السياح وسكان المدينة للاستشفاء والإغتسال بمياهها الدافئة .

تذكرت ما بين العذيب وبارق

مجر عوالينا ومجرى السوابق

فليت أبا الهيجا يرى خلف تدمر

طوال العوالي في طوال السمالق

أما في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي فقد أصبحت مدينة تدمر تحت سيطرة أمراء حمص ، وتحول معبد (بل) إلى حصن في عهد الأمير يوسف بن فيروز سنة ١٧٧١ م ، وأعاد ناصر الدين محمد بن شيركوه بناء الجدار الجنوبي لسور معبد (بل) الخارجي ، وبقيت تدمر بيد آل شيركوه حتى عهد المهاليك ، فانتقلت مع حمص إلى حكم الملك الظاهر بيبرس في القرن الثالث عشر الميلادي .

وبعد أن لف الالهال مدينة تدمر إثر غزوة تيمورلنك لبلاد الشام ، ضاعت أخبار هذه المدينة العريقة إلى أن تطرقت للرحلات الاستكشافية . وأول هذه الرحلات كانت لكل من «داوكنز» و«وود» الانكليزيين ، حيث زارها في عام ١٧٥١ م ، وبحث في آثارها ودراسة هذه الآثار التي نشرت في كتاب ضخيم بلندن عام ١٧٥٣ م ، ثم توالى البعثات الأخرى فجاء اليحانة «ورنفتون» عام ١٨٦١ م ، واكتشف للمدينة نصوصاً وصوراً عديدة نشرها في كتابه (سورية الوسطى) .

لكن الأهمية كانت في بعثة استكشافية ألمانية جاءت تدمر عام ١٩٠٢ م ، وبدأت هذه البعثة باكتشاف الكتابات التدمرية القديمة .

ومنذ عهد الاستقلال في سورية أصبح لمدينة تدمر اهتماماً بالغاً ، فأولت الحكومة هذه المدينة عناية خاصة ورصدت لها الأموال الكثيرة استكمالاً لكشف



★ خارطة تدمر ★

مدينة الآثار الباقية

لا يمكن لأي باحث أو دارس أن ينتهي في الحديث عن تدمر إلى ما وصلنا إليه . . . ولا يكون قد طمس من المدينة أهم معالمها وأروع ما فيها . . . وهي الآثار التدمرية والفن التدمري . لا سيما وأن تدمر تعرضت وما نزال نتعرض في كل وقت لحملات التنقيب وبعثات الاستكشاف التي تجدد في كل مرة أضافة جديدة لعظمة هذه المدينة ذات التاريخ العريق والآثار الباقية .

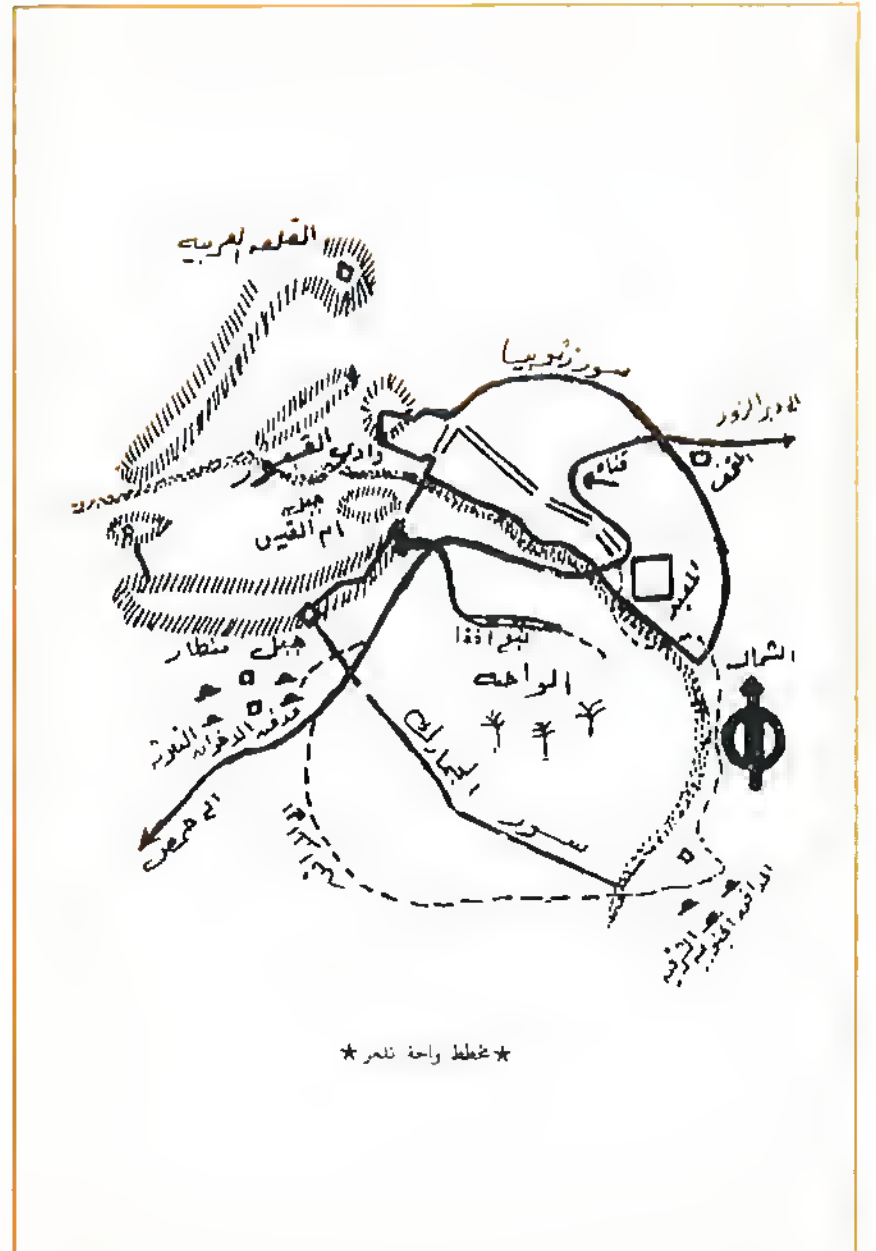
ولا بد إذن من أن نتعرض ولو بإختصار لبعض هذه المعالم الأثرية التي ما تزال قبله أنظار السياح في العالم ، وكثراً زاخراً من كنوز الاستكشافات المتتابعة والمتلاحقة .

ولعل أبرز ما في معالم المدينة معابدها الأثرية . . . وأكبر هذه المعابد معبد (بل) ثم معبد (نبو) ومعبد (بعلشمين) .

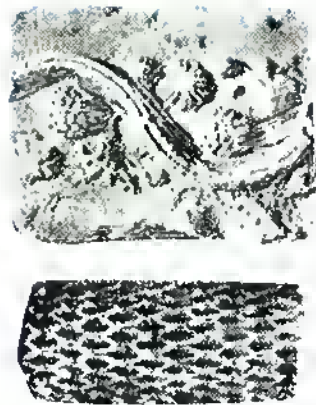
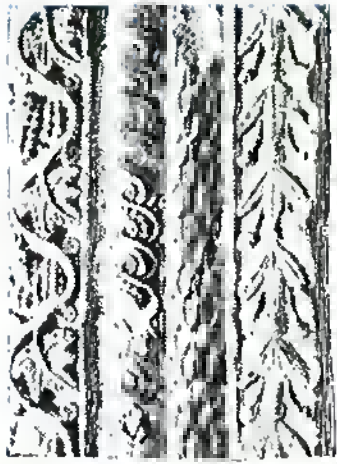
وتبدو تقاليد الشرق الفنية واضحة المعالم على عتائر هذه المدافن أمثال (الساحة المربعة المسورة ، والأروقة التي يتوسطها الحرم . وأمام الحرم المذابيح ، ثم غرف المائدة والأحواض) .

وقد بني معبد (بل) على أنقاض معبد أسبق منه في البناء ، في عام ٣٢ بعد الميلاد ، وقد تحول هذا المعبد - فيما بعد - إلى حصن إسلامي واضح المعالم تم تحويله وبناء بعض أجزائه سنة ٥٢٧ للهجرة ، يوضح ذلك الكتابة الكوفية بالخطوط المزهرة فوق الباب الإسلامي ، إذ تنص هذه الكتابة على ما يلي : «بسم الله الرحمن الرحيم»

(أمر بإنشاء ذلك الحائط المعمور وإنشاء الحائط الشرقي الأمير الحاجب الأجل السيد الكبير المؤيد ناصر الدين عدة الإسلام سيف الدولة معتمد الملك معين المجاهدين شرف الأمراء ، فخر الجيوش ذو النجابين أبو الحسن يوسف بن فيروز الأتابكي ، أمير المؤمنين من خالص ماله في شهور سنة سبع وعشرين وخمس مائة) .



★ غطط واحة تدمر ★

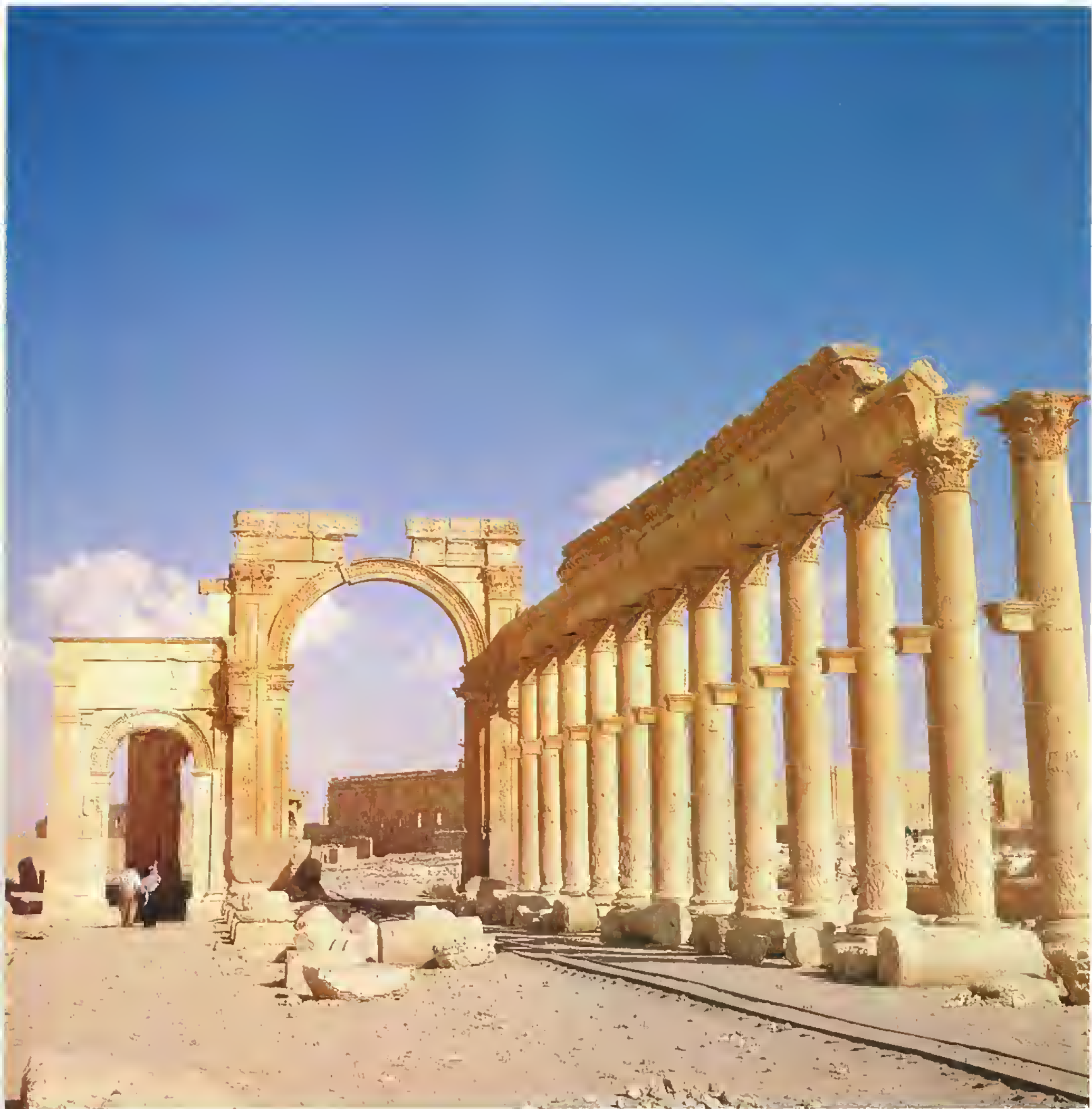


★ حصة نماذج من
القرن الأول
ق. م. و أنفاض معبد - بل -
القديم ★



★ مشهد من آثار المدينة ★





★ المدخل إلى معبد «بل» ★



★ من
أنفاش
معبد
بعل شمين ★



★ القلعة العربية . . وتنسب إلى الأمير العربي فخر الدين المعني الذي حكم جبل لبنان وأجزاء من سورية في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ★



★ أحد السراير الأثرية في جنتح مغاي ★



★ بعلشمين وعقيلول وملكيل «متحف اللوفر» ★



★ منحوتات تلمرية ★

أما على الطرف الآخر من الجدار الإسلامي (وهو من بقايا البوابة الأصلية للمعبد) كتابة عربية تشير إلى بناء مسجد سنة ٥٧٦ هجرية على يد محمد بن شيركوه الذي ولاء السلطان صلاح الدين الأيوبي منطقة حمص ليقا تل الصليبيين ، فقاتلهم وهزمهم .

كذلك وجدت أقدم الكتابات العربية ، على جدران حرم المعبد ، بالخط الكوفي القديم ، وترجع هذه الكتابة إلى عام ١١٠٠ للهجرة ، ونص هذه الكتابة ما يلي :

(يرحم ربي ، عبد الصمد بن عبيد ، ومحمد بن يزيد ما تقدم من ذنبيها وما تأخر . وكتب سنة عشر ومائة ، رحم الله من قرأ وقال آمين) .
أما على الجدار الشرقي للحرم فهناك كتابة تشير إلى عبارة المسجد على يد الناصح يوسف بن موسى ، بأمر السلطان الملك المجاهد سنة ٦٣٥ للهجرة .

المسرح

بقيت أطلال مسرح تلمر مدفونة تحت الرمال حتى عام ١٩٥٢ م ، حيث أزيلت عنه تلال الرمال فبان المسرح على أوضح شكل .

فقد بني هذا المسرح على أرض مستوية في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ، على الطراز الروماني السائد ، وشكله نصف دائري وقطر ساحته المستديرة ٢٠ متراً ، تحيط به مدرجات عددها ١٣ درجة وارتفاع كل واحدة منها ٣٧ سم وعرض ٢٠ سم .

أما أبعاد منصة التمثيل فتبلغ ٤٨ م ، بعرض ١٠,٥ م ، ومجهزة بدرجين من الداخل ، ودرجين من الخارج ولها خمسة أبواب مزخرفة بمجموعة من الجبهات المثلثة والمخاريب . أما صدر منصة التمثيل فتجتمع عدة أعمدة رشيقة تشكل زخارف في غاية الجمال والفن ، أما أرض المسرح فقد رصت فوقها أحجار كبيرة من الحجر الكلسي المنحوت .

وللمسرح بابان مقوسان ينتهيان إلى الصحن مباشرة فيما يفصل الصحن عن درجات المسرح جدار ارتفاعه بارتفاع متر واحد ويتألف من أحجار منحوتة موازية للساحة الرئيسية العامة .

البيداء : أو (الأموي)

وهو المكان الذي تعقد فيه الاجتماعات العامة ، ويتألف من باحة واسعة

★ زيدا واحد من مؤسس

المباني

الزخرفية ★



ومغلقة بطول ٨٤ م وعرض ٧١ مشيد على الطراز الأيوبي .
والدخول إلى هذا الميدان عن طريق أحد عشر باباً ، وفي صدره الداخلي
منصة الخطابة . وقد حوى هذا الميدان على أكثر من مائتي تمثال
كتب فوق حواملها أسماء أصحابها من الموظفين التدمريين والرومان ورجال
الجيش ورؤساء القوافل والتجار وأعضاء مجلس الشعب التدمري والشيوخ .

السور

يحيط بمدينة تدمر سور دفاعي بني من الحجر الضخم ويبلغ
محيط هذا السور ١٢ كم . تكامل وانتهى بناؤه في عهد الملك أذينة والزياء
وهو مدعم بأربعة أبراج مربعة يبعد كل برج عن الآخر ٣٧ متراً .
وبعد هدم جيوش الإمبراطور أورليان ، أعيد ترميم السور من قبل
الإمبراطور البيزنطي جوستنيان وأضيف أثناء ترميمه بعض الأبراج المستديرة
بين الأبراج المربعة .
كذلك يحيط بالمدينة سور آخر بني من الحجر واللبن وهو (سور الجمارك)
يحاذي في مروره بمدافن (الأخوة الثلاثة) ويتسلق هذا السور سفح جبل
المنطار ويدور حول وادي القبور ليلتقي بالسور الدفاعي الآخر .

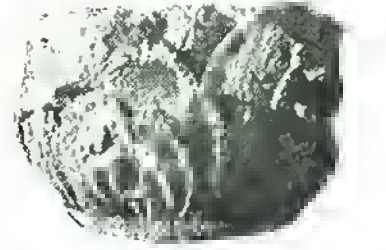
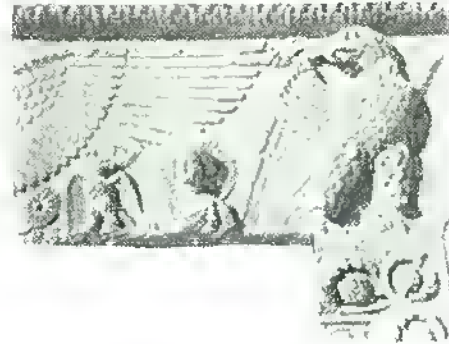
القلعة العربية

تنسب هذه القلعة إلى الأمير العربي فخر الدين المعني الذي حكم
جبل لبنان وأجزاء من سورية في النصف الأول من القرن الحادي عشر
المجري ، وتقع هذه القلعة في مكان إستراتيجي هام بحيث تشرف على واحة
تدمر بكاملها ، ويحيط بالقلعة خندق عميق كان يعبر فوقه بجسر يصل إلى قمة
القلعة الرابضة فوق كتلة صخرية هائلة . ويبلغ ارتفاع القلعة نحو ١٥٠ متراً .

المدافن

أبدع الفن التدمري في بناء المدافن إبداعاً كبيراً بحيث لا نجد مثيلاً لها في كل
مدن الشرق القديم .

وحيث أن التدمريون القدامى كانوا يسمون المدافن بـ (بيت الأبدية) فإننا
نرى هذه المدافن خالية من رهبة المقابر ، فهي ذات أبنية من الحجر الأبيض
الناصع مزينة بالأقواس المزهرة والأرائك الممتدة والزخارف والسقوف الملونة



الزخرفة المعاصرة في معبد بعلشمين ★



★ المدرج المسرح ★



★ منهد آخر من آثار المدينة ★

تدمر مئات من هذه المقابر ، والشكل العام لهذه المدافن على نموذج حرف (T) وبشكل مقلوب ، يقوم تحت الأرض على عمق يصل أحياناً سبعة أمتار ، ويفضي إلى باحة واسعة ومزينة ومزركشة وغالباً ما تحتوي على صور حيوانات خرافية بجانب أسماء المشتركين في هذا المدفن .

٤ - القبور الفردية :

وتتألف من حفر مستطيلة في الأرض أبعادها (٢×١,٥×١,٥ م) وجدران هذه القبور منحوتة من الحجر الكلسي ، ويسجى الميت فيها داخل تابوت من الحجر المشوي ، وفوق هذه القبور ترتفع شواهد حجرية عليها اسم المتوفي .

وإذا كانت مدافن البرج والبيت والمدفن الأرضي هي المساكن الأبدية لشخصيات مهمة عسكرية كانت أو مدنية ، فإن القبور الفردية هي لعامة الشعب وتؤلف الغالبية العظمى من المدافن في مدينة تدمر .

الصور واللوحات الجدارية

لا شك أن أغلب الآثار التي حوتها مدينة تدمر ، آثار تحتية تتمثل في نقوش حجرية وتمائيل ولوحات حجرية تبلغ حدود الدقة المتناهية . . . وهناك أيضاً بعض اللوحات الجدارية الموزعة في المدافن والمقابر في مدفن (الأخوة الثلاثة) وهذه اللوحات ذات أسلوب تدمري متميز غير متأثر بفن من فنون التصوير الأخرى .

وقد استخدم الفنانون التدمريون ألواناً زاهية بالحوية والحركة في تلوين هذه الصورة والرسومات المختلفة وطعموها بالمعاني الحية من الحياة نفسها كأغصان الكرمة ونباتات أخرى وصور للحيوانات .

الرائعة .

وللمدافن في تدمر عدة أشكال ، وهي :

١ - المدفن البرج :

وهذا النوع من المدافن من أقدم نماذج المدافن في تدمر ، وتعود إلى ما قبل الميلاد ، وإلى النصف الأول من القرن الميلادي الأول . .

وتمتاز هذه المدافن بجبالها وسعتها فهي تضم غالباً أربعة أو خمسة طوابق بالإضافة إلى طابق تحت الأرض ، ويبلغ ارتفاع هذه الطوابق أحياناً عشرين متراً وهي تتسع لمئات من القبور مرصوفة كلها في جدران المدفن ، وتبرز في مقدمة هذا المدفن صورة حجرية منقوشة تمثل صاحب المدفن وبعض أو كل أفراد أسرته ، وفوق هذه الصورة الجماعية لوحة حجرية أخرى تذكر التاريخ لهذا المدفن . .

ويمتاز هذا النوع من المدفن بسعته أولاً وبأشكال عضائده الداخلية ومقوفه المزركشة والملونة بالألوان الزاهية المبهجة .

٢ - المدفن البيت :

ظهر هذا النوع من المدافن في بداية القرن الثاني الميلادي ، وهو أشبه ما يكون بالبيت ذو طابق واحد متسع من الداخل ، ويمتاز بباب حجري يفضي إلى ممر كبير ثم إلى باحة تحمل رواقاً ضخماً على أربعة أعمدة وعلى طول الجدران مساطب تضم قبوراً فوق بعضها ومنحوتات فوقها تمثل أصحاب المدفن مع عائلاتهم .

٣ - المدفن الأرضي :

وقد ظهرت هذه المدافن في القرنين الثاني والثالث الميلاديين ، وتنتشر في



★ شارع الأعمدة ★

★ الجانب الآخر من شارع الأعمدة ★

متحف تدمر

قبل أن نظوي هذه الصفحة العظيمة من تاريخ الإنسان القديم في تدمر العريقة لا بد أن نتحدث عن متحف تدمر الذي يضم بين جدرانه أروع الآثار من المنحوتات والموزاييك، والمصنوعات الذهبية والبرونزية والفخارية وكهف إنسان ما قبل التاريخ . بالإضافة إلى قاعة كبيرة تضم عرضاً شاملاً للكتابات الدينية والتذكارية وموجزات عن اللغة والكتابة التدمرية وأبجديتها وأرقامها .

وإلى جانب الكتابة التدمرية هناك الترجمات المصاحقة لها إما باللاتينية أو اليونانية . . وقد فكت رموز أبجدية اللغة التدمرية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتتألف اللغة التدمرية من ٢٢ حرفاً أبجدياً وتكتب من اليمين إلى اليسار .

والمعروف أن لغة تدمر المكتوبة كانت آرامية، والآرامية التدمرية حوت عناصر عربية كثيرة جداً في الأسماء والمفردات والتراكيب .

وأخيراً، لمدينة تدمر القديمة والعريقة ما تزال تعاني من مشكلة بحثها ودراستها والكتابة عنها والتأليف فيها .

ونادراً ما نجد كتباً أو مؤلفات تخصصت في البحث عن تدمر وآثارها وفنونها، في الوقت الذي نجد فيه بعض المقالات والأبحاث موزعة في عدد من مجلات العالم المتخصصة . . . ولولا بعض الدارسين الجادين كالأساتذة (عدنان البني، نسيب صليبي، والدكتور المنجد، وخالد الأسعد) كما أمكننا تقديم هذا الموجز القصير عن مدينة تاريخية هامة ما تزال تبعث في النفس شعلة من الألق ممتداً نحو البعيد البعيد .

والألوان التي استخدمها الفنان التدمري يغلب عليها اللون الأحمر ثم البنفسجي والأزرق والبني والأسود . . وكان الفنانون يستخدمون في تلوين لوحاتهم الجدارية هذه ألواناً مركبة من الأكاسيد المعدنية المحلولة بالماء .

ولقد أثر فن التصوير الجداري هذا على فن التصوير اليوناني والروماني . . ويعد بحق مصدراً هاماً من مصادر الفن البيزنطي المتأثر به إلى حد كبير جداً قبل قيام دولة بيزنطة بعشرات السنين .

آثار موزعة في أنحاء العالم

لعبت الحفريات السرية وتهريب الآثار دوراً كبيراً في عهد الحكومة العثمانية وبفضل نشاط قناصل الدول الأجنبية بتهريب الكثير من آثار تدمر والتي نجدها في عدد من متاحف العالم كمتحف الجامعة الأميركية في بيروت والمتحف البريطاني ومتحف الارميتاج في لينينغراد ومتحف برلين ومتحف المتروبوليتان بنيويورك واللوفر وإستنبول .

ولكنه يمكن القول أنه منذ عهد الاستقلال في سورية عام ١٩٤٧ م، تركزت جهود بعثات الآثار والمتخصصين السوريين في الحفاظ على آثار تدمر والعناية سواء إما في المدينة ذاتها أو في متحف تدمر أو في متحف دمشق .

وما تزال بعثات المتخصصين السوريين في الآثار تعمل جاهدة وباستمرار للكشف والتنقيب عن عدد كبير من آثار تدمر النجاة حتى الآن .

تهامسي السطور، وكل حرف
 نشيد، والوجيب له يعيد!!
 ومعزفه بما في النفس مئي
 يغرد والهوى الشادي جديد
 أثار بهجتي من قبل طرفي
 تباريحاً روافدها وقود
 وشوقي كان يشعل من لظاها
 ويكتبها بأعمالي الجليد
 إذا ما الوجد هاج به تغني
 وسمع الليل منه يستعيد
 وما بي الشوق يصرخ في ضلوعي
 فأنفاسي لصرخته برود



وخلت بأنه منها رسول
 فأكّد أنه - فعلاً - برید
 أتاني يحمل الأمل الموشى
 بأحلى ما يتوق له العميد...!!
 وعلق ناظري بالطرس كما
 أراه بجانبى .. وهو البعيد
 ومن بين السطور أطل وجه
 كصبح يستريح له الشهيد
 تؤرقه الصبابة وهي نار
 ومنها بالتلف يستزيد
 فجاءته الرسالة كي تروى
 أحاسيساً لها عاد النشيد
 فضمد جرح مقلته عطاء
 ترفرف من بوادره بنود
 تصفق بالبشائر وهي تندی
 بآمال وأفراح تجود
 تمد ظلالها ألقاً وعطراً
 بروض فيه للقلبين عيد



رسالة

شعر: طاهر زمخشري





سيف الدولة

الشاعر الخافض

يقام : جاسر خليل أبو صفية

حدثتنا الكتب القديمة والحديثة عن وجه واحد لسيف الدولة الحمداني ، هو الوجه العسكري ، الذي قارع الروم طويلاً ، فانتصر عليهم وانتصروا عليه .

أما الوجه الآخر لسيف الدولة ، الوجه العلمي ، فقليلاً ما نلمحه ، مخفياً في طيات الكتب ، ترتسم قسماً هنا وهناك ، وفي هذه المقالة سنحاول أن نلقي بعض الضوء على هذا الوجه ، علماً نتعرف إليه عن قرب ، ونعرضه للناس .

نلمح من خلال الضوء الذي أرسله **الشمالي** في يتيمة الدهر (٢٨/١) أن بلاط سيف الدولة خوى جلّة العلماء والأدباء والشعراء ، كان يباهي بهم غيره من الملوك ، حتى قيل بأنه لم يجتمع ببلاط أحد من الملوك ما اجتمع ببلاط سيف الدولة - بعد الخلفاء .

وصوّره الكتب لنا على أنه من علماء اللغة العارفين بها وبأسرارها ، يشهد بذلك **ابن خالويه** - من مشاهير علماء اللغة في عصره - وذلك عندما دخل ابن خالويه يوماً على سيف الدولة فقال له : أقعد ، ولم يقل له إجلس . قال ابن خالويه : « فعلمت بذلك اعتقاله بأهداب الأدب ، وإطلاعه على أسرار كلام العرب ، لأنه يقال للقائم أقعد ، وللنائم والساجد اجلس » (معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٠٢/٩) .

وكان يسأل العلماء بحضرته عن مسائل في اللغة والنحو ، وينظرهم في هذه المسائل ، ويبيدي فيها رأياً يدل على سعة علمه ودقة ملاحظته ^(١) .

وقال عنه **الشمالي** في (اليتيمة ٢٨/١) : « وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به » .

ووصفه **العماد الأصفهاني** الكاتب في «خريدة القصر - قسم شعراء الشام ص ٨٢» ، بأنه من الملوك الذين « يتفرغون للكتب ، ويتشغلون بالأدب ، ويؤثرون مجالسة العلماء على منادمة الأمراء ، ويقولون الأبيات فيما يعرض لهم من الحالات ، ويتفق لهم من التشبيهات » . ورغم ما قيل عن وجه سيف الدولة الأدبي ، فإن الكتب القديمة تعرض عن رواية شعره أو طرف منه . وإن كنا نذكر المتقدمين بفضل فلاننا نخص به أبا منصور **الشمالي** ، لأنه أورد لنا طرفاً من أشعار سيف الدولة ، وبعضاً من مواقفه النقدية ، ونقل عنه **ابن خلكان** ، وعلق على بعض الأشعار .

أما كتابنا المحدثون فقد تناقلوا كلام القدماء عن شاعرية سيف الدولة وروحه النقدية ، دون أن يوردوا شيئاً من شعره ، وإن أشاروا إلى بعض مواقفه النقدية ، كما فعل **الدكتور محمود السمره** في كتابه «القاضي الجرجاني» (ص ٥٦ - ٦٠) .

سيف الدولة الشاعر

انفرد أبو منصور الثعالبي في تيمنه - فيما وقع لدينا - بإيراد متفرقات من شعر سيف الدولة نوردها فيما يلي :

يقول الثعالبي : وما أنشدني أبو الحسن أحمد الأفريقي المتيّم الشاعر لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو من أحسن ما سمعتُ فيه على كثرتِه :

وساق صبيح للصُّبوح دَعْوته
فقام وفي أجفانه سبئة الغمض
يطوف بكاسات العُقار كأنجم
لئن بين مُنْقَض علينا ومُنْقَض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً
على الجوّ رُكناً والحواشي على الأرض
يُطرزها قوسُ الغمام بأصفر
على أحمر في أخضر إثر مُنْقَض
كاذيال خُود أقبَلت في غلال.

مُصَبِّغُ والبعض أقصر من بعض
ويعلّق الثعالبي على هذه الأبيات بقوله : « وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السُّوقة » (اليتيمة ٥٢/١) .

أما ابن خلكان فيعلق بقوله : « وقيل إن هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي ، وقيل إنها لعبد الصمد بن المعذل » (وفيات الأعيان ٧٩/٣) . ويذكر الدكتور شوقي ضيف في حاشيته على كتاب جرجي زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » (٦٦/٢) أن هذه الأبيات لابن الرومي وهي موجودة في ديوانه . كما يشبها لابن الرومي أيضاً الأستاذ إيلي حاوي في حاشيته على اليتيمة ٥٢/١ .

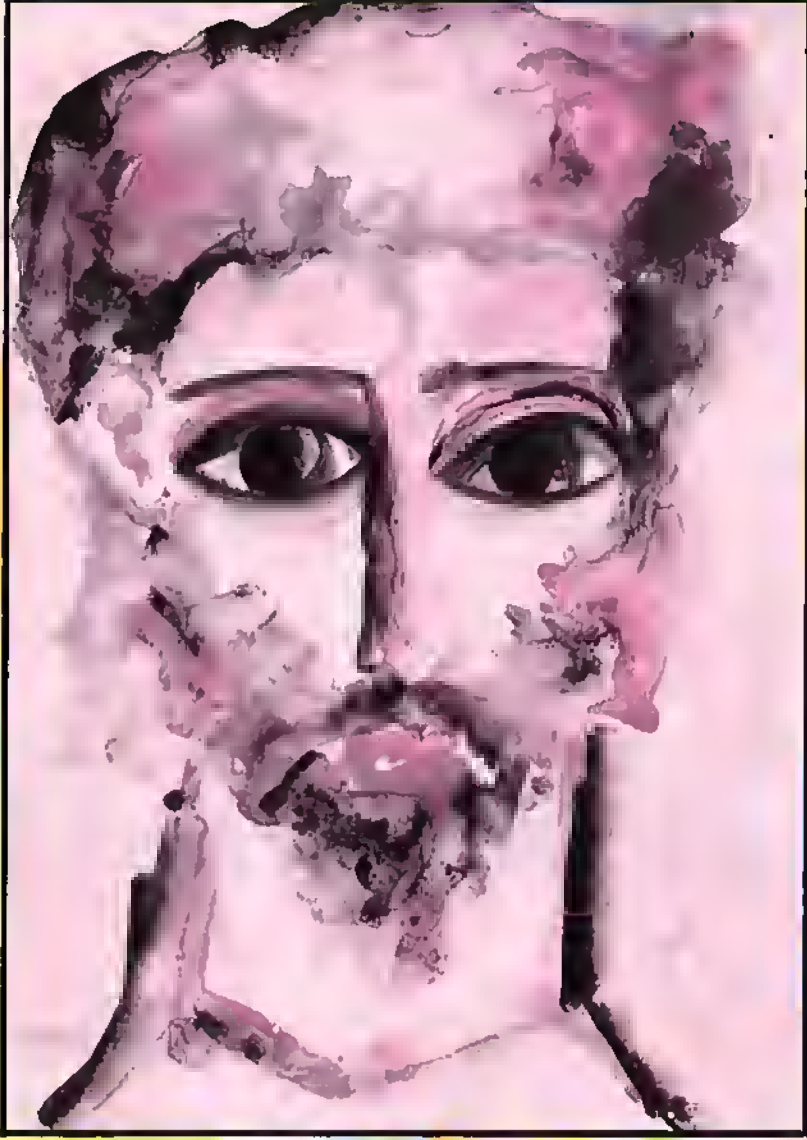
ولعل هذا يلقي ضوءاً على كلام الثعالبي ، فهو بعد أن قال عن هذه الأبيات بأنها أحسن ما سمع ، يعقب بتعليق قاس ، وكأنه يعرض بابن الرومي الذي لا يستطيع وصف الأشياء كما يصفها الملوك ، ولست أدري أين هذا الوصف الملوكي في الأبيات ، وأرى أن ابن الرومي لا يعجز عن مثلها ، يؤيد هذا ما أورده ابن رشيق القيرواني في (العمدة ٢٢٥/٢) قال :

« حُكِيَ أن لائماً لام ابن الرومي وقال له : لِمَ لا تشبّه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ فقال له : ألا تنشدني شيئاً من قوله السّذي استعجز عن مثله ؟ فأنشده قوله في الهلال وفي الآذريون (زهر أصفر في وسطه تحل أسود) ، فصاح ابن الرومي : واغوثاه ، تالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون بيته لأنه ابن خليفة ، وأنا أي شيء أصف . ولكن أنظر أين يقع قولي من قول الناس ، هل لأحد قول مثل قولي في قوس الغمام ؟ »

« وساق صبيح للصُّبوح دعونه » .

ورغم أن هذه الرواية محاطة بالشك والتساؤل ، إلا أن الأبيات أقرب

في روحها إلى ابن الرومي منها إلى سيف الدولة ؛ لإبداع ابن الرومي في الوصف والتشبيهات ، بل له ما يفوقها جمالا وبلاغة .



في الغزل

ومن شعر سيف الدولة في صباه هذه الأبيات الرقيقة في الغزل :^(٢)

| | | |
|-------|--------|--------|
| أقبله | على | جنزع |
| كشرب | الطائر | الفرع |
| رأى | ماء | فاطمعة |
| وصادف | فرصة | فدنا |
| ولم | يلتد | بالجرع |

ويُحكى أنه كان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الرُّوم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الرِّيح الهابّة عليها ، فحسَدَتْها حظاياه على لطف محلّها منه ، وأزقَعْنَ إيقاع مكروه بها من سُمّ أو غيره . وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال :

راقبتني العيون فيك، فاشفقت -

ولم أخل قط من اشفاق

ورأيت العذول يحسدني فيك مجر

سداً، يا أنفس الأغلاق

فتميت أن تكوني بعيداً

والذي بيتنا من الوؤد باق

رُب هجر يكون من خوف هجر

وفراق يكون خوف فراق

وهي أبيات متكلفة تخلو من عاطفة الحب المشبوبة التي صورتها الرواية لهذه الجارية ، ولا نرى فيها مضمون الرواية أيضاً ، وقد قال ابن خلكان في (وفيات الأعيان ٨٠/٣) بأنه رأى هذه الأبيات في ديوان عبد المحسن الصوري . وهي تنافي الحسن المرهف الذي يتمتع به سيف الدولة .

ومن غزليات سيف الدولة ، ما أشده ابن خالويه ^(٣)

تجنى علي الذنب والذنب ذنبه

وعاتبني ظلياً وفي نفسه العتب

وأعرض لما صار قلبي بكفه

فهلأ جفاني حين كان لي القلب ؟

إذا برم المولى بخدمة عبده

تجنى له ذنباً وإن لم يكن ذنب

وله في الغزل أبيات أخرى رقيقة جميلة مع سهولتها ^(٤) :

قد جرى في دمه دمه

فللى كم أنت تظلمه

رؤ عنه الطرف منك ، فقد

جرخته منه أسهمه

كيف يستطيع التجلد

من خطرات الوهم تؤله ؟

في المدح

ومن الغزل تنتقل إلى المدح لنرى أن مدح سيف الدولة لا يكون إلا لمن هو في منزلته ومكانته ، والأبيات التالية قالها في أخيه ناصر الدولة (صاحب الموصل) ، (اليتيمة ٥٥/١) البداية والنهاية لابن كثير : (٢٦٣/١١)

رضيت لك القلبي ، وقد كنت أهلها

وقلت لهم : بيني وبين أخي فرق

ولم يك بها نكول وإنما

تجافيت عن حق ، فتم لك الحق

ولا بُد لي من أن أكون مُصلياً

إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

في الوصف

وأما الوصف فلسيف الدولة بيتان في وصف نار الكانون :

(اليتيمة ٥٥/١)

كأنما النار والزّمامم

وضوءها في ظلام يحجب

وجثّة عذراء مثلها تجل

فاستترت تحت عنبر أشهب

وهما من أجل ما قيل في وصف النار عندما يغطيها الرماد .

وروى لنا القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد ،

(ص ٣٩٣ - ٣٩٤) ثلاثة أبيات من الشعر مكتوبة على جدار قصر

عباس بن عمرو الغنوي الموجود قرب سنجار في العراق وهي :

يا قصر عباس بن عمرو

كيف فارقك ابن عُمر

قد كنت تغتال العمور

فكيف غالك رُب دهر

وامسأ لمرك بل لجودك

بل لجودك بل لفخر

وتحتها كتب : «كتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة

إحدى وثلاثين وثلاثمائة» . وهي من شعر سيف الدولة في رثاء عباس

ابن عمرو .

من هذه الأمثلة القليلة لشعر سيف الدولة نرى أن شعر سيف الدولة

محدد الأغراض ، فهو بين الوصف والغزل ، أما المدح فنادر . وكان

مولعاً بما يستمى في الشعر بـ «الاجازة» فيقول البيت والبيتين ويطلب

عن يحضر مجلسه من الشعراء أن يميز ما قال . من ذلك أن أبا فراس

الحمداني كان في مجلس سيف الدولة في نفر من ندمائه فقال لهم سيف

الدولة : أيكم يميز قولي ، وليس له إلا سيدي ، يعني أبا فراس :

لك جسمي تعلمه

تحله ؟

فلمي

لم

لك من قلبي المكا

تحله ؟

ن

قم

لا

فارجل أبو فراس وقال :

أنا إن كنت مالكا

كُله

فلي

الامر

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمئيج تغل ألفي دينار . (اليتيمة

(٣٦/١)

ومن ذلك أيضاً أن سيف الدولة أنشد المتنبي بيتاً ، وطلب منه إجازته . (ديوان المتنبي ٤٧/١ شرح العكبري)
قال سيف الدولة :

خرجت غداة التفرّ اعترضُ العلمى
فلم أَرِ أخلى منك في العين والقلب
فقال أبو الطيب المتنبي :
فدينك أهدى الناس سهماً إلى قلبي
وأقتلهم للذارعين بلا حرب
هذا ما استطعنا إثباته من شعر سيف الدولة ، أملين من الله أن نوفق لمعرفة المزيد .

* * *

سيف الدولة الناقد

شهد بلاط سيف الدولة مجالس علمية وأدبية كثيرة ، وكان يشارك في هذه المجالس مثلياً برأيه ، مستحسناً أو مستهجناً . ومن خلال هذه المجالس برزت مواقف سيف الدولة النقدية ، وهذه المواقف ليست نظريات في النقد وإنما هي آراء وأقوال تدل على تذوقه للشعر ، وحُسن بصره به . وهذه المواقف قليلة في كتب الأدب والنقد التي بين أيدينا .

١ - موقفه من المتنبي عندما أنشده قصيدته الميمية :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر أهل الكرام المكارم
فلما بلغ قوله فيها :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضّاح ونفرك باسم
قال سيف الدولة : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما أنتقد على امرئ القيس بيتاه :

كأنني لم أركب جواداً للذة
ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل
لخيلي كرى كرة بعد إجمال
وبيتاك لا يتشم شطرهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل
لخيلي كرى كرة بعد إجمال
ولم أسبأ الزق الروي للذة
ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف
ووجهك وضّاح ونفرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

كأنك في جفن الردى وهو نائم
فقال المتنبي : أيد الله مولانا ، صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البرّاز معرفة الحائك ؛ لأن البرّاز يعرف جملة ، والحائك يعرف جملة وتفاريقه ؛ لأنه هو الذي أخرجته من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازل الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه . ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عابساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : « ووجهك وضّاح ونفرك باسم » ؛ لأجمع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنائير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار . (اليتيمة ٣٧/١) .

وهذا الموقف يدل على حاسة نقدية وبصر بالشعر ، فسيف الدولة قد انتقد بيتي المتنبي ، كما أشار إلى نقد امرئ القيس ، وأعاد ترتيب الأشرطة ليتلاءم المعنى شكلاً . ولكنه عندما استمع إلى وجهة نظر المتنبي وتخرجه لبيتي امرئ القيس وبيته تراجع عن موقفه وأعجب بتخريج المتنبي وكافأه ، وهذا أيضاً يدل على روح عالية في النقد .

٢ - موقفه من أحد الخالدين (وهما من شعراء لسيف الدولة) ، وذلك عندما أنشده أحدهما قصيدته التي أولها :
لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً
إلا ومالك في الثوال حبيس
وفيها يقول :

فغدا لنا من جودك المأكول وال
مشروب والمنكوح والملبوس
فقال له سيف الدولة : « أحسنت إلا في لفظة « المنكوح » فليست مما يخاطب بها الملوك » .

ويعلق الثعالبي بقوله : « وهذا من عجيب نقده » (اليتيمة ٣٩/١) . ولست أرى في ذلك عجباً ، فنقد سيف الدولة هنا ينصب حول « أدب المخاطبة » وخاصة مخاطبة الملوك ، مما يقتضي الشاعر حسن اختياره للألفاظ .

وإذا علمنا أن النقد لا يقتصر على بيان العيوب ، وإنما يشمل الاستحسان وبيان الجمال في الأبيات أو البيت ، استطعنا أن نثبت لسيف الدولة عدة مواقف نقدية كان يستحسن فيها الشعر على طريقة القدماء ، عندما كان النقد ساذجاً غير مُعَلَّل .

٣ - من هذه المواقف ما أورده الثعالبي في (اليتيمة ٣٥/١) من أن أعرابياً أنشد سيف الدولة هذه الأبيات :

أنت عليّ وهذه حلسب

قد نفذ الزاد وانتهى الطلُب
بهذه تفخر البلاد وبالك

أمير تزهى على الورى العرب
وعبدك الدهر قد أضرب بنا

إليك من جور عبدك الهرب
فقال سيف الدولة : «أحسن والله أنت» .

٤ - والاقرار على حكم نقدي يعتبر نقدا أيضا ، ويدل على ذوق ويصر ، من ذلك ما أورده الواحدى في شرحه على ديوان المتنبي من أن سيف الدولة كان يُستَر بمن يحفظ شعر المتنبي ، فأنشد أحد الشعراء بيتاً للمتنبي في حضرته (المتنبي) وعلق بقوله : «هذا البيت والذي بتلوه لم يسبق إليهما» ، فقال سيف الدولة : «كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت» (المتنبي بين ناقديه - د. محمد شعيب ص ١١٦) .

فهو قد أقر حكم الشاعر بأن البيت لم يسبق إليهما المتنبي ، واعتمد في هذا الإقرار على حكم الثقة من العلماء ، وهذا منهج علمي سليم في إصدار الحكم . والبيتان هما (الديوان ٢٠/٣) :

رايتك في الذي أرى ملوكاً
كانك مستقيم في محال
فإن تفق الأنام وأنت منهم

فلإن المسك بعض دم الغزال
٥ - ومن مواقفه النقدية ، أن المتنبي لما اشترط على سيف الدولة أن ينشد شعره قاعداً ، وألا يقبل الأرض بين يديه ، وافق سيف الدولة «فلما سمع سيف الدولة شعر المتنبي حكم له بالفضل ، وعد ما طلبه استحقاقاً» (مقدمة شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ص ١/١) .

وهذا الحكم للمتنبي بالفضل ، لا يكون إلا من ناقد ذواقه يعرف جيد الشعر من رديئه .

ولكن هذه الروح النقدية عند سيف الدولة تتعرض لهجوم عنيف من المتنبي ، فيقدح في ذوق سيف الدولة الشعري - وفي ذلك حظ من قيمته النقدية - وسبب ذلك أن سيف الدولة كان يحب الاستكثار من شعر المتنبي ، والمتنبي يستقله ، فكان ذلك لا يغضب سيف الدولة ، وبضايق المتنبي ، فأنشد المتنبي : (مقدمة كتاب ابصاح المشكل لأبي القاسم الأصفهاني ص ١/١)

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم
فهو يصف سيف الدولة بالأعمى الذي لا يميز بين الظلام والنور ، ويعني هنا عجز سيف الدولة عن التمييز بين الجيد والردىء من الشعر .

ويصل الأمر إلى أكثر من هذا ، فكان سيف الدولة إذا تأخر المتنبي عن مدحه شق عليه ، وأكثر أذاه ، وأحضر من لا خير فيه فيتعرض للمتنبي ، فلا يجيب المتنبي مما يزيد في غيظ سيف الدولة (شرح

البرقوقي لديوان المقدمة) (٥) .

ولكن المتنبي الذي لم يتعرض هؤلاء الشعراء الذين كان يستقدمهم سيف الدولة ويغريهم بأبي الطيب ، لم يستطع احتمال الأمر طويلاً فقدح مرة أخرى في ذوق سيف الدولة وفي هؤلاء الشعراء بعنف كقوله :

بأي لفظ يقول الشعر زعنفه

تجوز عندك لا عرب ولا عجم
فهذا أقسى اتهام يوجه إلى سيف الدولة ، فالمتنبي يستغرب كيف يقبل سيف الدولة بهذه الزعائف من الشعراء . ويستحسن شعرهم ، مع أن شعرهم لا يستحسنه العربي ولا العجمي .

هذا التعريض بشخص سيف الدولة وذوقه الأدبي يصل القمة في مجلس سيف الدولة عندما كان المتنبي ينشده قصيدته «وأحر قلباه» التي يعاتبه فيها ، ويعرض به وبأبي فراس الحمداني الذي كان يتهم المتنبي بسرقة كل بيت يقوله ويردّه إلى أصله ، والمتنبي ماضٍ في انشاد القصيدة ، وإمارات الغضب بادية على وجه سيف الدولة ، ويزداد هذا الغضب لكثرة مناقشة المتنبي في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها ، فيعبر سيف الدولة عن غضبه بضرب المتنبي بدواة كانت بين يديه فيجرحه (٦) ، وذلك عندما أنشده البيت التالي :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا

بأنني خير من تسعى به القدم
فالنقد الذي عبر به سيف الدولة عن استهجانه لقول المتنبي كان نقداً سلوكياً - إن جاز لنا أن نسميه كذلك - تمثل في ضرب المتنبي ، لأنه أشار إلى تفوقه على سيف الدولة وكل من ضم مجلسه ، بل على كل من تسعى به قدم . ورغم هذا العنف من سيف الدولة ، فلإن المتنبي يمضي في انشاد قصيدته ليقول معاتباً سيف الدولة وكأنه يعتذر عن البيت السابق :

إن كان سرکم من قال حاسدنا

فا لجرح إذا أرضاكم ألم
وهنا يعبر سيف الدولة عن رضاه واستحسانه البيت بتقبيل رأس المتنبي ومكافأته .

والى هنا تسكت الكتب التي بين أيدينا عن إيراد مواقف نقدية أو شواهد شعرية لسيف الدولة ، كما نفق نحن ، وكلنا أمل في أن نكون قد ألقينا بعض الضوء على وجه سيف الدولة الشعري والنقدي كما نأمل أن تكون هناك دراسات أعم وأشمل حول الموضوع ، والله الموفق .

هوامش

(١) انظر في هذه المسائل معجم الأدباء لباقوت ٢٠٢/٩ - ٢٠٣ ، والمزهر للسيوطي ٩٠/٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) البيهية ٥٣/١ .

(٣) البيهية ٥٤/١ ، وفیات الاعيان ٨١/٣ .

(٤) البيهية ٥٥/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٤/١١ .

(٥) في ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣٦٢/٣ .

(٦) الصبح المتنبي عن حبة المتنبي ، يوسف الیدبعي ص ٩١ .

قصيدة و قصة

قال سليمان بن محمد المهري ما معناه :
كان بسوسة إفريقية أدب شاعر كلف بهوى له هنالك ، وعلى سنة العشاق كان الحبيب يتجنى على محبه ويعرض عنه .
ولما برح به الشوق ، وتحين فرصة وجود حبيبه في بيته منفرداً لبس معه احد ، اخذ قهساً من نار ، وجعله عند باب ليلاه ، فاندلعت
النار فيه ، وكادت النار تأقي على جميع الدار لولا أن الجيران بادروا إلى اطفائها .
فأخذوا الشاعر إلى القاضي ، فلما استنطقه في مجلس الحكم تعلل بالفصيدة التي سنورها ،
وحجته أن نار قلبه أحرقت الباب من غير فصدا !!
ولقد استظرفه القاضي ، وتعمل عنه ما أفسد ، واخذ عليه أن لا يعود وخلق سبيله .
وشبهه بحجة الشعر قول « الخبز أرزي » في حريق المريد :

جری نفسي صعداً نحوكم
فمن حره احترق المريد
وهاجت رباح حنيي بكم
فظلت بها فاركم توفد

إلا أن الخبز أرزي كان اطرف عندما قال :

ولولا دموعي جرت لم يكن
حريقكم أبداً بمحمد

وشاعرنا قال قصيدته مرثلاً في ظرف مفاجيء مناسب وذلك يبعد عنه تهمة السرقة .
والقصة رواها الحميدي - بأسلوب مقارب - في جنوده المفتيس ، ص ٢٢٤ .
وهذه هي الفصيدة :

لما نغادي على بعادي
وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدأ
ولا معيناً على السهاد
حلت نفسي على وقوفي
ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي
أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي
ولم يكن ذاك عن مراد

أحرقت
قلبي
فأحرقت
داره



جورج لوكاش

إن لم يكن محددًا فهو غير عامض ، كذلك فإن الفن يتحرك نحو اتجاه متطور وليس في دوامة التبعثر الذي يتحرك الفن نحوه هو المستقبل أو هو التاريخ المتغير الذي يكون فيه الإنسان حلقة وصل بين الحاضر والمستقبل ، ويعتقد لوكاش بأن الفن يخضع لمثل هذه الأيديولوجية ومن ثم فهو صورة تبتدىء ولا تنتهي بحاضر الإنسان ، وهذا الاعتقاد هو من أهم سمات مبدأ لوكاش في الفن ، ويوضح لوكاش هذه الميزة بالتأكيد على ظاهرة الديناميكية من الفن التي هي امتداد للديناميكية في الحياة . وهكذا يرى لوكاش الوثائق بين واقع الحياة وواقع الفن أو هكذا يحدد نظريته إلى واقع الحياة الذي يختاره ليكون منطلقاً لواقعية الفن . وهنا يقسم لوكاش القدرات الفعالة عند الإنسان إلى قسمين رئيسيين : أولاهما قدرات فعالة كامنة لا تخرج إلى حيز الوجود تشمل مشاعر الإنسان الكامنة من مخاوف وآمال وقلاقل وأحلام وأخيلة كلها تظل حبيسة في داخل نفسه ، وثانيهما القدرات الفعالة التي تتحول من مجرد شعور إلى فعل واقع أي تلك القدرات التي تدفع صاحبها إلى أن يحول طاقة الشعور إلى طاقة عمل وعملية التحول هذه إن أمكن وصفها أو تخيلها هي الديناميكية في الحياة وفي الفن .

يعتبر جورج لوكاش المولود في بودابست ١٨٨٥ - ١٩٧١ م ، من المفكرين البارزين الذين أثروا على فكر وأدب القرن العشرين تأثيراً بلياً وفي باكورة شبابه وقع تحت تأثير كانت وهيجل وظلت مثاليتهما مصدراً يغني حياته الفكرية والأدبية ويحميه من هيمنة الأيديولوجية المادية التي عاش في ظلها سنوات طويلة . ولعل تلك المثالية هي التي ميزت موقفه عن موقف معاصريه من كتاب وسياسين ، وقد نجح لوكاش في إيجاد توازن بين الموضوعية والذاتية وأصبح مشهوراً بعرض صورته على فكر هذا العصر ، ومن دراساته التي توضح لنا هذا التوازن أو ما أصبح يسمى بالجدلية ، دراسته التي نشرت تحت عنوان الأيديولوجية العصرية .

القدرات الكامنة والقدرات المتحولة

يقول لوكاش في هذه الدراسة إن كل عمل يقوم به الإنسان يكون مبنياً على افتراض وجود معنى يمكن فيه على الأقل بالنسبة لمن يقوم بالعمل كما وأن عدم توفر هذا المعنى يجعل من عمل الإنسان مهزلة ويحول فنه إلى وصف طبيعي . فالفن عند لوكاش له معنى وهو مرتبط بمغزى

من الواقعية الجامدة إلى الواقعية الديناميكية

بقلم : د. محمد شاهين



تصوير القدرات الكامنة فهي ما يسمها لوكاش **بالواقعية الجامدة** ولتمييز **الواقعية النامية** عن الواقعية الجامدة يسمي الثانية بالطبيعية أي تلك الواقعية التي تصور الواقع كما هو ولا تتعدى صورة القدرات الكامنة في الحياة .

وأهم نقد يوجهه لوكاش لواقعية بعض الكتاب البارزين في القرن العشرين هي أنها واقعية جامدة ، ويضرب مثلاً برواية يوليسيز التي ترى بأن واقعيته تتميز بطغيان تيار الشعور عليها وهو التقنية التي تتحكم في الرواية أي إن الشكل يطغى على المعنى ويصبح غاية في حد ذاته وهذه الظاهرة هي أكبر مأخذ يأخذه لوكاش على جويس حيث إنه ينظر إلى تيار الشعور وهو صورة القدرات الكامنة على أنه حالة إنسانية وليس حالة طارئة ويحدد إيضاحه بالمونولوج الذي تبتدىء به الرواية وهو مونولوج شخصية بلوم في الحمام ومونولوج شخصية ملي في الفراش وهو المونولوج الذي تنتهي به الرواية ، ويقارن لوكاش هذين المونولوجين بمونولوج الصباح الباكر لشخصية جوته كما يورده توماس مان في روايته وتتبع الروايتان نفس تقنية تيار الشعور ، ورغم كل ما يبدو من تشابه بينهما في الأسلوب على الأقل إلا أن الاختلاف بينهما بَيِّن ، ففي يوليسيز يكون المونولوج هدفاً في حد ذاته ويتحكم في كل مقومات العمل الروائي أما في رواية توماس مان فإن المونولوج وسيلة لا غاية وتلك الوسيلة يكتشف الروائي شخصية جوته في أبعاد ماضيها وحاضرها وحتى ماضيها على العكس من جويس التي تكشف روايته عن قدرة كاتبها على تسجيل الانطباعات الفورية كما ترد على ذهن الشخصية وتكون النتيجة مجموعة من الانطباعات والأفكار المتناثرة التي لا تسير في أي اتجاه وتكون الحقيقة التي تدور حولها حقيقة جامدة رغم أن الروائي الذي يتفحص تلك الحقيقة يكون في حالة حركة .

الواقعية الجامدة

ويعتبر لوكاش واقعية جويس ومثلها واقعية كافكا وفولكنر وبيكت وروبرت موسل واقعية جامدة وذلك لأنها تنبع في الأصل من فكرة أن الإنسان وحدة منفصلة وأن لا علاقة بينه وبين ما حوله من تاريخ وبيئة وإنسان آخر وأنه يشكل كياناً فردياً يكاد يكون قائماً بذاته ، وقد انعكست هذه الفكرة على كتابات مشاهير كتاب القرن العشرين وخصوصاً الذين عاشوا في فترة ما بين الحربين ، ولا شك في أن ظروف هاتين الحربين كان لها أثرها البالغ في انعزالية الفرد وواقعيته في ذاته وذلك عندما فقد الفرد ثقته بأي علاقة خارجية فيأخذى تفسيرات الحرب ترجع عادة إلى الخلل في العلاقة بين الإنسان وما حوله أي إن الكاتب من أمثال أولشك المشاهير

ولا يرى لوكاش حداً فاصلاً بين هذين النوعين من القدرات ، فالقدرات الفعالة التي تتحول إلى عمل هي أصلاً قدرات كامنة وعندما تحولت إلى عمل فقدت حالتها الأولى وأصبح الاعتراف بتلك الحالة الأولى غير مجد وغير ضروري ولا لزوم له .

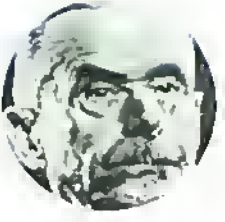
ولا يعني هذا أن كل القدرات الكامنة تتحول إلى قدرات عملية أو أن نسبة عالية منها قابلة إلى التحول ، ويشير لوكاش إلى أن حياتنا من ناحية القدرات الكامنة أغنى بكثير من حياتنا بتلك القدرات العملية أي إن ما هو قابل للتحويل أقل بكثير مما يظل على حالته الأولى . فالأفراد الذين يقضون جل حياتهم في الأحلام والأوهام والخافوف والآمال يزيد عددهم بالطبع عن أولئك النفر الذي يستطيع أن يدفع بعجلة الشعور إلى خارج حيز الشعور الضيق وإلى فضاء الفعل الرحب .

أما كيف يتحول الشعور الكامن إلى عمل فهذا ما يحاول لوكاش أن يتجنب الإجابة عليه إجابة تفصيلية أو يقينية ويستعيض عن ذلك بأوصاف غير مباشرة فهو يقول : تتضح طبيعة القدرة الكامنة من كونها عاجزة عن تغيير أو إلغاء الشخصية ومهما كانت الحالات الفكرية الذاتية على درجة من الثبوت والعمق فإنها تظل عاجزة عن تقرير المصير ، بل إن نمو الشخصية يتحدد بمواهب وصفات موروثية بالإضافة إلى العوامل الخارجية أو الداخلية التي من شأنها أن تدعم أو تعمق نمو تلك المواهب والصفات والقدرة على تقرير أو على اختيار القيام بعمل ما يلقي القدرة الكامنة ويجدها أو يحولها إلى قدرة فعالة ، وعندها تتحقق القدرة الكامنة أي أنها تصبح حقيقة . ويمكن وصف هذه الظاهرة في الأدب بحل العقدة وتظل العملية سواء في الحياة أو في الفن عملية مدهشة لا يمكن التوصل إلى كنهها فبعد أن يختار صاحب العمل القيام بعمل ما أو اختيار فعل معين يجد نفسه أمام تساؤلات عديدة عن طبيعة الدافع أو الدوافع التي حدثت به إلى أن يفعل ما فعل وربما أكثر ما يستطيع الإجابة عنه هو أنه قام بالعمل ويمكن أن يكون قد قام بما قام به بدافع شعوري . ويعترف لوكاش بأنه لا يمكن التنبؤ بسبب أو بصفة الدافع الذي يؤدي إلى اختيار العمل .

إذن فالحقيقة عند لوكاش هي ما يتحقق من قدرات كامنة ، وبما أن مثل هذه الحقيقة تمر في عملية التحول فهي حقيقة ديناميكية ، ومن هذا المنطلق يحدد لوكاش نظريته إلى الواقعية في الفن .

الواقعية الديناميكية

والواقعية التي يتبناها لوكاش هي **الواقعية الديناميكية** التي تختص بتصوير واقع القدرات الكامنة المتحولة أما الواقعية التي تقف عند



توماس مان كاتب (١٨٧٥-١٩٥٥ م)

ولعل من أهم ما يميز الواقعية الديناميكية هو أنها تتخذ واقع الحياة الحاضر منطلقاً أو نقطة بداية ولكنه لا يكون البداية والنهاية ، كما هو الحال في الواقعية البورجوازية . وطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع هي الفاصل المميز بين الواقعيين ، ففي الواقعية البورجوازية يعرض الفرد عن المجتمع لأنه يجد نفسه عاجزاً عن مسايرته أو كارهها لخطط حياته ، وفي جميع الحالات تكون النتيجة واحدة وهي أن يترك الفرد المجتمع وشأنه ويهرب إلى ذاته الفردية أو إلى فرديته الغريزية مقابل إنسانيته الاجتماعية وهكذا يكون الفرد في الواقعية البورجوازية إنساناً مكبوتاً اجتماعياً وكثيراً ما يرى منطلقاً أو متنفساً في البحث عن غرائزه الحيوانية .

وهنا يلتقي فرويد في نظراته للفرد مع الواقعية البورجوازية عندما يتخذ الحياة اليومية منطلقاً للبحث في مكونات شذوذ الفرد عن الحياة اليومية أو ما يسميها بالحياة العادية ، وأقصى ما يطمح إليه علم النفس في هذه الحالة هو البحث عن رشد الفرد الضائع أملاً في معرفة طريقة إرجاعه إلى حظيرة الحياة اليومية أو العادية .

ويظل التعارض بين الفرد والمجتمع قائماً حتى في الواقعية الديناميكية ولكن موقف الفرد أو (الكاتب) من هذا التعارض يختلف عنه في الواقعية البورجوازية حيث إن التعارض هنا يتخذ نقطة تحرك إلى الأمام لا نقطة تقهقر إلى الوراء ، ويمكن تسمية نقطة التحرك بالبعد أو الاتجاه ، أو المعنى ، أو المستقبل أو ما شابه ذلك من تسميات .

وفي هذه الحالة نجد البطل في الرواية يسمو على المجتمع بواسطة بعد الرؤيا التي يعجز عن رؤيتها المجتمع ويحاول أن يدفع بنفسه وبالمجتمع نحو تلك الرؤيا .

ونجد الإشارة هنا إلى أن البطل لا يكون في أي حال من الأحوال وحدة منفصلة عن مجتمعه ، فهو جزء من المجتمع من حيث أن المجتمع أصلاً مكونات فردية وأمثاله ومن حيث أن المجتمع نقطة انطلاقه التي يحملها معه أثناء تحركه هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا التي يتحرك نحوها هي المجتمع الأمثل أو مجتمع المستقبل الذي يصبو إليه وفي الوقت نفسه نجد الفرد يتحرك بقوة فردية دافعة تزيد عن قوة فرديته الاجتماعية ولكنها أيضاً لا تندفع في فراغ .

وهكذا تصبح العلاقة علاقة متداخلة لا هي مادية ولا هي مثالية ويراها لوكاش على أنها علاقة جدلية .
ويبدو أن تصور لوكاش لهذه العلاقة على أنها جدلية أصبح بمثابة جسر يربط بين المثالية التي نشأ عليها والمادية التي لا بد له أن يعيش في واقعها .

أصبح يرى في المجتمع عبئاً لا يستحق الاعتبار من وجهة نظر الفرد .
وينعت لوكاش الواقعية الجامدة على أنها واقعية بورجوازية في أصلها وفي تطورها حيث إنها تصور واقع الحياة كما هو وتؤيد البقاء على الوضع الراهن ولا تتطلع إلى التغير والتقدم أي أنها واقعية فاقدة للديناميكية التي لا يمكن تحقيقها بدون علاقة بين الفرد وما حوله . ويعيب لوكاش على البورجوازية تمجيداً لوضع الفرد ولكنه يبين أن حياة الفرد في ذاته تظل مهماً بلغ التمجيد بها ناقصة وفقيرة ومتميزة بالسلبية التي تنتج عن وضعه الطبيعي ومن خلال هذه الصورة نشأت تقنية تيار الشعور التي هي سجل لذكريات متواترة .

إذن فالواقعية البورجوازية واقعية فاقدة لمعنى الحياة لأنها فاقدة لناموس الحركة وترتكز في وجودها على نوع من المبرر لا تتعداه في معناها وهو أنها نوع من الاستشفاء النفسي - بالولوجي - الذي أصبح شائعاً بعد ظهور فرويد في بداية هذا القرن . أي إن الكاتب يقوم بتشخيص الواقع عن طريق وصفه وكشفه وتصبح معرفة الواقع هي كل ما يهدف إليه الكاتب وهي نوع من معرفة الداء دون الوصول إلى الدواء .

وهكذا فإن الواقعية البورجوازية تحيى معبرة عن الشعور بالقلق وعدم الارتياح من نمط الحياة ويكون الهروب من هذا الشعور إلى التعبير عنه ، أي إلى غير محتوى وإلى غير اتجاه وتكون النهاية تعبيراً عن لا شيء .
ويمكن القول بأن الواقعية البورجوازية تلتقي مع الواقعية التقليدية من حيث كونها تهتم بالتعبير عن واقع الحياة ومن حيث المطابقة ، بين الفن وما هو خارج الفن ، وبهذا تكون الواقعية البورجوازية وقد فشلت في تحقيق أهم هدف من أهداف الثورة على التقليدية ألا وهو التمييز بين مكونات الفن ومكونات ما هو خارج الفن . ولكن هذا لا يعني أن الكاتب الحديث غير محتج على واقع البورجوازية ، بل إن أسلوب احتجاجه يعجز عن تحقيق غاية الاحتجاج المنشودة أصلاً لأنه يدور في حلقة مفرغة .

ما هو البديل

ويرى لوكاش أن البديل للواقعية البورجوازية هو الواقعية الديناميكية والواقعية الديناميكية واقعية ذات معنى ومضمون واتجاه منظور لدى الكاتب وهي الواقعية التي يغلب فيها المضمون على الشكل ويتحدد موضوعيتها من التفاعل بين الفرد وما حوله وليس من ذاتية الفرد الانعزالية .

من أمثال العرب

(رُبَّ نَعْلٍ سَرَّ مِنْ اخْتِائِهِ)

يضرب في الشيء المتناهي في الرداءة .

(رُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ جَوَابًا)

يضرب لمن يحل خطؤه عن أن يكلم فيجواب بترك الجواب .

(رَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَاثِي)

يعمد إلى قطعة من الجبل فيضم إليها حجران ثم تنصب عليها القدر ، والمراد بثالثتها هذه القطعة .. وهي مثل لأكبر الشر وأفظعه . وقيل : معناه أنه رماه بالاثاثي أثفية بعد أثفية حتى رماه بالثالثة فلم يبق غاية ، والمراد أنه رماه بالشر كله .

(أَبْصُرُ مِنْ نَسْرٍ)

ليس في الطير أبصر من النسر .. تزعم الفرس أنه إذا حلق أبصر الجيفة من مسافة أربعمئة فرسخ .

(الْخَرْبُ سَبْجَالٌ)

هي جمع سجل . أي مرة فيها سجل على هؤلاء وسجل على هؤلاء ، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى المساجلة وهي المباراة والمبالغة (قاله أبو سفيان بن حرب) .

(الْحَمْدُ مَغْنَمٌ وَالْمَذَمَّةُ مَغْرَمٌ)

يضرب في الحث على اكتساب ما ينتج الحماد واجتناب غيره .

(أَعْطَشُ مِنَ الثَّقَافَةِ)

ويروى من « النفاق » أيضا ، يقصدون به الضفدع ، وذلك أنه إذا فارق الماء مات ، ويقال للإنسان إذا جاع : نقت ضفادع بطنه ، وصاحت عصافير بطنه .

(لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَافِطَةٌ)

قال الأصمعي وغيره : الساقطة الكلمة يسقط بها الانسان ، أي لكل كلمة يخطئ فيها الانسان من يتحفظها فيحملها عنه .. يضرب في التحفظ عند النطق .

(تَشْتَهِي وَتَشْتَكِي)

أي تحب أن تأخذ ، وتكره أن يؤخذ منك .

(التَّقَى الْبَطَانُ وَالْحَقَبُ)

البطان للقتب : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، وهو بمنزلة التصدير الذي يتقدم الحقب ، والحقب : الخيل يكون عند ثيل البعير ، فإذا التقيا دل التقاؤهما على اضطراب العقد والحلاها ، فجعل مثلا .. يضرب لمن أشرف على الهلاك .. وهذا قريب من قولهم « جاوز الحزام الطبيين » .

(تَرَكْتُهُ عَلَى مِثْلِ خَدِّ الْفَرَسِ)

أي تركته على طريق واضح مستو .

(جُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ)

يقول الشاعر امرؤ القيس :
ولو عن ثنا غيره جاني
وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزا
ل يؤثر عني يد المسند
يضرب في تأثير الوقية .

من أمثال الشعوب

- غبي يقول الحقيقة .. خير من ألف كاذب .
- من يشنق نفسه على المدخنة .. ليس له أن يشكو من الدخان .

(ألمانيا)



- علاج الجراح بنسيانها .
- ليس كل مغمض العينين ، نائماً .

(إيطاليا)



- العمل المستعجل .. ليس بالعمل المتقن .
- أكثر الناس كذباً من يكتر الحديث عن نفسه .

(الصين)

- دائماً الشيطان يترين بأحدث الأزياء .
- إذا دفعت أجر العامل مقدماً .. فما عليك إلا أن تجمع حصادك لوحذك .

(روسيا)



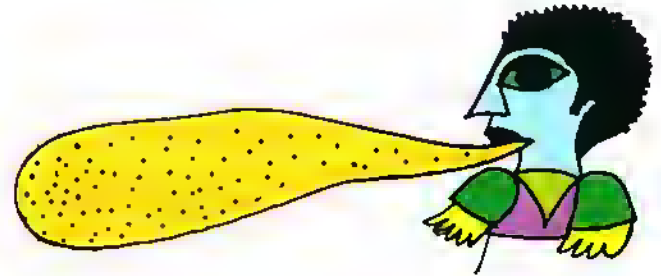
- لا تحكم على الكتاب من غلافه .
- يعرف الرجل من رفقاءه .

(أمريكا)



- ارتدي ملابسك بتمهل .
- من يحكم بين صديقيه ، يفقد أحدهما .

(فرنسا)



- اللسان الطويل .. دلالة على اليد القصيرة
- الفقر لا يهدم العفة .. وكذلك الغنى لا يمنحها .

(إسبانيا)

ندوة

اللغة

اشترك في الندوة

- الدكتور محمود اسماعيل صبيح / السعودية
- الدكتور رضا توفيق زهر / لبنان
- خطاب شريف بورهانجي / جامبيا
- الدكتور محمد حسنة باكلا / السعودية
- الدكتور / حسين آتاي / تركيا

مُعَلِّمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِغَيْرِ الْعَرَبِ إعداد .. تدريبه .. مواصفاته

إعداد: محمد مبارك



قضية معلم اللغة العربية لغير العرب من حيث إعداده وتدريبه ومواصفاته من القضايا الهامة التي تؤثر تأثيراً مباشراً على مستوى تعلم اللغة العربية ، وانتشارها . . ذلك لأن معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها هو - في نظر الطلاب غير الناطقين بالعربية - المثال الأعلى في نطق اللغة العربية . . وله تأثيره في أفكار الطلاب غير العرب من حيث نظرهم إلى العرب ، والعربية ، ومدى قوة اللغة التي يدرسونها ، ومدى شعورهم ببسر أو بعسر اللغة العربية ، كما أن افتناع الطلاب بمستوى المعلم سيزيد من اقبالهم على لغة القرآن الكريم .



* د. د. محمد حسن باكلا *

العرب من حيث الصعوبات . . علاجاً لهذا أرى :

أولاً : أن تنشط الهيئات التعليمية العربية في فتح برامج أو إنشاء تخصصات للتدريب على تعلم العربية لغير الناطقين بها بأساليب حديثة تماثل على الأقل ما يجري في تعلم اللغات العالمية ، حتى نسد العجز البشري الكبير .

ثانياً : أن تراعي الهيئات التعليمية العربية والإسلامية تهيئة المعلمين قبل انتدابهم للعمل في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بأسلوب مناسب .

إعداد المعلم العربي وغير العربي

● ومن لبنان يشارك الدكتور رجا توفيق نصر أستاذ التربية واللغويات في كلية بيروت الجامعية ومدير مركز اللغة الانجليزية للتعليم والبحوث في الجامعة الأميركية في بيروت ، فيطرح رأيه من خلال تجاربه وخبراته قائلاً :

يمكننا أن نعرف التعلم الناجح بأنه الجهود المبذولة من قبل المعلم والرامي إلى تحقيق الأهداف التعليمية ، فنجاح التعليم إذن يقاس بنسبة التعليم .

وهناك أربع ركائز رئيسية للتعلم الناجح :

١ - الصفات الشخصية ، بما في ذلك من أخلاق وآداب وإبداع وذكاء واستقامة .

٢ - المهارات اللغوية ، بما في ذلك من استيعاب المسموع والتكلم والقراءة والكتابة .

٣ - معرفة العلوم اللغوية ، بما في ذلك من معرفة عن تراكيب لغة الطالب الأم واللغة الهدف .

٤ - الأساليب والطرائق التربوية والتعليمية ، بما في ذلك من

كما يعتبر معلم العربية لغير الناطقين بها سواء في الدول الإسلامية أو غير الإسلامية سفيراً لكل الدول العربية في هذه الدول ، لهذا فإن إعدادهم إعداداً مناسباً ، وتدريبه لرفع كفاءته ، والاهتمام بتحديد المواصفات المطلوب توافرها من أهم العوامل التي تؤدي إلى نجاح مهمته ورسالته .

ومن هذا المجال تنور عدة تساؤلات ، ويطرح أكثر من رأي حول المعلم ، لعل من أبرزها :

● على أية أرضية نبداً . . وكيف نحدد المواصفات التي يجب توافرها في معلم العربية لغير الناطقين بها ؟

● ما هي نوعية الثقافة التي يجب أن يكون عليها . . وما هو الحد الأدنى لها ؟

● هل من الأفضل الاعتماد على معلمين من غير العرب بعد تأهيلهم . . أم الأجدي أن نعمل على تأهيل معلمين عرب ؟

● ما هي الصعوبات التي يمكن أن تواجه معلم العربية لغير الناطقين بها عند أداء مهمته في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ؟

من هذه المنطلقات تطرح ندوة هذا الشهر قضية معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

دراسة الوضع الراهن

● من المملكة العربية السعودية تحدث الدكتور محمود إسماعيل صيفي مدير معهد اللغة العربية بجامعة الرياض ، فأكّد على ضرورة الاستفادة من الأوضاع الراهنة لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها حتى يمكن تصور مواصفات المعلم النموذجي على النحو التالي :

* **أولاً :** نبداً من الوضع الراهن ، هناك ندرة شديدة جداً في المعلم الذي يلم بالأساليب الحديثة لتعليم العربية لغير الناطقين بها ، والدليل على ذلك أن المعهد في الرياض يعلن سنوياً في عدة أقطار عربية وغير عربية ، عن الحاجة لمعلمين ، ومع ذلك لا يجد عدداً يزيد على أصابع اليد من النوعيات الجيدة .

* **ثانياً :** هناك خطأ شائع في أذهان كثيرين من المسؤولين في الدور التربوية في العالم العربي ، وهو عدم التمييز بين الشروط التي يجب أن تتوفر في معلم اللغة العربية لأهلها ولغير أهلها . فالفارق في الأعداد كبير ، ويجب أن يؤخذ ذلك في عين الاعتبار .

لذلك نجد أن كثيراً من المؤسسات التعليمية العربية تنتدب مدرسي اللغة العربية في بلادها لتدريسها في بلاد إسلامية غير ناطقة بالعربية ، والأدنى من ذلك أن يقوموا باستخدام نفس الكتب التي يدرسونها للطلاب العرب في تلك البلاد . والنتيجة الحتمية هي تصوير العربية بصورة سيئة في أذهان غير



★ د. أحمد إسماعيل مبنى ★

أو المؤسسات التبشيرية . وبناء عليه ينبغي لشخصية هذا المدرس أن تتساوى إن لم تتفق شخصيات المربي الغربي . وهذا يلقي عليه عبئاً ثقيلاً من ناحية حتمية تمتعه بثقافة واسعة ومتنوعة .

إعداد المدرس غير العربي

● أما الدكتور محمد حسن باكلا وكيل معهد اللغة العربية بجامعة الرياض في المملكة العربية السعودية فيشارك برأيه قائلاً : « أصبح تعلم العربية لغير الناطقين بها ميداناً مستقلاً يحتاج إلى متخصصين سواء في تدريس العربية أو إجراء البحوث العلمية أو إعداد المدرسين وتدريبهم ، وبات من الضروري إعداد المتخصصين في هذا الميدان وهو أحوج ما يكون إلى مدرسي لغة مؤهلين ومدرسين على أداء هذا العمل .

ولا بد من اختيار نوعية المدرس الناجح عن طريق الاختبارات والمقابلات الشخصية والمؤهلات اللازمة للتخصص في هذا الميدان . وعند تكوين المدرس أو تدريبه لا بد من مراعاة إعداداته إعداداً ثقافياً علمياً مهنيّاً وتكنولوجياً .

وأقصد بـ «ثقافياً» هنا أن يدرّب على العمل على نشر الثقافة العربية الإسلامية والتعرف على الثقافات الأخرى التي تساعد على دعم مركز الثقافة العربية الإسلامية . وكلما كان المدرس مثقفاً بثقافة واسعة ، استطاع أن يوسع آفاق الطلاب ويفتح أذهانهم .

وأعني بـ «علمياً» الثقافة اللغوية ولا أقصد بذلك معرفة اللغة العربية وإنما فروع علم اللغة الحديث وعلم اللغة التطبيقي والدراسات التربوية والنفسية المرتبطة بالتعليم وأساليبه .

وأعني بـ «مهنيّاً» تدريب المدرسين على طرائق تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها والتدريبات في التربية العلمية والميدانية وما إلى ذلك .



★ د. رجا توفيق نصر ★

نظريات حديثة وتطبيقات عملية .
وهناك ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر تأثيراً مباشراً على نوعية تدريب معلم اللغة العربية :

● الأول : اختيار المعلم أو المرشح للتدريب ، ولا يقصد بهذا تأمين الامتياز قبل التدريب ، بل تأمين قابلية المعلم أو المرشح للتأهيل .

● الثاني : محتويات منهج التدريب بما في ذلك من فصول مهنية في التربية وفصول في اللغة العربية وفصول في علم اللغويات وفصول في التربية العامة ونشاطات رياضية وترفيهية .

● الثالث : الطرائق والأساليب المستخدمة أثناء التدريب ، والمقصود بها أن تكون قذوة ونموذجاً للمتدرب .

ويختتم الدكتور رجا نصر رأيه بقوله : « إن مفتاح التعلم الناجح من تعلم ناجح يكمن في نوعية تدريب معلم اللغة العربية قبل الخدمة وأثناء الخدمة ، .

ثقافة المعلم

● أما عن ثقافة معلم اللغة العربية لغير العرب ونوعيتها ، فقد حدثنا عنها الأستاذ خطاب شريف بوجانج من جامبيا ، وكان يعمل مستشاراً لوزارة التربية والتعليم الجامبية منذ ٨ سنوات ويعمل الآن في حقل الثقافة العربية بالتعاون مع الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية في الرياض .. فقال :

« نحن في غربي إفريقيا يهنا بشدة المعلم الذي سوف يتولى تعليمنا اللغة العربية ، وينبغي أن يكون هذا المعلم عارفاً خبيراً بالبيئة والمجتمع اللذين سيقوم بالتدريس في نطاقهما ، وأيضاً يجب أن يلم بالأوضاع الاقتصادية والسياسية ، وخلفيات الطالب ومستواه . كما يجب أن يكون مرناً واسع الثقافة ، ليتمكن من أداء مهمة صعبة جداً ، حيث إن المعلم سيواجه في بلادنا عناصر مختلفة اللهجات والعادات والتقاليد ولكن تجمعهم بيئة واحدة ، وكل هذه العناصر سيواجهها المعلم عند تدريسه للغة العربية .

« إضافة إلى ذلك يجب أن يكون المعلم ذا شخصية قوية مؤثرة لأنه ربما لاقى صعوبات من جانب بعض نوعيات من الطلاب المتأثرين بالثقافة الغربية



تعليق

من محصلة الآراء المطروحة في هذه الندوة والمقترحات التي قدمت ،
والمرثيات التي أبديت ، نستطيع أن نخلص إلى طرح سؤال نرى أن الإجابة
عليه يجب أن لا تكون من قبل جهة دون أخرى في العالم العربي .. وهو :

على من تقع مسؤولية إعداد معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها؟
هل هي مسؤولية المعاهد والجامعات؟
أم مسؤولية هيئات ومؤسسات محلية .. أو على مستوى المنظمات التابعة
للجامعة العربية؟

ذلك لأن تعلم اللغة العربية لغير العرب ستعود فائدته على العالم العربي
كله ، كما أن نشر الثقافة العربية ولغة القرآن الكريم يجب الإعداد لها إعداداً
سليماً يبدأ من المعلم الكفء المناسب .

ومعيار الكفاءة المناسبة قضية نسبية تختلف وفقاً لظروف كل بلد ..
ونوعية الطلاب .. والأهداف .. والتصورات . وأن يكون الهدف من
إعداد المعلم الناجح للغة العربية لغير العرب معروفاً فهو شيء طيب ، أما أن
نحاول ونسعى إلى تحقيق هذا الهدف بصورة تتفق ومقتضيات العصر وملابسات
الموضوع وخلفياته فهذا شيء يستحق بل يستوجب العناية والرعاية من كل
المشتغلين والمهتمين بنشر اللغة العربية وبالتالي الثقافة العربية الأصيلة .

ولعلنا نضيف أنه في كثير من الأحيان يجب أن يكون المعلم على جانب كبير
من الثقافة الدينية خاصة إذا كان يعلم أبناء الدول الإسلامية غير الناطقين
بالعربية ، حيث إنه معرض لكثير من الأسئلة حول الشرع الحنيف .. ولا
شك أن ثقافته الدينية الجيدة ستساعده على تعميق الروابط بينه وبين
الدارسين .

والذي نود أن نوضحه أيضاً هو أنه بعد إتمام عملية إعداد المعلم إعداداً
مناسباً يجب أن تكون عملية تدريبه من حين لآخر عملية مستمرة .
كما يجب الاستفادة من تجارب من سبقونا في هذا المضمار لتعليم لغاتهم
لغير الناطقين بها من حيث الوسائل والأساليب والبرامج .



★ د. حسين آتاي ★

وأعني بـ «تكنولوجيا» تدريب المدرس على استخدام الأجهزة الحديثة
والوسائل السمعية والبصرية في تعليم اللغة العربية . كيف
يستخدم الأجهزة .. وكيف يعد المادة لكل جهاز .. ومتى يستخدم الجهاز
مع المادة المناسبة .. وغير ذلك .

والواقع أن هناك ندرة من المتخصصين في هذا الحقل ، وستشهد السنين
القادمة أقبالا متزايداً لتغطية هذا النقص الكبير . وفي اعتقادي أن تدريب
المدرس العربي غير كاف لهذه التغطية ، وأن النصح الوسائل هي إعداد المدرسين
من غير الناطقين بالعربية على استخدام أحدث الوسائل والطرائق لتعليم العربية
في بلادهم فهم أعرف بمشاكل طلابهم من أبناء بلادهم وتدريب أعداد كبيرة
من هؤلاء المدرسين سيساعد في نشر العربية على أوسع نطاق وفعالية أكبر
والعمل .

المعلم .. وانتشار اللغة

ويلخص الدكتور حسين آتاي أستاذ علم الكلام بكلية اللاهيات بجامعة
أنقرة بتركيا رأيه بقوله :

«إن معلم اللغة العربية لغير العرب من أهم عوامل انتشار اللغة العربية
لغير الناطقين بها ، ولهذا فإنه بقدر إعطائه العناية الكافية بقدر انتشار اللغة
العربية في ربوع العالم . ويجب الاهتمام في هذا المجال بأن يدرس كل معلم
ظروف الطلبة الذين سوف يلقيهم دروس اللغة العربية كما يستحب أن يلم بلغة
البلد غير العربي الذي سيقوم بتعليم أبنائه .



قصة جدة لنص قديم

بقلم : محمد إبراهيم أبوسنة

» لقد أنصبتني أم قيس «

«من شعر كعب بن سعد الغنوي»

كعب بن سعد الغنوي

هو كعب بن سعد بن عمر بن عقبة بن عوف بن رفاعه الغنوي أحد بني سالم ينتمي نسبه الى قيس بن عيلان. ذكر البغدادي في الخزائن انه شاعر اسلامي ونقل الالوس في بلوغ الأدب عن كتاب الخيل لابي محمد الغندجاني انه كان في زمن عمر بن الخطاب ويقال له كعب الأمثال لكثرة الأمثال في شعره وقد خالف ابن هشام في التيجان هذه الرواية فقال انه كعب بن سعد بن قيس بن الصعل بن قراد بن غني بن يعصر بن قيس عيلان. وقد اثبت له الاصمعي في الاصمعيات قصيدتين الأولى هي «لقد أنصبتني أم قيس» والثانية في رثاء اخيه التي يقول في مطلعها:

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته

ولا ورع عند اللقاء هيوب

كان شاعراً فارساً جواد مقلداً في شعره.

لقد أنصبتني أم قيس تلومني
وما لوم مثلي باطلاً بجميل
تقول الا يا استبق نفسك لا تكن
تساق لغبراء المقام دحول
كملقى عظام او كمهلك سالم
ولست لميت هالك بوصيل
اراك امر أترمي بنفسك عامدا
مرامي تغتال الرجال بغول
ومن لا يزل يرجي بغيب إياه
يجوب ويغشى هول كل سبيل
على قلت يوشك ردي أن يصيبه
الى غير أدنى موضع لمقبل
ألم تعلمي ان لا يراخي مني
قعودي ولا يدني الوفاة رحيلي
مع القدر الموقوف حتى يصيبني
حمامي لو ان النفس غير عجول
فانك والموت الذي ترهيبه
عليّ وما عدالة بغفول
كداعي هديل لا يجاب اذا دعا
ولا هو يسلو عن دعاء هديل
وذني ندب دامي الا ظل قسمته
محافظه بيني وبين زميلي
وزاد رفعت الكف عنه عفاة
لا وثر في زادي عليّ أكيلي
وشخص درأت الشمس عنه براحتي
لأنظر قبل الليل اين نزولي
ومنشق اعطاف القميص دعوته
وقد سد جوز الليل كل سبيل
فقلت له: قد طال نومك فارتحل
وما ذاق طعم النوم غير قليل
سحيرا واعجاز النجوم كأنها
فساطيط ركب بالفلاة نزول
ومن لا ينل حتى يسد خلاله
يجد شهوات النفس غير قليل

وعوراء قد قلت فلم استمع لها
وما الكلمة العوراء لي بقبول
وما انا للشئ الذي ليس نافعي
ويغضب مني صاحبي بقؤول
واعرض عن مولاي لو شئت سبي
وما كل يوم حلمه بأصيل
ولن يلبث الجهال ان يهضموا
أخا الحلم ما لم يستعن بجهول
واذكر ايام العشيرة بعدما
اميل غيظ الصدر كل مميل
ولست بمبدٍ للرجال سريري
وما أنا عن اسرارهم بسؤول
وقوم يجرون الثياب كأنهم
نشاوى وقد نهتهم لرحيل
وقد نفر الليل النهار والبست
سماوة جونٍ مجنحٍ لأصيل

شاعر هذه القصيدة ليس واحداً من اعلام الشعراء الذين سارت بذكرهم الركبان واحتفل بهم النقاد وروت لهم كتب الأدب الروايات عن حياتهم وشعرهم وانما هو شاعر فرض اسمه على الكتب المتخصصة في تمحيص الشعر العربي مثل بلوغ الأرب والسمط والأغاني والخزانة. انه كعب بن سعد الغنوي احد بني سالم بن عبيد بن سعد بن كعب ينتهي نسبه الى قيس بن عيلان وبعض الكتب ترفع نسبه الى الجلد الأخير وبعضها يوجز في ايراد اسماء الأجداد. وكعب هذا غلب عليه لقب «كعب الأمثال» لكثرة ما في شعره من الأمثال وفي الامال انه شاعر اسلامي. عاش وابدع شعره في العصر الأموي وهذا ما يؤكد الطابع العام لهذه القصيدة التي تكاد ان تنتمي بقيمتها الفنية والموضوعية الى العصر الجاهلي. ولما كان العصر الأموي انما هو عودة فنية كبيرة الى الصورة الفنية التي كان عليها الشعر الجاهلي فان هذه القصيدة لا تصبح غريبة في عصرها الذي قيلت فيه. وقد وردت هذه القصيدة في مختارات ابي سعيد عبد الملك بن قريش بن عبد الملك المعروف بالاصمعي وهي المختارات التي تحمل اسم «الاصمعيات» نسبة الى جامعها. والنظرة الشاملة بعد القراءة المتعمقة للقصيدة تلاحظ عناصر الاتجاهات الفكرية والفنية والفلسفية الأساسية التي ازدهرت في الشعر الجاهلي وحاول الشعر الأموي العودة إليها بأسلوب يستوعب خبرة التجربة الاسلامية الكبيرة التي غيرت النطاق الفكري والفلسفي الذي كان سائداً كما خلقت معايير جديدة في مجال الاخلاق والعلاقات الانسانية وبناء المجتمع ذاته. فالاطار العام لقصيدة كعب بن سعد الغنوي يمت للشعر الجاهلي بنسب اصيل يظهر جلياً في هذه الأنفاس التي تعيد الينا الاتجاه الى الحكمة الذي برز فيه واقام اسسه الاولى زهير بن ابي سلمى. فالحكمة كمفهوم انساني يمتص خبرة عصره بأكمله تنتشر في هذه القصيدة الرائعة كما تعطي القصيدة كذلك ايجاء قويا بصلتها المباشرة بهذا العالم الذي يحفل بالمغامرة والمخاطرة عالم الصعاليك الفسيح الذي يحفه الغبار وتكن فيه الأخطار. عالم يصبح فيه التخلي عن الاحساس بالأمن هو أعظم الضمانات للأمن. يذكرنا

بمخاطرة عروة بن الورد حين يقول :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترًا من المال يطرح نفسه كل مطرح

ولكن المخاطرة هنا في هذه القصيدة ربما كانت من نوع أكثر ترفاً من مخاطرة الصعاليك الذين دفعهم نبذ المجتمع لهم إلى ركوب الاخطار واصطناع الاسفار والغزوات . انها مخاطرة المهدف منها الحفاظ على كبرياء الشاعر مخاطرة لا اعلان شأن الذات وليس لدفعها درجات في سلم الحياة الاجتماعية . وتبرز في القصيدة هذه القادرية الحتمية التي كان شعر طرفة بن العبد رائداً في تصويرها حين يقول :

الا اي هذا الزاجري احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت محلدي
ارى الموت اعداد النفوس ولا ارى
بعيدا غدا ما اقرب اليوم من غد

هذه الحتمية التي جعلت من الحياة اختباراً قاسياً بين اعدام الذات في اخضاعها التام للعرف والمواضعات والجتمية الاجتماعية وبين اغتنام الحياة فوق حب التمرّد وتحت سياط الاحتجاج الاجتماعي واستنكاره وليس ثمة شك في ان القصيدة «لقد انصبتني ام قيس» تنفرد بتصوير تجربة اخرى بالغة التفرد والذاتية وهي لا تلتقي مع تجارب الصعاليك أو زهير بن ابي سلمى أو طرفة بن العبد إلا لتفترق وهنا عظمة أي شاعر أصيل . ان الشاعر الحقيقي هو حفيد أسلافه فهو يذكرك بأجداده الشعراء في الوقت الذي يعتز بوجهه هو وموهبته الذاتية التي تميزه عنهم . وهكذا نرى صورة جليلة لنمط الصياغة الجاهلية وعصر بني امية يذكرنا بزهير وطرفة وغيرهم ولكن الذي يبقى هو صدق أنفاس كعب بن سعد الغنوي في هذه القصيدة الحارة الصادقة التي تضرب بجذورها الفنية والفكرية والاخلاقية في تراث القصيدة العربية . وقد اختار الشاعر القصيدة بحر الطويل (فعولن فعولن فعولن فعولن) ليعبر من خلاله عن هذه الموجات المشحونة بالتوتر والتأمل والحركة . انه بحر واسع الأطراف هادئ كالصحراء متموج بطي الايقاع يعطي للشاعر فرصة كافية للتفكير والتأمل . وهو بحر شاع استعماله في العصر الجاهلي . فهو فخم جليل ولكنه لا يترفع عن الحركة والتدافع اذا فاضت بالشاعر هواجسه . وتبدأ القصيدة بظهور «ام قيس» لأمة عاتبة محذرة للشاعر ومنذرة بالأذى الذي يمكن ان يلحق الشاعر من جراء تمسكه بفضائله كفارس شجاع .

أم قيس

انها امرأة كثيرة الظهور في القصائد الجاهلية والاموية ولكن باسماء مختلفة وهي قد تكون زوجة الشاعر المحبة له الخائفة عليه وقد تكون جزءاً من هذا التقليد الفني الذي تفتتح به القصائد . فكما اننا نعثر دائماً في الشعر الجاهلي وغيره على هذا الخليل الذي يحرص الشاعر على اصطحابه في كل رحلاته فاننا نجد كذلك امرأة مختلفة الاسماء والاضاع والمسافة من الشاعر ولكنها في معظم الأحيان امرأة عاتبة مشفقة على الشاعر مما يجلبه على نفسه . إنها مرة تكون أميمة التي يخاطبها ابو ذئيب الهذلي حين يقول :

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل ما لك ينفع

وقد تكون زوجة مشفقة كزوجة عروة بن الورد التي تحذره من المخاطرة بنفسه طالبا للغنى فيرد عليها:

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

وقد نجدها من الجانب المناوئ كما في قصيدة السموأل بن عادياض حين يقول:

تعيرني انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

فام قيس اذن في قصيدة كعب بن سعد الغنوي قد تكون زوجة أو أما أو صديقة أو اختراعا فنيا يجري به على سنة القصيدة العربية التقليدية وقد تكون تجريدا من نفسه لهذه الشخصية الخيالية أراد بها توجيه السؤال الى نفسه واللوم لها على استهائه بالمخاطر التي يعرض نفسه لها. ويبدو أن أم قيس هي امرأة حقيقية وهذا واضح من قوله «لقد انصبتني» فالافتتاح بلقد يفيد التحقيق وانصبته اتعبته لانها اكثرت من لومه وتقريعه وتحذيره ويبدو ان استخدمت كل ما تستخدمه الأنثى المحبة من وسائل الضغط لتمنعه من مواصلة مغامراته. وكان من الممكن ان يبدأ الشاعر قصيدته بلومها مباشرة من خلال ندائها له ان يرحم نفسه او يحثها بالمخاطر ولكنه آثر ان يفتح القصيدة بالاعلان عن تعبها وضيقه من هذا اللوم الشديد على نفسه. وهو يعتبر هذا اللوم محافيا للصواب والحق. لا لانه وديع يؤثر السلامة فيكون اللوم في غير موضعه بل لأن لوم مثله يعد باطلا فثله لا يلام لانه لا يرتكب جرما اذا كانت مخاطراته من أجل اكتساب الشرف والذود عن الأهل والعرض. انه يستنكر هذا اللوم لانه لا يليق بمثله فهذا لوم ليس جميلا وقد اثر ان يترقق بهذه المرأة التي يعرف جيدا ان لومها يأتي من اشتاقها عليه ومحبتها له فانتقى وصفا مخففا لهذا اللوم الذي أعلن هو انه قد اتعبه فقال بان هذا اللوم «غير جميل» وكان يمكن ان يستخدم لفظاً أكثر غلظة لولا ان العلاقة التي تربطه باللائمة علاقة حميمة وهدفها منه هو المحافظة عليه هو اذن قد أعلن في هذا البيت تقريبا عن تقرير موقف ام قيس منه واحساسه وتقديره بهذا الموقف ووقعه عليه ثم أكد موقفه من هذا اللوم وحكمه عليه. فكانه في الواقع قد لخص في بيت واحد القصيدة كلها: وقوع اللوم - ورده عليه مع التركيز على التأثير وابرز شخصيته فهو بيت جامع أو هو بيت القصيدة ومعجزته انه في كلمات قليلة قد قال كل شيء تقريبا.

بعد هذا البيت الذي يبدو ان الشاعر قد اراد به التنفيس عن نفسه ندخل الى صميم العتاب الذي وجهته ام قيس الى الشاعر. وهو يبدأ بهذا النداء:

تقول الا يا استبق نفسك لا تكن
تساق لغبراء المقام دحول

وحذف المنادي في هذا البيت يؤكد امتلاء نفس وقلب هذه المرأة بهذا الشاعر المغامر فهي غير محتاجة الى ان تشير اليه أو تعلن اسمه فهي تحس به ملء كيانها وكأنها تتعجل هذا الراحل المخاطر تريد ان تمنعه مما هو ذاهب اليه فكان الحذف هنا لاختصار الزمن والذي تريده هو أن تسرع بالنصح والعتاب لعله ان ينزجر فيقلع. ما يهمها الآن هو الهدف وعليها ان تصل اليه في أسرع زمن ممكن وقولها تساق لغبراء المقام دحول: كناية عن القبر. وهي تعتمد هذا التصوير التبيح للقبر حيث شبهته بالبئر

المغيرة التي تأكلت جوانبها وصارت لها فجوات كالكهف وهو مشهد موحش مخيف تريد من وراء تصويرها لهذا أن تردع شاعرها وقولها «تساق» يكشف عن إيمانها بحتمية الموت وإن كان هذا التعبير: «لا تكن تساق» مركب من الإرادة ومن الاجبار فهي تنهيه عن السير الى حتمية مصيره. هي تريد في الواقع ان توضح ان الموت حتمية يساق له المرء سوقا وهذه طبيعة الموت الغلابة ولكنها في نفس الوقت تؤكد ان شاعرها يلعب دورا لا اراديا في السير الى حتفه ومن هنا فهي تنهيه وتزجره وبعد ان تجسد امامه صورة القبر تجسيدا مخيفا مفزعا تنتقل الى تصويره هو بعد الموت كما مهملا لا قيمة له. بعد ذلك تأخذها عليه الشفقة فتدعو له بالنجاة من هذا المصير القاسي. ثم تستمر في توجيه الخطاب والعقاب فهو يرمي بنفسه عامدا الى حيث الأقدار القاسية التي تغتال الرجال. وهي تعترف ان حياة المرء مشرفة دائما على الهلاك يوشك الموت ان يصيب الانسان فيبعث به الى مكان بعيد ويستخدم كلمة مقبل للعالم الآخر كأن مكان الراحة يصل اليه الانسان بعد الموت. وبعد هذا العتاب المشفق الذي يستخدم الخنو تارة والتخويف تارة تدخل القصيدة الى افق جديد وهنا تتبدى لنا شمس الحقيقة الساطعة وسط ظلام الحيرة والشكوك المريرة. يصدر الشاعر حكمه الصارم بعد أن اختبر الحياة والموت. فيجئ هذا الحكم

مليئا حتى الخافة بالمرارة التي تشرف بالمرء على بأس من كل شيء. ان القدر الذي احكم خيوط المصير لا يجدي معه القعود او الرحيل:

ألم تعلمي ان لا يراخي مني
قعودي ولا يدني الوفاة رحيلي

ويالها من دقة في التعبير فهو هنا يقيم نوعا من المقابلة بين يراخي ويدني وبين القعود والرحيل. فهو هنا يستخدم كلمة التراخي للتعبير عن تأخير الموت او المساومة اذن ليست الا على القليل من الزمن وحتى هذا القليل ميثوس تماما من الحصول عليه عن طريق القعود او الرحيل. ولا شك ان نفور الشاعر من التخاذل وايقار السلامة قد وجد التعبير المثالي عنه في كلمة القعود هذه الكلمة التي توحى بالتكاسل وضعف الهمة والسقوط. ثم يأتي هذا البيت الحاسم في تقدير موقف هذا الفارس الشجاع الذي يخاطر وهو يعلم ان القدر ممسك بالخيوط كلها تماما كما يقول طرفة بن العبد:

لعمرك ان الموت ما اخطأ الغنى
للطول المرخي وثنيه باليد

الشاعر يعلن وقوفه مع القدر ياله من تضامن يكشف عن جسارة الفارس كما يكشف في نفس الوقت عن هذا التقبل الذي تخلقه البصيرة في وجدان هؤلاء الذين وهبوا الحكمة وشجاعة النظر الثابت في قلب الأشياء. وكأنه شديد الحماس لهذا القدر الموقوف عليه، أي قدره الخاص. قدره وحده انه يتضامن معه ويتبدى هذا جليا في البدء بالحرف مع وكأنه حذف كلمة «انا» لاهتمامه بالمعية اكثر من اهتمامه بتأكيد ذاته. هو يعلن تضامنه مع قدره الخاص في الحياة والموت حتى يصيبه الحمام ثم يوضح لها موقفها منه وهو موقف يرى انه لا جدوى من ورائه لانه لن يغير من طباعه ولا من قدره ولا من ارادته. هو يقول لها انها متضامنة مع الموت ضده وان موقفها هذا عبث كهؤلاء الذين يدعون هديل - والهديل فرخ الحمام تزعم الاعراب انه فرخ كان على عهد نوح ثبات ضيعة وعطشا فيقولون انه ليس من حمامة الا وهي تبكي عليه. ومن هنا سمي بكاء الحمام هديلا.

وهذا تفسير اسطوري ولكن الشاعر استعار هذا الموقف الخيالي للتعبير عن استحالة اثنائه عن عزمه أو رجوعه عن فروسيته.

كداعي هديل لا يحاب اذا دعا
ولا هو يسلو عن دعاء هديل

وبعد هذا البيت تنتقل القصيدة الى مرحلة أخرى هي مرحلة أقرب الى الفخر منها الى الدفاع عن النفس فهو يعطي صورة لصفاته النادرة واخلاقه الرفيعة هذه الصفات التي تأتي الشجاعة في مقدمتها ثم الحكمة وقبول الواقع ببصيرة نافذة. يتحدث الشاعر عن وفائه ومودته وعفته وكرمه.

وذي ندب دامي الا ظل قسمته
محافظة بيني وبين زميلي
وزاد رفعت الكف عنه عفاة
لأوثر في زادي على اكلي
وشخص درأت الشمس عنه براحتي
لا نظر قبل الليل اين نزولي

وكل هذه الصور انما ليؤكد بها الشاعر كرمه وايتاراه لغيره وحرصه على اصدقائه فهو رجل يحمي الغريب ويؤوي الطريد الى جانب هذه الصور البليغة. فهو يصور النجوم بقطيع بقر الوحش وهي تهبط من التلال.

ومنشق اعطاف القميص دعوته
وقد سد جوز الليل كل سبيل
فقلت له قد طال نومك فارتحل
وما ذاق طعم النوم غير قليل
سحيرا واعجاز النجوم كأنها
صوار تدلى من سواء اميل

وبعد ان يعرض لنا الشاعر صورا من كرمه يبرهن على ان الكرم لا يكون من فضل المال ولا مما ينبغي بعد الاكتفاء بالكريم يحود بما عنده ولو كان في حاجة اليه. وهو هنا ينبه الى خدعة تلجأ اليها نفس البخيل حين يقول لنفسه لا بد من سد حاجتي اولا قبل ان اعطي الآخرين فالذي ينتظر شبع النفس حتى يحود بماله سيجد ان حاجته لا تنقص.

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

ثم يتابع الشاعر بعد ذلك عرض صفاته العالية فهو لا يقبل القبيح من الكلام بل انه يؤكد ترفعه حتى عن سماع هذه الكلمات القبيحة فهو لا يقبل مثل هذا القبح. وهذه عفة وترفع وكبرياء بل هو نموذج للكماسة والحذق والحرص على مودة الآخرين فهو لا يثرثر بما يغضب صاحبه. وهو يترفع عن الجهال فلا يترك نفسه يتردى الى جهالتهم فاذا صور علاقته بأهله وجدناه حريصا غاية الحرص على

هذه العشيرة التي تملك عليك جوانب نفسه فهو لا ينسى أهله ابدا حتى لو اساءوا اليه بل يعتمد الى التأمل والصبر والمفاضلة بين الاحتمالات.

واذكر ايام العشيرة بعدما اميل غيظ الصدر كل مميل

وهو رجل حكيم لا يسرع بقطع الأسباب بينه وبين أهله أو بينه وبين غيره من الناس رغم انه ليس غرا ساذجا فهو يعرف ايضا ان الناس ليسوا ملائكة وان الحذر منهم شيمة العاقل اللبيب فهو لا يترك اسراره تسيل من شفثيه لانه يعرف قيمة هذه الأسرار ولا يظهر اعماقه اما الآخرين خوفا من ان ينهشوا هذه الاعماق الدفينة.

ولست بمبد للرجال سريري وما انا عن اسرارهم بسؤول

انه يحترم حقوق الآخرين كذلك في الحفاظ على اسرارهم وسرائرهم. وهذه هي الفروسية والنبيل. لا يبحث لاحد عن نقطة ضعف. انه يحمي نفسه بشرف وكرامة وتدفعه فروسيته ونبله الى الاعتراف بنفس الحق للرجال الآخرين. وهذه صورة من صور الحرية والمساواة ثم يختتم الشاعر قصيدته بالحديث عن مخاطراته بنفسه واسفاره وما اجمل تعبيره.

وقد نقر الليل النهار والبست سماوة جون مجنح لاصيل

وهو يريد ان يقول ان الليل يغالب النهار ويدفعه الى الخروج من الكون فها هي الدنيا تلبس سماء أقرب الى عتمة المساء عند الأصيل.

هذه القصيدة الرائعة لكعب بن سعد الغنوي تعد دستورا راقيا لطراز من الرجال جديرين بخلقهم وصفاتهم ان يصنعوا عالما فاضلا. فالشاعر وهو يتحدث عن نفسه لا يسقط في الفخر الذي ينفر النفس منه وانما هو رجل يتحدث في لهجة أقرب الى تطهير الذات منها الى الاستعلاء فهو لا يذكر الا الصفات التي ينبغي ان تكون دستور الانسان المثالي لقد جمع الى الشجاعة الحكمة والى العفة الكرم والى احترام النفس احترام الآخرين والى الولاء للعشيرة الخبرة بالرجال ودخائلهم.

ولو قال انسان عن نفسه هذه الصفات لعددناه متفاخرا مباهايا مبالغا. ولكنك تخرج من القصيدة معجبا بهذه الصفات فضلا عن تجسيدها في الشاعر او عدم تجسيدها وغير عابئ بصدقه او مبالغاته فالحقيقة ان الصياغة الرفيعة التي صيغت بها القصيدة تؤكد صدقها من ناحية وتؤكد بلاغتها النادرة من ناحية أخرى فهي موجزة شديدة التركيز. ولكنها تضم كنزا ثميناً من القيم الاخلاقية والانسانية والاجتماعية الرفيعة.

واذا كان الشاعر قد بدأ بالشجاعة والتسليم للقدر فقد اعطانا المفاتيح الأساسية للشخصية السليمة. قوة القلب وقوة العقل. هذه قصيدة شاعر بدوي اسمه كعب بن سعد الغنوي ولكنها تقف بما تحفظه في آياتها من كنوز مع روائع الشعر في كل العصور.

منجى

الراحة والجمال

اعداد: محمد نزار الدفتر

ونقصد بالاستراحة اليومية عدم الاستمرار على العمل مدة طويلة ، بأن يتخلل ساعات العمل فترة انقطاع يمكن أن تشغل بعمل من نوع آخر أقل جهداً منه . فالمشي وتناول الطعام والنظافة والعبادة كلها تعد نوعاً من الراحة . وخاصة فإن الصلاة وما يسبقها من وضوء وما فيها من حركات - وما يجب فيها من خلو ذهن عن المشاغل ليم لمقيمها الخشوع إلى ربه - فهي أفضل أنواع الراحة اليومية ^(١) .

أما الاستراحة الأسبوعية فهي قضاء يوم العطلة المقرر في أنظمة العمل أو ما تقرره بعض الأديان كيوم عيد في الأسبوع يصرف المتدين جزءاً منه في نوع من العبادة يمكن أن تعتبر أيضاً نوعاً من الراحة ، ويصرف ما بقي منه فيما يشاؤه الإنسان في راحته أو قضاء حاجاته الخاصة ليم له بذلك الانتعاش والتجديد في قواه لاستئناف عمله بنشاط وجد .

والاستراحة السنوية ضرورية جداً وخصوصاً لرجال العمل الفكري المجهد كالأساتذة والطلاب وأشباههم من أصحاب المشاغل العقلية ، لأنها خير عون على استعادة النشاط العصبي والبدني والفكري اللازمين لمتابعة العمل .

وتكون الفائدة الحقة من هذه الاستراحة حينما يتم تبديل المكان مع الانقطاع عن العمل الفكري مطلقاً ، واشغال الوقت بأنواع من الرياضة تتناسب وبمارسها في مكان طلق الهواء بعيد عن ضوضاء المدينة كالسباحة والمشي وتسلق الجبال . . أو إقامة هادئة في شاطئ ساكن أو قرية جبلية بعيدة .

فلماذا أمضى المرء اجازته كما ذكرنا متنعماً بهدوء الجو ونقاوة الهواء علاوة على راحة الفكر في جو عائلي متفاهم عاد ممتلئاً حيوية ونشاطاً بادي النضارة متورد الوجه ، وهذا هو سر الجمال الطبيعي .

إن استمرار الاجهاد الفكري والارهاق البدني ، وعدم تنظيم أوقات للعمل والراحة تعجل ظهور عوارض الشيخوخة المبكرة وبالتالي فإن تحديد أوقات للاستراحة تتخلل ساعات العمل وحسن الاستفادة منها يعتبر من أسس التجميل الوقائي .

والاستراحة من مميزات العمل التي لا مندوحة عنها ، ويقصد بها من الوجهة الطبية ترك العمل المجهد بتاتاً لا أن نستبدل به ما هو أشد وطأة منه ، فليست راحة مطلقاً تلك التي يعتادها الناس من ارتياد لدور اللهو وانكباب على موائد الميسر في أماكن محصورة فاسدة الهواء ومفعمة بالشور ، ولا في التفرج على تلك الصور المتحركة أو الخيالات المرفجة أمام عينيه سواء في دور السينما أو أمام الراي (التليفزيون) مجهداً بصره وفكره في استجلاء وقائعها وتتبع حوادثها .

ويؤكد البروفسور « شاتلن » كذلك أنها ليست راحة تلك التي يجلس فيها المرء بين ندمائه يتجرع سموم الخمرة المتنوعة لتخدير دماغه المتعب والمرهق في عمله لتزيد سمّاً فوق سم ، أو في حفل راقص لا تهدأ ثائرته بما فيه من مزعجات للأعصاب ، من أنوار باهرة ، إلى أصوات مرتفعة ، إلى ضوضاء صاخبة ، إلى نظرات مغرية . . . « ومتى كانت لسعة السوط تصيب جلد الحيوان الكال التعب ، تقوم مقام راحته وعلفه ؟ »

أنواع الاستراحة

والاستراحة الصحية نوعان : استراحة مؤقتة أثناء العمل اليومي أو خلال الأسبوع ، واستراحة مطلقة أثناء فرصة لأيام أو عطلة سنوية .

النوم .. أفضل راحة

والنوم هو أفضل راحة لجميع أعضاء البدن ، ففي زمن النوم فإن الأعضاء تنبعث من جديد فتستجمع قواها بعد إرهاق عصبي - جسيمي خلال يوم عمل كامل ، فبعد نوم استمر من ٧ - ٨ ساعات في اليوم فإن الإنسان يستيقظ نشيطاً مستعداً لخوض غمار العمل ليوم جديد . وفي سن الشباب يحتاج البدن إلى فترة من النوم أطول وإن عدم استيفاء الأعضاء لحاجتها من النوم ينقص من القدرة على العمل ويؤهب للصداع والمزاج الكئيب وإلى اصفرار الوجه الداكن . وقلما يرتاح النائم في نومه ، أو قلما ينام أيضاً إذا كان فيه ما يوجب الاحتقان الدماغى كأنشغال الفكر الشديد أو كان هناك ما يعيق الدورة الدموية كالتخفاض الرأس أو وجود عائق ضاغط حول العنق (قبة ضيقة) لذلك لا بد من إزالة تلك العوائق أو صرف تلك الأفكار المستحكمة في الدماغ بأشغاله بصلاة أو دعاء أو محاسبة النفس قبل المنام ، أو القيام ببعض الاجراءات التي سنذكرها حين معالجة موضوع الأرق .

وإن تباطؤ الأعمال الحيوية اللاإرادية أثناء النوم يؤدي إلى نقص في الاحتراقات البدنية تنخفض معه درجة الحرارة الباطنية وهذا علاوة على كثرة التعرق عند النائم يعرضه للبرد أكثر منه في حالة اليقظة وهذا ما يوجب عليه استعمال الأغذية المناسبة ، كما أن تباطؤ الوظيفة التنفسية أثناء النوم يرجح أن ينام الإنسان في غرفة طليقة الهواء دائماً على أن يتعد النائم عن مجرى الهواء البارد .

ويؤكد غالتيه بواسير أن النوم أثناء النهار أقل فائدة منه أثناء الليل إذ لا يؤدي الراحة المطلوبة ولذا لا يجوز أن يستبدل بنوم الليل نوم النهار وهذه حكمة الآية الكريمة : ﴿ وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ﴾ .

ولا يجوز بحال من الأحوال مزاوله أي عمل ولو كان منزلياً أو قراءة كتب وسواها على حساب الوقت المخصص للنوم ، وإن عدم كفاية النوم المستمرة تؤدي إلى انهك الجهاز العصبي والضعف العام وإلى الشيخوخة المبكرة لجميع الأعضاء .

والراحة الكاملة في النوم يؤمنها بلا شك سرير ملائم مريح غير مفرط في الليونة ، وأن يوضع الرأس أثناء النوم على وسادة غير مرتفعة ، فالوسادة المرتفعة تؤدي إلى تشكل ما يسمى بالذقن

المضاعفة وهي من علائم الشيخوخة المبكرة . والوضعية الصحية للنوم أن يستلقي النائم على الجانب الأيمن ، لأن ذلك أسهل لإفراغ ما في المعدة من الطعام بعد هضمه ، فالكبد وهي أثقل الأحشاء تكون في هذه الوضعية مستقرة لا معلقة وكذلك القلب فإنه يكون أخف حملاً لأن ، الرئة اليسرى أصغر من الرئة اليمنى ، فيكون القلب أنشط فعلاً .

والنوم على البطن شديد الضرر لعدم استطاعة الصدر التمدد والتقلص الكافيين عند الشهيق والزفير لثقل وكثافة كتلة الظهر العظمية ، إلى جانب الضغط المباشر على الأحشاء وخاصة جهاز الهضم وما يسببه من تلبك في أدائه لمهمته .

أما النوم على الظهر فضار أيضاً ، فهذه الوضعية تسبب التنفس من الفم لأن الفم يفتح عند الاستلقاء على الظهر باسترخاء الفك السفلي ، والتنفس من الفم ضار لأن الأنف هو العضو المخصص للتنفس الطبيعي بما فيه من أشعار لتنقية الهواء وتسخينه بواسطة الأوعية الدموية الغزيرة فيه حيث يمر الهواء بطريق أطول مما لو مر في الفم ، والمتنفسون من أنوفهم أقل تعرضاً للإصابة بالزكام من المتنفسين من فمهم .

والتنفس الفموي يؤدي إلى جفاف اللثة الذي قد يؤدي بدوره إلى التهابها ، كما يثير التنفس الفموي حالات كامنة من فرط التصنع أو الضخامة اللثوية .

كما يستيقظ المتنفس من فم من رقاده ولسانه تغطي بطبقة مبيضة غير اعتيادية إلى جانب رائحة فم كريهة . والنوم على الظهر هو سبب حدوث الغطيظ والشخير المزعجان ، لأن شراع الحنك واللهاة فيه يعارضان فرجة الخيشوم ويعيقان مجرى التنفس ، كما أن المفرزات الأنفية تسيل إلى الحلق وتخرشه ، وكثيراً ما تضغط المثانة الممتلئة على الحويصلات المنوية في الذكور فتكون سبباً في كثرة الاحتلام الليلي ، كما أنها تضغط على ما دونها في الإناث فتكون مزعجة كذلك .

والمعروف في الطب الشعبي عند العامة استعمال خيط مطاطي يربط عند البطن ويدخل ضمن الخيط كركر خيطان فارغ فيجعل في منطقة الظهر فعندما يتقلب النائم يضطر أن لا ينام على ظهره لأن الكركر سيزعجه ، كما يلجأ البعض إلى عقد بشكير عند الظهر فتقوم عقدة البشكير مقام الكركر .

أما بالنسبة للنوم على الجانب الأيسر فقد أثبتت تجارب غالبية وبواسطه أن مرور الطعام من المعدة إلى الأمعاء يتم في مدة تتراوح ما بين ٢,٥ - ٤,٥ ساعة إذا كان النوم على الجانب الأيمن ولا يتم ذلك إلا بين ٥ - ٨ ساعات أي نحو ضعف تلك المدة إذا كان النوم على الجانب الأيسر ، علاوة على أن القلب موجود على الجانب الأيسر ، والنوم على الطرف الأيسر يجعل الرئة اليمنى الكبيرة تضغط على القلب وتقلل من نشاطه .

من هنا نرى أن الوضعية الصحيحة طبيياً هي النوم على الجانب الأيمن ، علاوة على أن في اتباعها قدوة حسنة لنبي الرحمة محمد ﷺ ، فقد ذكر الصحابي الجليل البراء ابن عازب - أن النبي ﷺ قال : ^(١) «إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت نفسي إليك والجنات ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك .. الحديث» .

وتتمة المعجزة النبوية أن يكون هناك نهى واضح عن الوضعية الأشد ضرراً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «رأى رسول الله ﷺ رجلاً مضطجعاً على بطنه ، فقال : إن هذه ضجعة لا يحبها الله عز وجل» رواه الترمذي والإمام أحمد في المسند . وأخرجه أبو داود عن ابن قيس الغفاري عن أبيه من حديث طويل .

ونظرة أعمان سريعة إلى هذه الأحاديث ترينا مدى التطابق بين منطوق العلم الحديث وكلام سيد المرسلين في التربية الاجتماعية التي يتلقاها المسلم على يد من لا ينطق عن الهوى ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ .

علاج الأرق

وإذا كنت - صديقي القارئ - تشكو من الأرق ، فحاول قبل النوم ألا تثبر حديثاً مع الآخرين ، وألا تتناول (دوشاً) بارداً ، وأن تمتنع عن تناول القهوة أو الشاي (الثقيل) وألا تثقل معدتك بعشاء ثقيل إلا إذا تناولته في وقت مبكر ، فحتى الساعة ٧ - ٨ مساءً يمكنك تناول ما تشاء من الأطعمة أما إذا ما تأخر العشاء إلى ما قبل النوم فلا يجوز أن يزيد على كأس من اللبن أو قليل من الفاكهة ، ومن المفيد جداً المشي في الهواء الطلق قبل ساعة من النوم ، أما قبل النوم مباشرة فيفبد كمبدأ عام تناول (دوش) ماء ساخن (أو على الأقل غسل القدمين به) .

والعسل خير علاج للأرق ، فقد كتب البروفسور تساندر في هذا المعنى يقول : «ليس هناك مادة

مهدئة ومحضرة لنوم طبيعي أكثر من محلول عسلي مائي ساخن فهي تبدي قبل النوم تأثيراً مقوياً ومهدئاً» .

ويؤكد الدكتور أولدنيلد ذلك بقوله : «كما ادأوي الأرق بواسطة الوصفة التالية ، أنها كأس ماء ساخن محلى بملعقة كبيرة من العسل . وهناك أيضاً بعض المنقوعات العطرية التي تجلب النعاس كمنقوع البابونج والزيزفون ، ويمكن الاستفادة من الطريقتين بتحلية ذلك المنقوع بالعسل .

وحيث يأوي المرء إلى فراشه يجب أن تكون جميع عضلات الجسم بحالة استرخاء كامل ، وليحاول أن يصرف تفكيره عن مشاغله في العمل وحوادث اليوم المزعجة ، ويمكن أن يلجأ إلى ذكر الله تعالى وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ، ومن المفيد إجراء شهيق عميق وبعده زفير طويل عدة مرات فهذا التنفس الحجابي المنتظم يجذب الدم إلى الرئة فيخفف عن الدماغ بعض احتقانه ويذهب بتهيج الجهاز العصبي .

ومع نهوضك من الفراش وأنت تستيقظ من نومك ، يستحسن إجراء بعض الحركات البدنية ومن ثم إجراء حركات خاصة تترافق مع التنفس العميق ، والتمارين الرياضية البدنية أساسية من أجل الحفاظ على حيوية الجسم ونشاطه وشبابه . ثم ليعط بضع دقائق للاهتمام بجلد الجسم وبشرة الوجه . وأخيراً : لا تنس ضرورة تناول الفطور ، فالفطور يجب أن يكون مشبعاً متوازناً من حيث تنوع مأكله وكافياً بكمية حريراته .

مصادر البحث

- ١ - «الجمال حق الجميع» تأليف : إينا كالفورنبنكا ، موسكو ١٩٦٥ م وبالألفه الروسية .
- ٢ - فن الصحة والطب الوقائي : الجزء ٢ أحمد حمدي الخياط ١٩٥٤ م .
- ٣ - «اضطجع على شقك الأيمن» دكتور ظافر أحمد العطار . مجلة طبيبك العدد ١٤٨ لعام ١٩٦٨ م .
- ٤ - صحيح البخاري «باب الوضوء» .
- ٥ - جلمع الأصول .
- ٦ - «نقوم الأسنان» دكتور مصباح دياب ١٩٦٧ م .
- ٧ - Medicine by burket L. Lippincotts, فيلادلفيا ١٩٦١ م .
- ٩ - صحيح مسلم «باب ما يقال عند النوم» .

الهوامش

- (١) : عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال : «اتطلقت أنا وأمي إلى صهر لنا من الأنصار نعوذ فحضرت الصلاة ، فقال لبعض أهله يا جارية ، اتسولي بوضوء لعمي فاستريح ، قال : فأنكرنا ذلك ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة» أخرجه أبو داود . ولقد أكد شرح الحديث أن النبي ﷺ كان يعتبر اشتغاله بالصلاة راحة له ، فإنه كان بعد غبرها من الأعمال اللتبية نعباً ، فكان يستريح بالصلاة ويمتدحها الله تعالى فيها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : «وجعلت قرعة عيني في الصلاة وما أقرب الراحة من قرعة العين» .
- (٢) رواه البخاري ومسلم .



أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ مسافر
نقلهم الخطوط السعودية للعام الماضي

السعودية
مفتاحك إلى قلب
الشرق الأوسط

خلال أسطولها الضخم الذي يضم أحدث أنواع
الطائرات أن تحقق أرقاما قياسية في عمليات
نقل المسافرين الذين يفضلون
طيران «السعودية» لما تتميز به من
خدمة ممتازة . . وصيانة دقيقة .

واكب النقل الجوي النهضة الكبيرة التي
تعيشها المملكة العربية السعودية في
كافة المجالات . . فقد
استطاعت الخطوط الجوية
العربية السعودية من



السعودية الخطوط الجوية العربية السعودية



رحلة في



كتاب

الجذور والأجنحة

شعر من أسبانيا
(١٩٧٥ - ١٩٠٠)

عنوان الكتاب : «الجذور والأجنحة - شعر من إسبانيا ، ١٩٠٠ - ١٩٧٥ م» وقد نوfer على جمعه وتقديمه هاردي سان مارتين ، وهو مترجم شعر معروف درس اللغة الإسبانية في مدريد وبرشلونة ، واتصل بمعظم شعراء إسبانيا الأحياء ، وله عدة ترجمات معروفة عن اللغة الإسبانية كان آخرها - قبل هذا الكتاب - ترجمته ليوميات شاعر شيلي المعروف بابيلو نيرودا .

ويتميز كتاب «الجذور والأجنحة» بميزتين أساسيتين هامتين . أما الميزة الأولى فهي أن محرره قد ألزم بالنص الإسباني في صفحة مع ترجمته الإنجليزية في الصفحة المقابلة . وأما الميزة الثانية فهي أن محرره - أيضاً - قد اعتمد على مترجمين من الشعراء الأمريكيين المعاصرين ، وبعضهم ذو أهمية وصيت مثل : روبرت بلاي ، دبليو . إس . مروين ، جيمس رايت ، دونالد هول ، ولیم ستافورد . فضلاً عن أنه - أي سان مارتين - قدم الكتاب بمقدمة ضافية تعفيها اختارات كاملة وافية لنحو ٢٧ شاعراً ، وختمه بملاحظات ومعلومات عن الشعراء السبعة والعشرين الذين يتميزون - بدورهم - بعلو الكعب في التعبير والتأثير . ولم ينس المحرر أن يفرّد صفحة كاملة قبل المقدمة ليشكر فيها بإيجاز شديد مؤسسة جوجنهايم التي برست له منحة لدراسة الشعر الإسباني وإعداد منتخب منه !

يعتبر الشعر الإسباني الحديث من أهم علامات الطريق الشعرية في عالم اليوم ، وهي مكانة اكتسبها على مدار هذا القرن ، لا بسبب اغنائه بعناصر ثقافية رفيعة واستناده إلى تراث عريق من الأغاني والقصائد الملحمية الشعبية فحسب ، ولا بسبب أنه أخرج شعراء ملأوا الدنيا صيتاً ودواً مثل لوركا فحسب ، ولا بسبب أنه أحدث رعشة قوية في نيار الشعر العالمي ولا سباً على مستوى الفاردين الأمريكيين فحسب ، ولا بسبب - أيضاً - أنه أخرج شاعرين فازا بجائزة نوبل في الأدب هما رامون خيمينيث (١٩٥٦ م) وأليساندره بيشنته (١٩٧٧ م) فحسب ، وإنما هي مكانة اكتسبها بسبب هذا كله مجتمعاً .

وقد بلغ من تأثير هذا الشعر في أميركا الشمالية أن شعراءها أفردوا له مكانة واضحة في دائرة التأثير بالغرب ، وانعكس ذلك على كثير من شعورهم طوال السنوات العشرين الماضية ، كما أن مترجميها وناشريها شغلوا أنفسهم به طوال السنوات المذكورة حتى تعددت ترجماته وشاع الانتخاB منه .

وهذا الكتاب الذي نعرض له هنا هو آخر ما ظهر في أميركا من آثار الاهتمام بالشعر الإسباني الحديث . وهو كتاب ضخM من القطع الكبير يقع في ٥٢٨ صفحة ، أصدرته دار هارپروو المعروفة عام ١٩٧٦ م .

جمعه وقدم له :

هاردي سان مارتين

عرض وترجمة :

علي شلش

يستهل سان مارتن مقدمته الضاقية بعنوان إسعاد - كما سترى - من أحد أبيات قصيدة لشاعر غير معروف في لغتنا هو : ليون فيليبو . . العنوان هو : « رؤية نور الكوكب » أما المقدمة فيستهلها سان مارتن بقوله :

« أول ثلاثة شعراء في هذا المنتخب هم : ميغيل دي أونامونو وأنطونيو ماخادو وخوان رامون خيمينيث . وهؤلاء هم الذين رادوا المسالك التي أدت إلى الشعر الإسباني كافة في القرن العشرين . ففي مطلع القرن وجد هؤلاء الشعراء أنفسهم في مفترق طرق دوغما أبة إشارة أمامهم . وحين نظروا إلى الخلف كادت رؤيتهم أن تصطدم بأكبر من مائتي عام من الشعر الغث . وقد أطلق الناقد أثورين على جيل مفترق الطرق هذا اسم « جيل ٩٨ » ، وجمع تحته المثقفين والكتاب من مختلف الأعمار والأفكار ممن كان القاسم المشترك بينهم هو الروح الثوري والتصميم على معاونة إسبانيا في زلزلة ماضيها القريب بغية التخلص منه واستعادة تماسكها . فقد أضعفها الصراع الداخلي والفساد والفساد الحكومة غير المتكافئة حتى تغلبت عليها الولايات المتحدة بسهولة في الحرب الإسبانية الأمريكية عام ١٨٩٨ م ، واستولت على آخر مستعمراتها . وكان أونامونو وماخادو وخيمينيث ينفذون - بوجه خاص - الواقعية في الأدب والوضعية في الفلسفة وأخلاقيات الطبقة الوسطى وسياسة إسبانيا الموحدة في القرن التاسع عشر ، وكانوا عاكدين العزم على قطع كل الوشائج التي تربطهم بالأدب الغث الذي أحاط بهم . وسر عليهم عملية القطع هذه قدوم شاعر نيكاراجوا روبين داريو إلى إسبانيا . وكان إنتاجه بمثابة نسمة عليلية هبت على اللغة الإسبانية وكان قدومه حاسماً ، فقد أظهر للشباب الإسباني تحريماً من خلال الرمزية المعاصرة » .

ويستطرد سان مارتن فيوضح أن تعبير « الشباب الإسباني » لا ينطبق إلا على ماخادو وخيمينيث . أما أونامونو فقد كانت أفكاره في ذلك الوقت غير شابة ، وهذا ما يظهر بجملة في ديوانه الذي صدر عام ١٩٠٧ م ، فضلاً عن أنه كان بكرة شعر داريو كراهية عمياء على الرغم من يلوغه قمة الذبوع والانتشار في ذلك الحين . وكان أونامونو يصف شعر داريو بالانحطاط ، وأنه مثل ماء الصودا لا يلبث أن يفقد ما فيه من غازات كما كان أونامونو يعتقد بأن الشاعر يجب أن يفكر ويحس ويعبر عن نفسه كإنسان ، وأن يفعل ذلك على نحو طبيعي وبسيط قدر استطاعته . أما ماخادو فقد تأثر شعره الباكر بداريو ولكنه ما لبث أن استقل عنه وشنق لنفسه طريقاً مختلفة ، قائلاً : « كنت أعتقد أن جوهر الشعر لا يمكن في القيمة الصوتية للفظ ولا في لونه ولا في جماع الإحساسات ، وإنما في التنبض العميق للروح . وهذا التنبض العميق هو ما تساهم به الروح لو كان ثمة ما تساهم به ، أو ما تقوله لو كان ثمة ما تقوله ، بصوتها الخاص . . . » وكان ماخادو يعني بذلك أن يمسك - كشاعر - ببعض العبارات التي ترد في مناجاته لنفسه وأن يميز بين الصوت الحي والأصدا الميته . . . كما كان يعتقد في ضرورة إرتباط الشاعر بعصره ، على الرغم من إرتباطه الوثيق - هو نفسه - بالحدس والومضات المفاجئة لعالمه الغامض العميق . وأما خيمينيث فقد كان من ناحية المزاج أقرب إلى داريو حيث ظل متأثراً به فزلة لكنه ما لبث أيضاً أن تخلص من سيطرته ونفض عن شعره ما أسماه المحدثات الحادة . وكان ما يتبعه في النهاية هو البساطة التي وجدها بطرح خطافية القرن التاسع عشر وكذلك الخطابية الجديدة التي جسدت بها « المحدثات » أو « المذهب الحديث » Modernismo . وعندها وجد ضالته شرع يكتب بلهجة قشتالية التي التزم بها طوال حياته . ولكنه كان يسعى من ناحية أخرى وراء لغة جديدة . وكان يقول : « إذا لم يتكرر الكلمات فستظل مجرد كلمات نستخدم في الحديث العادي للروح ، ومن ثمة لن تبدو جديدة على الأذن » ولم يكنف بالسطوح الخارجية للرمز ، وفي الوقت نفسه عاد إلى ييكير وجونجورا وغيرها

من شعراء العصر الذهبي في إسبانيا مما جعله يجهد الطريق « لجيل ٢٧ » وهي تسمية أخرى أطلقت على شعراء الجيل الذي ضم لوركا .

وعلى الرغم من ذلك كما يقول سان مارتن فقد استهوت المحدثات عدداً غير قليل من شباب الشعراء في ذلك الحين ، فها عدا ليون فيليبو الذي يشبه أونامونو في كثير من التواحي وأهمها أنه كتب الشعر على كبر ، فقد كان فيليبو يقول : « إن القصيدة عبارة عن صرخة في الظلام ، وترنيمه مهذبة » . وكان الشاعر عنده رسولا . ومن ثمة فقد هاجم الشاعر الحديث - أي الأخذ بمذهب المحدثات - الذي تخلى عن دوره القديم وتحالف مع الأسقف والسياسي اللذين تقع عليهما مسؤولية ما في العالم من عناء وعذاب . بل إنه حذر من ذلك كله في أبياته التي استعار منها سان مارتن عنوان مقدمته . وفيها يقول :

يوما ما سيري الانسان
كل نور هذا الكوكب
من نافذة الدمعة . . .

هذا الحدس نفسه تحققت - فيما بعد زمن الحرب الأهلية الإسبانية وما تلاها من أحداث الحرب العالمية الثانية . بل لقد أثبتت هذه الخطوب مجتمعة للشاعر الإسباني إبان العشرينات والثلاثينات أن القصيدة أهم من الشاعر نفسه ، وأن القصيدة الصادقة أهم من عشرات الشعراء غير الصادقين ! ولعل لوركا كان يعبر عن أفرانه في الثلاثينات حين قال : « إذا صح أن العناية الإلهية هي التي جعلتني شاعراً . . . فالصحيح أيضاً أن العناية القتية وأخذ النفس بالشدة هما اللتان جعلتاني شاعراً » . ولا شك أن هذا التقدير البالغ للقصيدة راجع في أساسه إلى خيمينيث السلمي كان شعره من الناحية الفنية قادراً على الجذب والاشعاع أكثر من أوتامونو وماخادو . ولا شك أيضاً أن هذا التركيز على المعيار الداخلي للقصيدة كان جزءاً من الفن الأوروبي بوجه عام في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وفي أعقاب هذه الحرب كان ثمة شعور بالراحة والتوقع لشيء جديد . وكانت جميع الحركات الطليعية في الفن والأدب الأوروبيين إبان تلك السنوات تلج على استقلال القصيدة والجزاز مما كان يعتبر لب الشعر . وانتقل ذلك إلى إسبانيا فاصاب كثيرين من شباب الشعراء بتطلعات تجريبية واسعة المدى والهدف في آن واحد ، مما نجعهم على تناول موضوعات جديدة - وغير مألوفة أحياناً - بهدف تحرير الأسلوب وإضفاء المزيد من المرونة على الشكل . فقد النقط هؤلاء كل ما يستطيعونه من الحركات الطليعية ، ومزجوا بينه وبين المادة التقليدية في بلادهم ، فأنج المزيج على أيديهم شعراً غني بالبلدة والطرافة كما تميز بالطابع الإسباني الأصلي . وهم لم يعملوا جميعاً تحت راية واحدة ، فقد اختلف سبيل كل منهم وطور كل منهم أسلوبه المميز . أما نقاط الصلة في شعرهم فقد كانت هي نفسها نقاط الصلة الختمية التي توجد بين الشعراء الذين تنضج مواهبهم في وقت واحد تقريباً في البيئة الواحدة . فضلاً عن ذلك ، كما يقول سان مارتن ، فقد كان الشعر الإسباني يجري دائماً في مجريين : مجري أندلسي ومجري قشتالي . وثمة فارق قوي حتى اليوم بين شعر الجنوب وشعر قشتالة في الشمال .

لقد كان شاعراً قشتالة ، بدرو ساليناس وهورهي جيلين ، أكبر من معظم أقرانها بضع سنوات فقط ، ولكن شعرهما جاء مختلفاً كثيراً ، ولا سيما في الأسلوب والتناول ، حتى إتهمها بعض النقاد الإسبان بالافتقار إلى الواقعية والإنسانية معاً وكذلك بإخفاء عواطفها ومشاعرهما الحقيقية حتى في تصائد القزل . وكان ساليناس وجيلين يشجعان ذلك أحياناً بما يبدو في شعرهما من أنكار إنعزالية وأخرى ذهنية . فساليناس في غزله مثلاً يحفظ دائماً بمسافة بينه وبين محبوبته ، ويكبر حبه ويقوى كلما بعدت هي عنه . وهو يصورها امرأة حقيقية من حيث النضج والأنوثة ، ولكنها كثيراً ما يخلصها عن التجريد خطوطاً واحدة . وكان ساليناس وجيلين يعوضان القارئ أحياناً بالوصف وسرد الفصص ، ومع ذلك كان القارئ غير الحصيف يردد عن أشعارهما ضائعاً غير أن ذلك ما لبث أن تغير بعد ذلك وبدأ « غموضهما » في الإنحسار .

ولعل أحداً من شعراء « جيل ٢٧ » هذا لم يخضع لفطرته الشعرية وتخياله مثلاً خضع لوركا والبرقي ، وكانا أندلسيين حتى النخاع ، وكانا أيضاً أكثر شعراء جيلهما ذبوعاً وانتشاراً ، ربما لأنها كنبا - كما يقول سان مارتن - أشعاراً تغلغلت بسرعة في التراث الشعبي من القصائد الملحمية والأغاني ، التي كان الناس ينغنون بها في الأندلس ، أي في جنوب إسبانيا ، منذ الفتح العربي . . وربما لا يحب شعب من الشعوب أغانيه الشعبية مثلاً يحبها الإسبان ، وهذا ما يتجلى في الجنوب أكثر من الشمال . فالبرقي يروي أن أول الأشياء التي قحت عينيه كانت « الملح في الملاحات ، وأسرعة القوارب ، وأجنحة النوارس المرسلة » . كما تروى في شعره الباكر غنائية غلبة وسعادة كسعادة الأطفال ، على حين نرى في أشعار لوركا الباكورة والقصيرة نسبياً دوامياً واضحاً كالذي تيلور في قصائده الأخيرة ومسرحياته ، ولكن ما يجذبنا إليها في النهاية هو ما تردد صده من خوف ووحشة وغموض ، وما يسري فيها من ضوء القمر حين يحتضن الجبال الشوامخ ويلتقط شخصاً وحيداً في الفضاء الخاري ، أو نور الشمس حين يقتني أثر الطرق الطويلة الخافية ، أما أغاني البرقي فهي في رشفة وقصات الجنوب وأناقته . أما ما يتميز به شعراء الجنوب هؤلاء فهو - كما يقول سان مارتن - ذلك الطابع الذي طبع الشعر الأندلسي العربي في المصور الوسطى وأغاني الريف المجهولة المؤلف بالتكم واللفظ الرشيق والحمية .

وربما عن لسائل أن يسأل هنا : ما دلالة الرقم ٢٧ في تسمية ذلك الجيل ؟

لقد كفانا سان مارتن مؤنة البحث عن جواب حين توقف عند حدث ذي دلالة كبيرة في تاريخ هؤلاء الشعراء . ففي عام ١٩٢٧ م احتفلت مدريد بذكرى مرور ٣٠٠ عام على وفاة الشاعر الإسباني الكبير المعروف باسم جونجورا Go'ngora . وفي ذلك الاحتفال سلط الضوء من جديد على أشعار جونجورا ومقالاته ومحاضراته ، فكانت فرصة وحدت - داخلياً - بين أفراد هذا الجيل من الشعراء . وكان جونجورا قد أصبح شنباً نشباً ظاهرة ملفنة في تاريخ الشعر الإسباني ، ظاهرة اجتذبت هؤلاء الشعراء الشباب بصفة خاصة ، قراحوا يلغون عليها الضوء تلو الضوء ، وكأنهم بذلك يبحثون في أشعاره عن مبرر لما ألحوا عليه من غموض وما كرهوه في أنفسهم من تصوير قيم الطبقة الوسطى ، وكان رثاؤهم له يتضمن الرجوع إلى القيم التي تغنى هو بها . ولكنهم ما لبثوا أن افترقوا بعد ذلك ، فضى كل منهم في طريق . فبينما ظل ساليناس وجيلين مخلصين للرمزية شرع الشعراء الأندلسيون خلال سنتين أو ثلاث ، في التقليل من شأن الرمز كمذهب والإحساس بأنه عاجز عن حل تداعيات معينة ومواجهة الواقع الاجتماعي . ووقع بعضهم على السيريرية قاعلوا من شأنها ، حتى قال أحدهم - وهو سيرنودا - إنها ليست مجرد يدعة أدبية وإنما هي عمرد على المجتمع ، وأن روحها الثورية قد اجتذبت الأندلسيين الذين لم ترضهم أحوال إسبانيا المتهاة . وهم قد



تحولوا إلى السيرالية حوالي عامي ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ م ، أي في وقت حلول الكساد العالمي . وهكذا استخدموها كما يقول سان مارتن لتحقيق هدفين : أن يسبوا غور اللاوعي والفوضى الضاربة في بلادهم ، وأن يهاجوا تعريف مجتمع الطبقة الوسطى لما هو حقيقي أو واقعي . ومن ثمة انأحت لهم مزيداً من حرية الخيال والتوسع في الوعي . وفي الوقت نفسه سار بها هؤلاء الشعراء في انحاء مخالف لأصحابها الفرنسيين ، حيث غمsoها في طابع الحسية الغنية للشعر الإسباني ، ولم يتعلقوا بما سمي الكتابة التلقائية ، بل قرصوا نوعاً من الحزم والإرادة على بنة القصيدة ومعارها بتقيوط فوية من المنطق . « وكان استخدامهم للسيرالية في النهاية ينحصر في اعتبارها أداة للتعبير عما يطفو من اللاوعي إلى السطح ، وتشكيل الحالات الجديدة للذهن في صورة كلمات ، وتحفيق النداءات الجديدة » بعيداً عما سمي « الغياب عن الوعي » الذي ميز كثيراً من التعبير السيرالي . ومع هذا كله فقد اختلفوا جميعاً في تصورهم لهذه الأداة ، فلولى البعض عتقها مثل لوركا وعمادى فيها البعض الآخر مثل بيشته وسرنودا ولا سيما في أشعارها التي كتبها في تلك الفترة . غير أن هذا الازدهار الرائع للشعر في إسبانيا ما لبث أن سقط تحت حوافر الفاشية في منتصف الثلاثينات . ودارت الدائرة على الشعراء أنفسهم فشدوا بين النفي والصمت والموت . ولم تقم لهذا الشعر فائحة مرة أخرى إلا في منتصف الأربعينات .

يقول سان مارتن :

« تمثل الشعراء الذين بدأوا الكتابة في السنوات التي سبقت الحرب (الأهلية) مباشرة يشاعر القرن السادس عشر جاريلاسو دي لافيخا ، فاستوهم شكل السوناتا القصيرة المحكمة (السوناتا العادية تتألف من ١٤ بيتاً) ، حتى أطلق عليهم لقب « أتباع جاريلاسو » Garcilasistas ، واشتهر منهم ميغيل هرنانديث الذي بزهم جميعاً في الشاعرية والمرونة في التعبير ، وأثنى على شعره

عشية الحرب الأهلية بعض أفراد الجيل الأكبر سناً في ذلك الوقت مثل خيمينيث والفيلسوف خوسيه أورتيجا إي جاسيه ، وكان شعراً متأثراً بنبودا الشيلي وأليساندره الإسباني ولكن على نحو أكثر تحراً وطولاً . وفي الحرب الأهلية نزل هرنانديث إلى الخنادق ضد قوات فرانكو ، وازداد شعره قوة وحزناً في آن واحد . أما فصائله الأخيرة التي كتبها في العديد من السجون وهو يعاني من آلام مرض السل فقد إزدادت رقة وحزناً أيضاً وحفلت بالحنين إلى زوجته وطفله .

ويقول سان مارتن :

« مع نهاية عام ١٩٣٩ م ، كان ميغيل هرنانديث في السجن ، وكان أونامونو وأنطونيو ماخادوا ولوركا قد ماتوا ، وكان خيمينيث وليون فيليبي وساليناس وجيلين والبرتي ويرادوس وسرنودا قد ضمهم المنفى . ولم يبق في إسبانيا من الشعراء ذوي الأهمية الكبيرة سوى بيشته الذي لم يسمح له بنشر أي ديوان جديد قبل عام ١٩٤٤ م ، وهكذا أسدل الستار على فترة من أزهر فترات الشعر الإسباني ، وشاعت بين الشعراء حالة من الكسل والبلادة أنتجت شعراً غثاً كثراً ، وهو شعر صوره أحد شعراء الخمسينات ، ويدعى خوسيه أوجسطين جويتيلولو ، فوصفه في إحدى قصائده قائلاً :

قصائد جميلة ، فارغة ، نعم ،

ولكنها طنانة رنانة

مثل عود يسري منه نغم

يهدده عقولنا كي تنام ،

فيغيرها ويكسوها بالهدوء . . .

وفي عام ١٩٤٤ م ، صدر ديوان جسدهد جسدد دماء الشعر

الإسباني مرة أخرى ، وكان لشاعر ينتمى لجيل بيشته ، هو داماسو ألونسو ، ويحمل عنواناً مثيراً هو « أبناء الغضب » ، ومع أن ألونسو كان منصرفاً إلى النقد حتى ذلك الحين ، إلا أن ديوانه فاجأ الحياة الشعرية فحرك ركودها . يقول في مطلع إحدى قصائده :

مدريد مدينة تعيش فيها مليون جثة

(طبقاً لآخر الاحصائيات)

واستطاع ألونسو بمثل هذه المطالع وقصائدها الساخنة أن يعير عن كثير مما حاول ملايين الإسبان وقتها ألا ينطفوا به يصوت مسموع . ومع أن لغته كانت نثرية وجافة أحياناً إلا أن تأثيره كان فوياً على ناشئة الشعراء في ذلك الوقت . فقد شجع الكثيرين على تصوير عواقب الحرب الأهلية من كيت وظلم وفقر . وبرز من هؤلاء فيكتوريانو كريبو ويوجينيو دي نورا وبلاس دي أوتيرو وخوسيه هييرو وجابريل ثيلايا ، وكلهم مغمور مغموط في لغتنا العربية مثل كثير من الأسماء السابقة الأكثر موهبة ونضجاً . وكان أوتيرو أكثر هؤلاء الشعراء احنجاجاً ، على حين كان هييرو أكثرهم مزجاً بين الخاص والعام . وقد قال ذات مرة عن نفسه وشعره : « إني أعجز عن الكتابة بدون معاناة . والكتابة عندي أشبه بجلدي حين يمزق ، فيؤلني ، حتى أكتشف ما تحته » ومن ثمة كان إذا صور في شعره تجرته الخاصة ظهرت على الفور أخطاء المجتمع من حوله .

يقول سان مارتن :

« كان هؤلاء الشعراء من صخر السن بحيث لم يشاركوا في الحرب الأهلية . باستثناء شاعرة هي جلوريا فويرتيس - واستطاعوا أن ينظروا إلى الحرب وأطلالها بعين أبعد من عيون سايفيهم . . . وفي الوقت نفسه كانت الروح القذائية عند الكتاب الأكبر سناً قد خمدت . . . وبذت البلاد أكثر عافظة ونزماً عن ذي قبل ، وهذا ما أحنق الشيايب وأرقعهم في مناهات نفسية صعبة ،



فهذا شاعر، هو أنجل جونساليس، يقول في قصيدة بعنوان «فاتحة الصمت» إن ثمة حباً من الدهر باقي على المرء لا يجد فيه أمة فائدة في الكلام والبوح، فاقضم أظفارك أو مزق علبه كبريت أو أبصق أو أضرب جدران البيت بثبضة يدك ولكنك - أيضاً لا تقول أي شيء :

أنجل (ملاك)
هكذا يسموني .
وأنا أعني حتى قدمي
بإنضباط وخشونة
وقد هيض جناحي
- أعني هيضت أظفاري -
وابتسم وأمسك لساني
لأنني في المدى البعيد
أفهم أنه لا جدوى من جميع الكلمات

فعلت هنا - أمام كلمات مثل : السكر، قبهص، كأس، قصيدة، قيثارة، غزل، وعشرات غيرها. وعندئذ سيؤهو كثيراً بعرييته التي كادت أن تتخطى ذات يوم جبال البرانس إلى فرنسا. والتي لا نبالي إذا قلنا إنها أكثر لغات الأرض تسائيراً في غيرها من ناحية المفردات. ولكن هذه على أية حال قضية أخرى ليس هناك مجال لمناقشتها.

نعود إلى الشعراء السبعة والعشرين الذي غيرهم سان مارتين في منتخبه هذا، فنلاحظ أن فئة قليلة منهم قد أخذت حقها - أو بعض حقها - من التعريف في لغتنا، وأن على رأس هذه الفئة الفليلة لوركا بلبه خيميبيث. ولست أعنفد أنني في حاجة إلى التعريف بلوركا أو زميله، وإنما أعنفد أنه من المناسب التركيز على تلك الأصوات الشعرية الإسبانية الموهوبة التي لم تنل أي حظ من ذلك التعريف المطلوب. وأعنفد كذلك أنه من الصعب في منتخب يضم ٢٧ شاعراً وأكثر من ١٠٠ قصيدة أن نعرض للجميع بصورة عادلة. وأعنفد أخيراً أنه ربما يكون من المناسب هنا أن ننخير بعض القصائد، ولكن إحدى عشرة، بحيث تغطي المراحل المختلفة التي مر بها ديوان الشعر الإسباني عبر سنوات هذا القرن، وبحيث نكون أيضاً ذات طول محدود. ومع أن هذه خطة تحكيمية في النهاية فعذري أن الكتاب يزيد على ٥٠٠ صفحة، وأن الحيز المباح لعرضه ينبغي ألا يجور على غرضه!

١ - ميغيل دي أونامونو (١٨٦٤ - ١٩٣٦)

أول شاعر نبدأ به هنا هو نفسه أول شاعر بدأ به المنتخب. . . ميغيل دي أونامونو وقد عرف كناثر وفيلسوف، ولكنه يعتبر نفسه شاعراً قبل كل شيء، على الرغم من أن أول دواوينه لم يظهر قبل ١٩٠٧ م، وكان قد اشهر قبلها بنثره. ومع ذلك فهو يعتبر من أهم شعراء إسبانيا في القرن العشرين، على الرغم أيضاً من جفاف شعره وذهنيته.

شاعر موهوب يدعى مانويل فاسكوييس مونتاليان، عالمي الاهتمام، يهتم بالسياسة والاقتصاد على مستوى العالم كله، ويسند هذا الاهتمام إلى اهتمام مضاعف بمجتمعه، مما يجعله إمداداً للجبل الراحل الذي أخرج ماخادو ولوركا والبرف. فهو كثير الهجوم على المجتمعات الاستهلاكية، ويستخدم في هجومه ذات الوسيلة التي أرسى دعائم هذه المجتمعات، أي لغة وسائل الإعلام من سينما وتلفزيون وصحف وإعلان، وقد أطلق على هؤلاء الشعراء اسم «مدرسة البندقيّة» نسبة إلى مدينة البندقيّة أو فينسيا، لأنهم يهتمون بالزخرفة والمحسنات البديعية، ويخونون إلى الماضي الباروكي، أي إلى ذلك الأسلوب الفني الذي ساد أوروبا في القرن السابع عشر ونمّز بدقه الزخرفة والتعقيد والغربة في الصور الأدبية، وعلى الرغم من براعة كثيرين من أفراد هذه المجموعة الشابّة الجديدة وحرصهم على التجوية ولو كانت ذاتية لمن الصعب التنبؤ بمستقبلهم.

ويختم سان مارتين مقدمته بالحديث عن خطئه في الترجمة وإصراره على إبراد النص الإسباني مع الترجمة الإنجليزية لأنه يعتقد في أهمية تذوق القصيدة في لغتها الأصلية، وهذا أمر قابل للحدوث بالنسبة للغات الفرعة عن اللاتينية بحكم الغرابة الوثيقة ولكن أليس ثمة قرابة بين الإسبانية والعربية أيضاً؟ الحزن أن سان مارتين لم يشغل نفسه بسؤال كهذا، ولكنه سؤال نشبه بعد محاولة لتذوق هذه القصائد في لغتها الأصلية مع الاستعانة بالترجمة الإنجليزية بالطبع. صحيح أن هناك مئات من الكلمات الإسبانية المنقولة - مبنية ومعنى - عن العربية، ولكن الصحيح أيضاً أن الإسبانية لم تنقل عن العربية أي شيء مما يتعلق بقواعد تركيب الجملة أو البلاغة، وإنما اكتفت بالمفردات شأنها شأن لغات كثيرة أخرى. والمفردات في أمة لغة كلا مباح كما هو معروف. غير أن الفارئ العربي الذي يعرف الإنجليزية ويحاول مضاماتها بالنص الإسباني سينوقف كثيراً - مثلما

ولكن ذلك لم يكن يعني البأس، وإنما كان يعني - كما يقول سان مارتين - أن هذا الشعراء وأن يتجهوا إلى بدائل أخرى أجدى مثل تجويد الكتابة. وهذا ما فعلته المجموعة السابقة بدرجات متفاوتة، على الرغم من أن أنجل فالتي قد جازف كثيراً في غير هذا الاتجاه، في الوقت الذي كان فيه يعاني ألماً قاسية من اللغة. وها هو بصوغ الكلمات بعناية شديدة ويضمنها نبرة واضحة من الاحتجاج :

تقول لي
إن الكلمات لا تكفي لتحريرنا .
ولكنني أجيبك
بأننا لا نعرف بعد إلى أي مدى
في الزمان أو المكان
تستطيع الكلمة أن تذهب
ولا نعرف من سيليتمتها .
ولا أي قم مكفول الايمان
يكسبها شكلها الحقيقي .

غير أن الإحساس بعدم التكيف كثيراً ما يدفع هؤلاء الشعراء إلى السخرية من أنفسهم، مثلما فعل جيمي جيل دي بيدما وجلوريا فويرنيس. وهنا تقوم الفكاهة والسخرية المرة أحياناً بتخفيف حدة الاحتجاج. بل إن آخر دواوين جلوريا (وحدوي في الغرفة) قد حمل عنواناً بشي بالغربة والوخدة الشديدة.

يقول سان مارتين إن نقاداً إسبانياً، هو خوسيه ماريّا كاستيليه، قد جمع عام ١٩٧٠ م، منتخباً من أشعار أبرز الأصوات الشعرية الجديدة في إسبانيا. وفي هذا المنتخب الذي يمثل نسعة من هذه الأصوات الجديدة نلتقي بشعراء شباب بدأوا الكتابة جيباً في السنين، ولكنهم نبأوا في الأسلوب والتناول وإن كان قد وجد بينهم العطف الشديد على بلادهم. ومن شعراء هذا المنتخب



• ابذر نفسك •

هز هذا الحزن واسعد حيوتك ،
لا تكن كسولا حتى ترى عجلة القدر
التي نلمس عقيبك وهي تغادر ،
فالذي ينبغي الحياة هو الذي يغتنى بها .
ها أنت الآن بلا عمل خلا اطعام ذلك الألم النهائي
الذي يلتف حولك شيئا فشيئا في شباك الموت ،
ولكن الحياة هي أن تعمل ،
والشيء الوحيد الذي ينبغي
هو العمل فاشرع من الآن ،
اشرع في العمل .
ابذر نفسك وأنت تمشي ،
ابذرها في حقلك ،
لا ندر وجهك لأن ذلك
بغني أنك ندبره صوب الموت ،
ولا تجعل الماضي بثقل حركتك .
دع الحي في الحقل بحبا ،
ودع الموت الذي في نفسك ،
لأن الحياة لا تسير كما يسير
سرب من السحب .
ومن العمل ستقدر يوماً
أن نلّ شئنا نفسك

• حبيتي .. هل تذكرين ؟ •

حبيتي .. هل تذكرين
تلك القصبات الصفراء الرقيقة الكسول ،
الملقاة في الخفرة الجافة ؟
هل تذكرين نبات الخشخاش
الذي قضى عليه الصيف ،
نبات الخشخاش الذابل
الذي يغطي البراري كأنه
قاش رقيق أسود ؟
هل تذكرين شمس الصباح
المنخفضة الهامدة بلا حراك
وهي تسطع وترتعش
متكسرة على النافورة المتجمدة من البرد ؟



أنهى أونامونو دراسته الثانوية في سن الخامسة عشرة في بلدته
بلباو ثم واصل تعليمه حتى نال الدكتوراه من جامعة مدريد عام
١٨٨٤ م ، وفي عام ١٨٩١ م ، انتقل إلى سلامانقة حيث شغل
كرسي اللغة اليونانية بجامعة ، ثم صار مديرا للجامعة عام
١٩٠١ م ، ولكنه فصل من وظيفته عام ١٩١٤ م ، لأسباب
سياسية . ومع ذلك استمر في التدريس بالجامعة حتى عام
١٩٢٤ م ، حين نفاه الدكتاتور بريمو دي ريفيرا إلى إحدى
جزر الكناريات . ومن هناك فر أونامونو إلى باريس بعد نحو أربعة
شهور ، ورفض أن يعود إلى وطنه عندما صدر عفوه من الحكومة
الإسبانية ، وظل في باريس حتى سقوط الدكتاتورية عام ١٩٣٠ م ، ثم
عاد إلى سلامانقة ، وساعد الجمهوريين على إقامة نظام جمهوري ،
وكان جزاءه أن عينته الحكومة المؤقتة رئيساً للمجلس الوطني
للثقافة . وأعيد إلى رئاسة الجامعة . وفي عام ١٩٣٥ م ، منح لقب
« مواطن شرف الجمهورية » ، وانضم إلى حركة الوطنيين في
بداية الحرب الأهلية الإسبانية ولكنه ما لبث أن أعلن انفصاله عنهم
عام ١٩٣٦ م ، وفي ليلة عبد رأس السنة الميلادية من ذلك العام
فاضت روحه فجأة .

وفد اخبرت له هنا قصيدتين قصيرتين :





٣ - رافايل ألبرتي (١٩٠٢ -)

ولد في قادش حيث درس بإحدى مدارس الجزويت حتى عام ١٩١٧ م ، ثم انتقل مع أسرته إلى مدريد ، حيث قرر أن يكون مصورا ولكن حرفة الشعر أدركته . وفاز أول ديوان له بالجائزة القومية للشعر ومن ثمة أخلص للشعر من يومها وجرب موهبته في الدراما أيضاً ولكنه لم يهجر التصوير كلية . جرفته السياسة في سن مبكرة وكتب شعراً سياسياً كثيراً ، ولكنه لم يستطع البقاء في إسبانيا بعد هزيمة الجمهوريين في الحرب الأهلية ، فغادر مدريد إلى الأرجنتين حيث عاش فترة ، ثم انتقل إلى روما حيث يعيش حتى اليوم .

وهناك فصيلتان له :

١ - الم

لست أمزح ، ففي عينيك
كان البحر طفلين ،
يتجسسان علي .
خائفين من الشراك
والكلمات الصعبة .
طفلان مخيفان من أطفال الليل .
مطرودان من السماء ،
نشأ على نهب السفن
والأجرام في الشمس والأفار .
نامي .. واغمضيها .
لقد تمثل لي ذلك البحر الحقيقي
صبيا عريانا يتواهب
وهو يدعوني إلى طبق من النجوم
وإلى النوم على أعشاب البحر .
أجل ، أجل ! أما الآن فهي حياتي
كانت ستصير ، بل هي صارت ،
شاطئا منعزلا
وأما أنت فأغرقيني في عينيك
حين تستيقظين .

٢ - بدرو ساليانس (١٨٩١ - ١٩٥١ م)

ولد في مدريد حيث واصل تعليمه حتى نال الدكتوراه في الأدب من جامعتها عام ١٩١٦ م ، وفي تلك الأثناء (من ١٩١٤ إلى ١٩١٧ م) ، حاضر بجامعة السوربون الفرنسية ، كما حاضر بعد ذلك (من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٣ م) ، بجامعة كيمبريدج الإنجليزية . وفي عام ١٩٣٦ م ، سافر إلى الولايات المتحدة حيث حاضر في عدد من جامعاتها بعد نفيه من إسبانيا على أثر نشوب الحرب الأهلية . وفد ظل مقيماً في أمريكا ، باستثناء ثلاث سنوات (١٩٤٢ - ١٩٤٥ م) ، فضاها كاستاذ زائر بجامعة بورنوريكو ، إلى أن مات بمدينة بوسطن .

وفد ترجم ساليانس أعمال الروائي الفرنسي المعروف مارسيل بروسر إلى الإسبانية . كما أن شعره هو نفسه ترجم إلى العديد من اللغات . له أعمال أخرى غير الشعر أشهرها في النقد والسرحة والفصاة .

وهذه إحدى قصائده :

٢ - أراك

إني لا أراك ولكني أعرف
أنك هنا . خلف جدار هش
من الطوب والملاط . داخل مدى
يسهل على صوته بلوغه
إذا ما ناديتك
ولكني لن أناديك
سأناديك غدا
حين أكف عن رؤياك
فأخيلك دوما
هنا . إلى جوارتي ، بجاني ،
وستكفيني الكلمة
التي لم أقلها بالأمس
غدا ... عندما تكونين
هناك خلف
جدار من الرياح
والساوات والسنين .





٤ - ميغيل هرنانديث (١٩١٠ - ١٩٤٢ م)

عمل في طفولته راعيا للغنم قبل أن يلحق بالمدارس التي لم يستمر فيها طويلاً ، ثم عاد إلى رعي الغنم . ولكنه لم يكف عن القراءة طول الوقت . وفي عام ١٩٣١ م ، سافر إلى مدريد حيث قضى بها نحو ثلاث سنوات تعرف خلالها إلى كثير من الشعراء ، وعلى رأسهم الشاعر الشيلي بابلو نيرودا الذي كان يعيش في إسبانيا في ذلك الوقت ، وكذلك عرف اليساندره بيشنته الذي شجعه على التحرر من القوالب الصارمة في شعره الباكر . غير أن السياسة ما لبثت أن جرفته ، فعرف السجن والمعاناة . حيث قضى أكثر من سنتين علباً بعالم من السل ، حتى مات في السجن . وهاتان قصيدتان له :

● قلبك ؟ .. برتقالة متجمدة ●

قلبك ؟ .. برتقالة متجمدة ،
داخلها يحتوي على زيت الصنوبر المسكر
ولكن بلا ضوء ، كما يحتوي على مظهر براق
كالذهب

وخارجها يحتوي على أفراح واعدة
للرجل الذي يتطلع إليه .
أما قلبي فهو رمانة ملتجة
ألوانها القرمزية على هيئة عناقيد
وشمعها مفتوح ،
يهب لك حباتها الرقيقة
مشمولة بعناد رجل يحبك
أجل ، يا لها من تجربة مؤسفة
أن أمضي إلى قلبك فأجد جليداً
مصنوعاً من الثلج البدائي المفزع !
وعندئذ يتطاير في الهواء منديل عطشان
على شواطئ تحيي ،
راجياً أن يرتوي من دموعي .

● كلميا ●

كلميا مررت
تحت نافذتك
استوقفتني العطر
الذي لا زال يفوح في دارك
كلميا مررت بالمغابر
شدتني إلى الخلف تلك القوة
التي لا زالت تنفخ داخل عظامك

٥ - جلوريا فويرتيس (١٩١٨ م -)

بدأت حياتها الأدبية بكتابة قصص الأطفال والشعر ،
ولذلك يغلب على إنتاجها طابع القريض الذي يشربل برقة ووداعة
شددين ، ولكن القراءة المثالية لشعرها سرعان ما تكشف عن جذبة
واضحة تحت سطح عواطفها الرفيعة ، كما تكشف عن شيء من
الحزن والمعاناة الذاتية تحت سطح سخرتها بالظلم ونعاطفها مع
المظلومين . حاضرت بعدة جامعات أميركية ، ولكنها تقسم
اليوم بصفة دائمة في مدريد حيث تجذب إلى ندواتها الشعرية
جامع كبير .
وهاتان قصيدتان من شعرها :

● عشر الغنم ●

تعشش الطيور بين ذراعي
على كتفي ، خلف ركبتي ،
لا بد أنها تظن أنني شجرة .
أما البجع فيظن أنني نافورة ،
إذ يحط علي ويشرب حين أتكلم
وحين ترم الأغنام تدوس فوقني ،
وحين تحط العصافير على أصابعي
تبدأ في نقرها ،
أما النمل فيظن أنني من أديم الأرض ،
وأما الرجال فيظنون أنني عدم .

● أحبوا أيضاً كندوب الخيل ●

أمام داري توجد كرمة عنب
والشمس ترحل عبر يستاني ،
والنهر يرفد بجوار الحديقة ،

أيتها الشمس العجوز الملتحية ،
أيتها الشمس الجذبة الطبية
في الخنادق ذات الضوء المحارب ،
أيتها الإسبانية العنيدة ،
يا من صممت على ألا يموت نور إسبانيا .
إنك نبيجين قرنيه ،
ونشعدين بأشعرك طرفيها ،
وتغرينه ، وترسمين آثار خطوه .

أيتها الشمس الوطنية العجوز
أيتها الشمس البطلة
يا من نفتحين ما بين ساق الوحن
بمنهى الإنسانية وبأكثر من الإنسانية :
أحرفي الطلقة التي

نبغى سقوطه عن مسارها ،
احجبي أو أذبي السقوط الأحمق للرصاص
الذي يبغي الخلاص منه بنهر متدفق
من البذور الفاجرة
دعي نسيمك يدخل رثني ،
واجعلي جبهته وقلبه وعنقه ،
أكثر منعة وولعاً بالفتال .

● ●

أيتها الشمس يا ذات القلب العطوف ،
أيتها المتطوعة العجوز
منذ الأزل ،
أيتها الشمس البحارة ، أيتها الشمس الفلاحة ،
سيان أن يتقدم الموت
في الأمواج أو في الأراضي البور
فإسبانيا ، وثورها ، ليسا وحيدتين .
أنت ، أيتها المقاتلة العمياء
يا من تجعلينه يرتعد من رأسه إلى ذيله ،
وفي الضوء الساطع الذي تغمرين
به الأجانب ، بل في الخوف ، في الدم ،
في التراب الذي تغمرينهم به ،
تجعلينه يكتس بالظل حليته
التي غزوها ،

والنوم يعمس هنا في قلبي ،
 إن الحديقة تمنح الكثير
 لشجرة الدردار
 والسلام منقوع في موسيقى البخور .
 إن في هذا البلد عدالة ،
 والشرفاء مكانهم القيمة .
 لا يوجد عليل واحد ،
 والهواء عليل ، نقي .
 جرب وجالس فلاحاً أجيراً .

* *

غير أن ما أتحدث عنه
 لا بد أنه موجود خلف المقابر .

٦ - جيمي جيل دي بيدما (١٩٢٩ م -)

ولد في برشلونة حيث قضى معظم سنواته باستثناء فترة الحرب الأهلية حين رحل إلى بلدة صغيرة . معروف بنفذه وترجماته أيضاً ، إذ يجيد الإنجليزية . كثير السفر والتجوال في بلاد العالم . شعره يعكس تطور الفني والثقافي ، كما يجنوي على نغمة ذاتية ولكنها تحمل وعياً شديداً أكثر مما تحمل استغرافاً في الذاتية . أثر شعره في كثيرين من الشعراء الشباب الجدد .

وهنا قصيدة له :

● في الأربعينات ●

غزا نصف إسبانيا كل إسبانيا
 بكل ما في مقدور أمة عنيده من رعاة الغنم .
 بكل الفظاظه ،
 بكل الازدراء للمهزومين .
 وأجبرت مدريد وبرشلونة
 على الركوع
 وبدت المدينة مثل بيت قدر
 سكانه من المعجائز
 بل بدت أكثر منه عتمة
 وفاح من الأنفاق عطر البؤس .

* *

وفي شفق المساء المرتبك المتقد الحزين
 كنا نخرج إلى شوارع الشتاء
 الآهله بمخاطف المطر التعيسة
 التي تنفخها الرياح .

* *

ونمر بنا النساء في ملابس رثة ،
 ويمضين كما تمضي الظلال .
 نساء وحيدات - زوجات وبنات
 وأرامل - يسرن في قطمان
 * *

يلتمسن أحط طريق للموت
 والعناية برجالهن . وفي الليل
 تبتسم أحلاهن لأوحش الغزاة

٧ - مانويل فاسكيس مونتالبان (١٩٣٩ م -)

منوع النشاط . كتب الرواية والمقالة الأدبية والاجتماعية والأغنية . وحرر في صحيفة يومية وأخرى أسبوعية . في عام ١٩٦٢م ، قبض عليه بتهمة التحريض في مظاهرات السطلية ببرشلونة ، وفضي في السجن عاماً ونصف العام . بعد في شعره ، نأليه وسائل الإعلام لبعض البشر من الرؤساء والممثلين والجفرالات ونجوم السينما والمنممع . ويستعين في ذلك بأسلوب « المونتاج » السينائي ، أو عملية « القص واللصق » (الكولاج) حيث يمزج شعره بمقطعات من الروايات والصحف وإعلانات التلفزيون . ويقلب على هذا الشعر طابع السخرية الحادة والفكاهة الرفيعة . وهذه قصيدة من شعره الذي يتميز بالطول وصعوبة الفهم يغير هومر ، وهي قصيدة قصيرة لا نسد فيها طريقته في « القص واللصق » . وإن عنوانها هو نفسه عنوان قبل مينائي أميركي مأخوذ عن مسرحية لتينيسي ويليامز :

● صيف ودخان ●

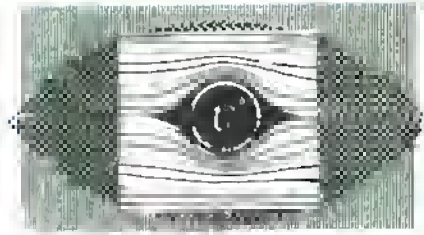
نحن نعرف الآن نحن
 أن نحمد المقاومة المريعة
 لسافين مُشْبِكَيْن
 نحن طعم
 نفس شخص جعل افواه مرأ
 أو نحن الساعات المحدودة في حلفنا
 حين يشعر الجسم بالكسل إذ يستيقظ
 أو بيكي بحرقه على برد منسي .
 ومع ذلك

تنمو الأشجار أكثر من مرة في الخريف
 من أجلنا
 ويلمع الشارع تحت المطر الأصفر
 ونثر سبيل سائر وحيد على الأرض
 المواجهة للقاء
 ونصفر . . بنغمة خشنة ،
 تأخرت عن موعدنا
 على حين نرسو القوارب الشراعية في الموانئ
 التي نحن إليها
 ولا يسأل الهواء الملحي
 من ؟
 من ذا الذي يخاف أن يجسر
 ما ليس بحبه ؟

لعل فاريء هذا المنتخب الشعري ، وقاريء ما اقتطفناه منه هنا ، يخرجان بلحوظة هامة تتعلق بالشكل ، فالشعراء الإسبان لا زالوا يهون شكل القصيدة القصيرة المحدودة الأبيات ، وهو شكل قريب في الحقيقة إلى شكل « السوناتا » الأوروبية ، ولكنه في الحقيقة أبشاً أقرب إلى « الموشح » العربي ، مما يؤكد بعض آراء دارسي هذا الشعر من أنه متأثر بالشعر العربي في بعض النواحي ولا سيما في الشكل .

ولعل الفاريء أيضاً يخرج بلحوظة أخرى هامة تتعلق هذه المرة بمضمون القصائد أو - على الأقل - بموضوعها . فتتمة موضوعات وأفكار بعضها نسري في هذا الشعر ، بل وفي هذه المختلوات هنا ، وهي نفسها موضوعات وأفكار كل شعر جيد أو أصيل منذ كان الشعر حتى الآن . وهي أيضاً موضوعات وأفكار تتعلق بالحقائق الأساسية في الوجود . ويستطيع أن نجملها هنا في ثلاثة موضوعات : الحب والحرة والموت .

أما ما نراه أو نحسه من أسى وشجن وحزن وسخرية ، بل وفكاهة وغيرها ، فكلها أعراض هذه الموضوعات الثلاثة الرئيسية . وإذا كان محرر هذا المنتخب وجامعه لم يشر من قريب أو بعيد إلى المقصود من عبارة « الجذور والأجنحة » التي جعلها عنواناً لمنتخبه فإنا نجازف فنشير إلى أن « الجذور » هي هذه الموضوعات الثلاثة . وأن « الأجنحة » هي هذه الأعراض وغيرها .

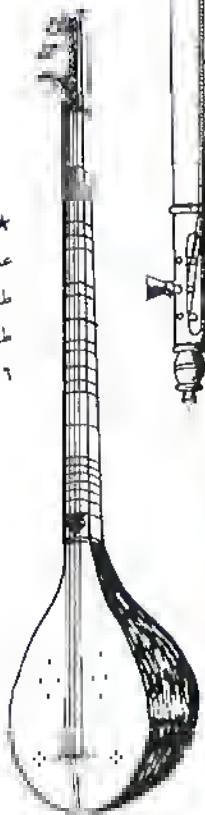


موضوع خاص

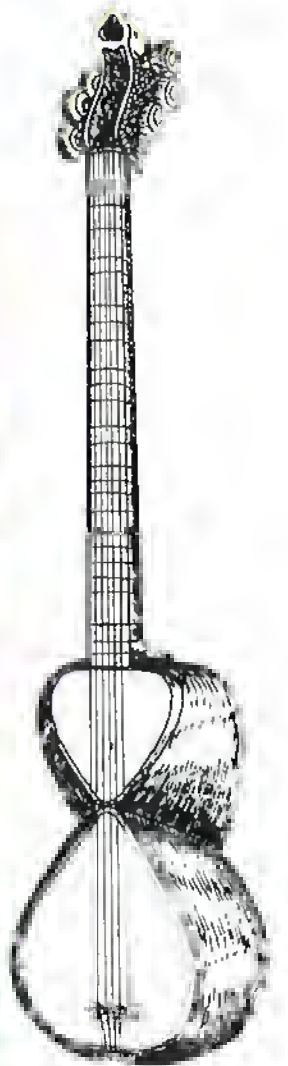
★ كاماتشا
من
إيران
طوله
★ ٩٤,٥ سم



★ سهنار
عود
طويل
طوله
★ ٧٦ سم



★ عود
طويل
من
إيران
طوله ٩٣ سم ★



★ العزف على الفلوت أو... الكافال التركي ★

الألآت الموسيقية في العالم الإسلامي



★ الدراويش يدفون • الدابدة • في إيران ★



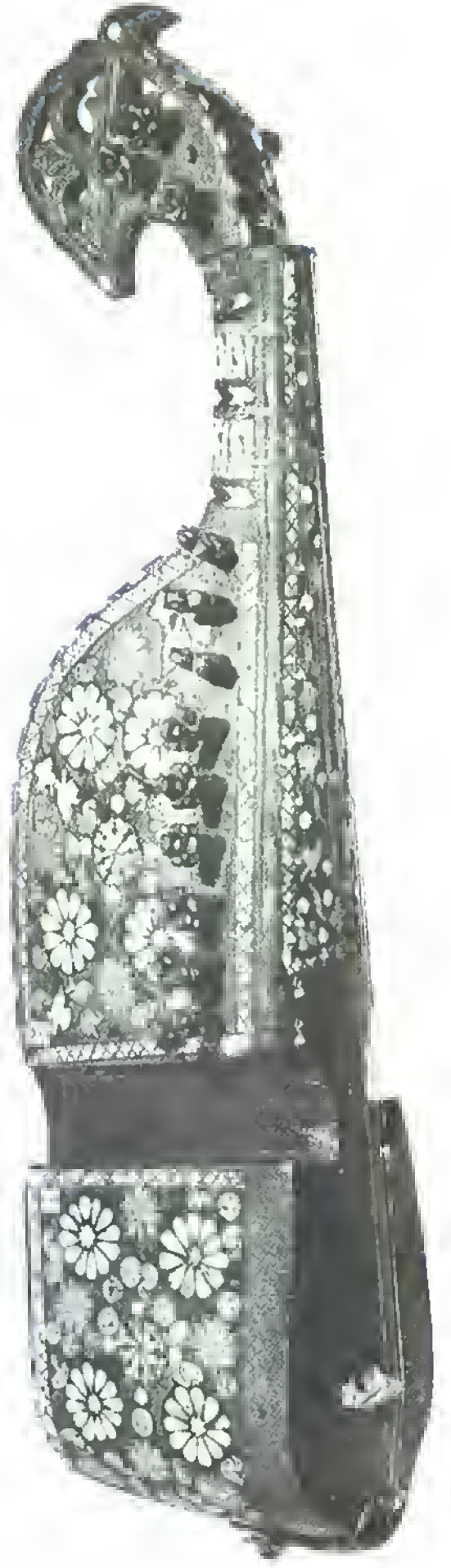
★ ضارب الدف .. في الباكستان ★



★ الضرب على • الطارئين • في السودان ★



★ الحان على • الدف • في الحبشة ★



الفرج الأصفهاني نطالعنا صفحات طويلة عن مغنيين وموسيقيين كبار مثل «معبد» و«ابن جامي» و«زلزل» و«إبراهيم الموصلي» و«إسحاق الموصلي» و«زرياب»، كما ندرك التنافس بينهم، وبصفة خاصة ذلك التنافس الذي حدث بين «إسحاق الموصلي» و«زرياب» الذي اضطر معه زرياب إلى ترك بغداد متجهاً إلى المغرب ثم الأندلس حيث أقام بها وأصبح أبا للموسيقى الأندلسية، وحين أفل نجم العرب بعد دخول المغول إلى بغداد وسقوط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨ م، وانسحاب العرب من الأندلس عام ١٤٩٢ م، كما يحدث لأي ظاهرة حضارية، خبا نجم الموسيقى، وبقيت الألحان الشعبية في كل مكان.

وللآلات الموسيقية في البلاد الإسلامية أصول تختلف عن أصول الموسيقى في البلاد الأخرى وخاصة في الدول الغربية، فقد تميزت الآلات وصارت رمزاً

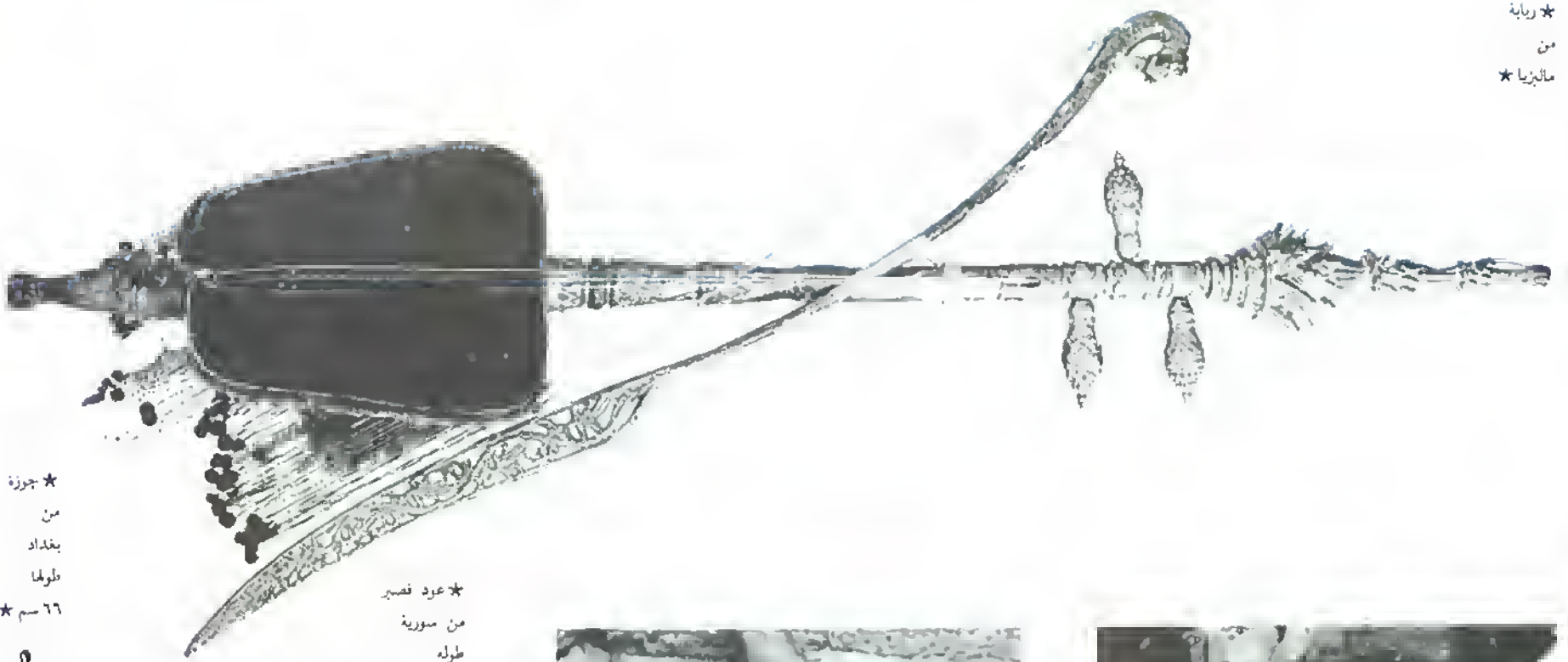
الموسيقى والآلات الموسيقية في العالم الإسلامي موضوع وجد كثيراً من العناية والبحث والتسجيل... وقد تناولته عدد من المؤلفات من بينها كتاب اشترك في تأليفه جين جينكنز وبول روفسيخ أولين وصممه كولبن لاركين... وصدر عن شركة العالم الإسلامي الفنية بلندن عام ١٩٧٦ م، كما أن هناك عدداً من المتاحف يحتفظ بمآذج ورسومات ومؤلفات عن هذا الفن الإنساني.

ويذكر أن لابن سينا، والكندي، والفارابي آراء في الموسيقى... حتى إن «الفارابي» قد اخصصها بكتاب كامل، وعندما نقرأ كتاباً مثل «الأغاني» لأبي

★ رباب

من

ماليزيا ★



★ جوزة

من

بغداد

طولها

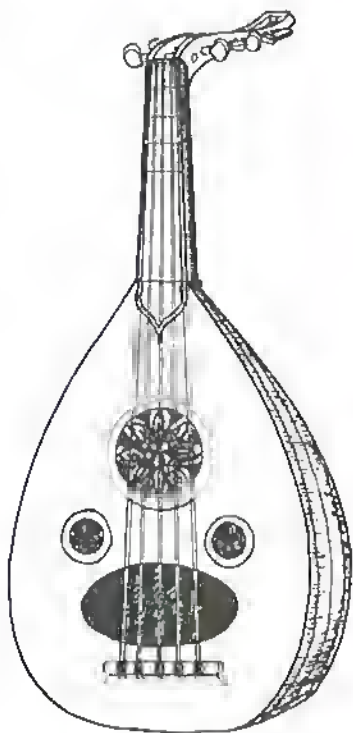
٦٦ سم ★

★ عود قصير

من سورية

طولها

٧٤ سم ★



★ الماسورة . . أو « التولوم الأسطبولية » ★

★ « تولوم » بالقرية - تركيا ★

الخصائص المميزة ١ - الصوت البشري

للصوت البشري المصاحب للآلات الموسيقية أهمية الآلات الموسيقية . .
ففي جنوب شرقي آسيا يتخذ الغناء أساليب مختلفة اختلاف الآلات الموسيقية
نفسها . . فأغاني التراث الشعبي تكاد تشبه المقطوعات الموسيقية القائمة
بذاتها . . وحين يظهر مطرب ما ليغني مع فرقته الموسيقية ، نلمس أن المقدمة
التي نسمعها أولاً هي بمثابة تمهيد لغناء المطرب نفسه . . وفي أكثر الأحيان تقوم
المقدمة الموسيقية بدور مساعدة المطرب على الاندماج في أغنيته . . مما يجعل
للصوت البشري قيمة أساسية في هذه الموسيقى .

لها . . هذه الآلات لم تظهر فقط في الشرق الأوسط ، بل ظهرت في معظم
البلاد الإسلامية في إفريقيا وجنوب شرقي آسيا . . وامتد تأثير الموسيقى
والآلات الموسيقية الإسلامية إلى مناطق بعيدة مثل الصين وأوروبا لما لها من
خصائص مميزة .



★ العزف على « الزمار » في المغرب ★



★ ربابة - الباكستان ★



★ تأثير الآلات الموسيقية في البلاد الإسلامية على إسبانيا في القرن ١٣ ★



★ العزف على الربابة أو « الشانج » في الباكستان ★

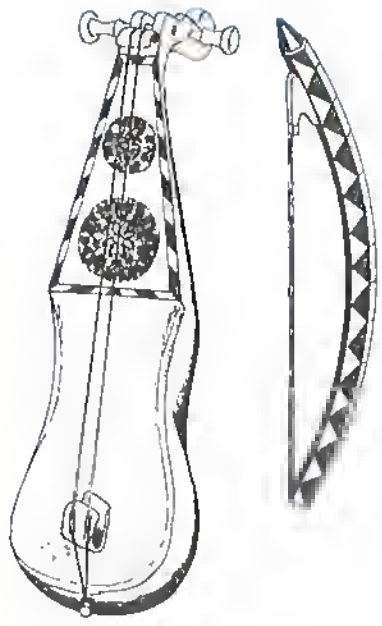


★ العزف على العود في الجزائر ★

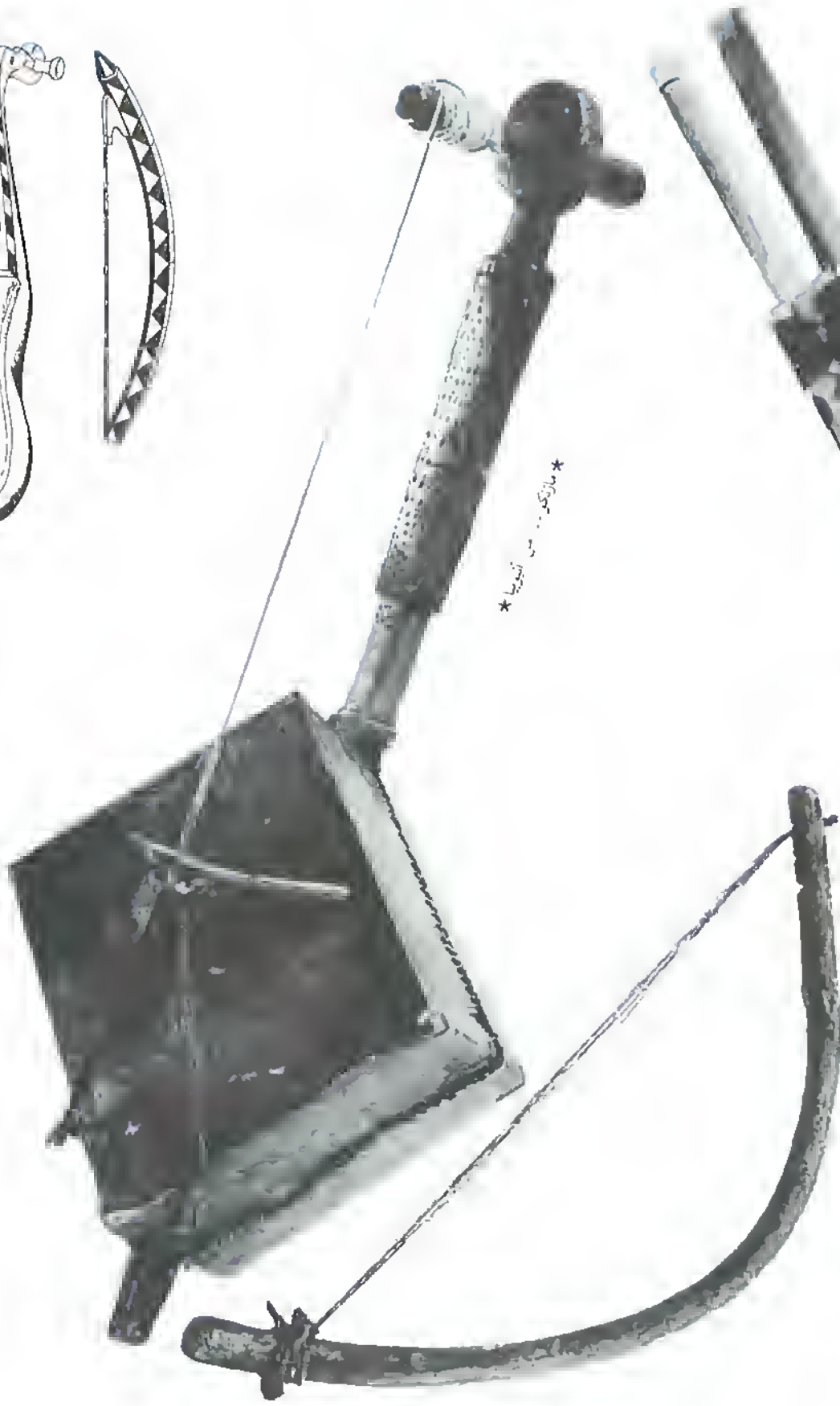


★ عزف على ربابة قديمة ★

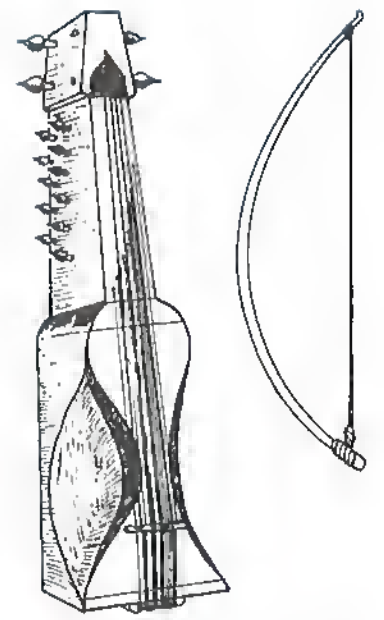




★ رباب
من المغرب
طولها
٥٦ سم ★



★ زمار
من تونس
٦٩ سم ★



★ زمار
من تونس
٦٩ سم ★

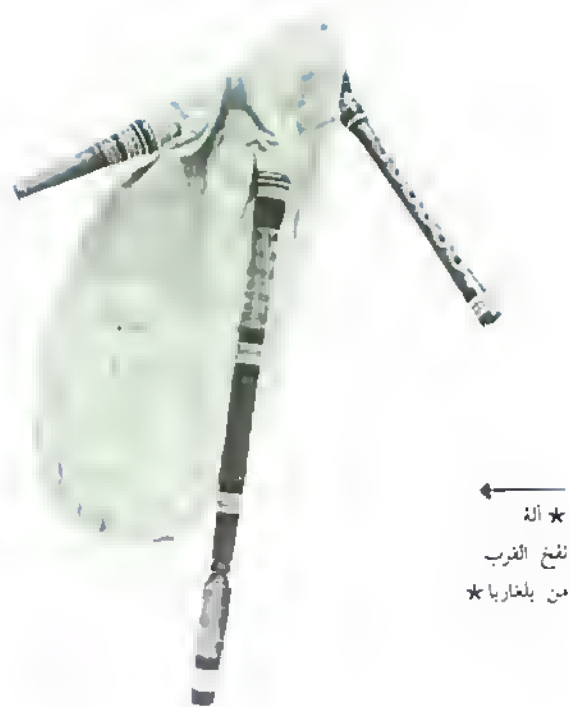
★ زمار
من تونس
٦٩ سم ★

٢ - اللحن والتزيين

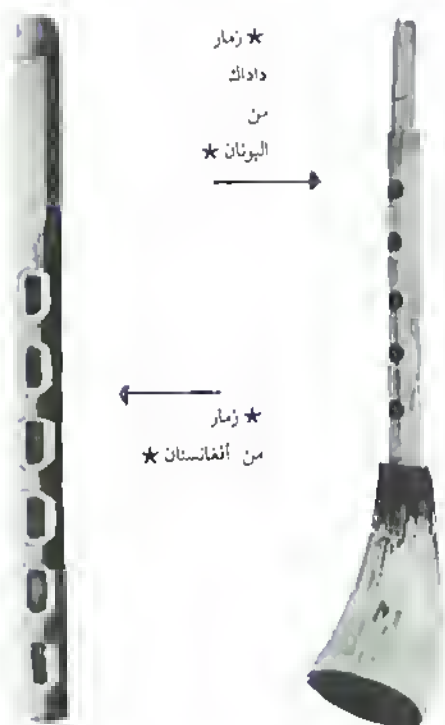
٣ - الآلات واسماؤها

نلاحظ أيضاً تشابهاً كبيراً في أسماء الآلات الموسيقية رغم اختلاف بيئاتها وهي ظاهرة برزت بحكم التبادل والاحتكاك بين المهتمين بشؤون الموسيقى والآلات. فهناك «الربابة» و«الروباب» و«الريباب» و«الريبابا»، وهي أسماء مختلفة لنوع واحد من الآلات تؤدي وظيفتها بتحريك القوس على الأوتار. وهناك «التار» و«الدوتار» و«السهتار». وهناك أنواع مختلفة من آلات الإيقاع وآلات النفخ تشابه اسمائها أيضاً.

نادراً ما توجد موسيقى بلا «ميلودي» أي بلا لحن فهو جزء هام لأي فرع من الموسيقى، وفي معظم أنحاء العالم تعتبر الميلودي عنصراً أساسياً في الموسيقى. وكذلك الحال في العالم الإسلامي. حيث تقوم على الغناء بحيث تكون وظيفة الآلات الأولى هي تسليم اللحن للمغني لينطلق في الغناء. ثم يأتي «التزيين» أو التجميل في المقام الثاني وخاصة في الشرق الأوسط. ونستثني من ذلك كثيراً من أغنيات البدو. وهذا التجميل جاء نتيجة تأثير الغناء الفارسي والمقامات العراقية والغناء في مصر وبلاد البحر المتوسط.



★ آلة
نفع القرب
من بلغاريا ★



★ زمار
داداك
من
اليونان ★
★ زمار
من أفغانستان ★

★ آلة نفع قروب بالبالونات ... يعزف عليها متجول هندي ★



الموسيقى الفارسية

يرجع ظهور الموسيقى الفارسية إلى **عصر الدولة الساسانية** (من القرن الثالث حتى السابع الميلادي ، وقد اشتهر في تلك الفترة «بارباد» موسيق خسرو الثاني ٩٥٠ - ٦٢٨ م . . وبعد ذلك ظهر تبادل التأثير بين الموسيقى الفارسية والعربية بوضوح ، أما أهم آلات الموسيقى الفارسية فهي «التار» و«السهتار» Tar and Sehtar (وكلمة Tar في الفارسية تعني الوتر) ، و(كلمة Sehtar تعني ثلاثة أوتار) ولكن ليس من الضروري أن يكون للتار وتر واحد . . فهو نوع من الأعواد له ستة أوتار وللسهتار أربعة أوتار ، ثم هناك «السانتور» Santur وهو مثل القانون به ثمان عشرة مجموعة لكل مجموعة أربعة أوتار ، ثم هناك «الناي» ولا يختلف كثيراً عن الناي العربي والطبلة التي تسمى «زارب» Zarb أو «دومباك» Dombak وهي التي يسميها العرب «الطبلة» أو «درايوكا» .

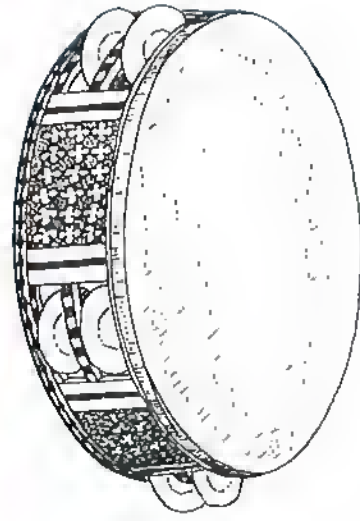
الموسيقى العربية

ازدهرت الموسيقى العربية في **العصر العباسي** بفضل كبار أعلامها وفضل آلائها الموسيقية الرئيسية وهي «العود» و«القانون» و«الناي» . . أما الآلات الأخرى فمنها - الربابة العراقية المسماة «الجوزة» و«الرباب» المغربي وأنواع من الطبول أشهرها «الدرايوكا» و«الدف» و«المورواس» في الخليج ، أما الغناء فهو الأساس في الموسيقى العربية ولذلك تؤدي الموسيقى الجزء المنفصل والخاص بالمدخل وتقوم بما يسمى «التقسيم» أو «النقاسم» .

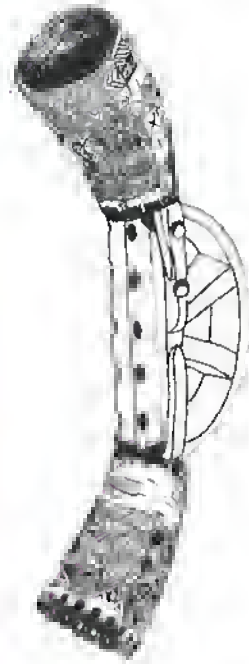
في المغرب مثلاً تتميز الموسيقى بما يسمى «بالنوبة» ، ومن الأندلس عرف العرب «الزجل» و«الموشحات» . . وتعزف الموسيقى من خلال مقام موسيقي يتبعه المؤلف الموسيقي ، ويقوم بالعزف عازف واحد أو مجموعة تعزف نفس اللحن .



★ زمار مغربي ★



★ دف سوري
نظره ٤١,٥ سم ★



★ البوق
ذات
البوقين ★



★ عازف هندي ★



★ آنا الكلازينيت ★

ولقد أثرت الموسيقى الصوفية في الموسيقى الإيرانية تأثيراً بالغاً ، فالصوفي الذي يريد بلوغ حالة الغناء يدخل في طقوس موسيقية تعزف على آلات مثل « التامبور » (وهو عود بعنق طويل له وتران أو ثلاثة) أو « السهتار » و « الناي » و « الدف » ويصاحب ذلك أنفاس .

وفي الموسيقى الفارسية سبعة مقامات رئيسية تسمى بالفارسية «داستاجاه» Dast Gah وخمس مقامات مساعدة تسمى «أفاز» Afaz كل مقام يعبر عن معاني لحنية خاصة تسمى «جوشن» ، وعلى الموسيقى أن يقدم مجموعة من الجوشنات في نظام معقول .

الموسيقى التركية

لا شك أن التأثير المتبادل للموسيقى التركية والعربية كان كبيراً وخاصة إبان فترة الحكم العثماني . . ويعتبر الناي والدف و « النقارة » من أهم الآلات التركية والموسيقى ، التركية تستخدم اليوم مع الصوت البشري آلات محدودة أهمها « العود » و « الناي » و « القانون » ، ويقوم بالعزف عازف وحيد (سوليت) أو مجموعة عازفين ، وفي الحالة الأخيرة فإنهم يعزفون لحناً رئيسياً كل بطريقته الخاصة . . ومن هنا برزت ظاهرة الهيتروفوني Heteropony أو التعارض بين الأنغام . . وتقوم الموسيقى التركية أيضاً على « المقام » شأنها شأن بقية موسيقى الشرق الأوسط . . ومن بين « الأشكال » التي تعزفها الآلات التركية « التقسيم » و « البشرف » وكل منها نظام متكامل من الافتتاحيات ، وهناك شكل أدق وأفضل هو « الفاسيل » Fasil حيث يحتوي على حركات وأجزاء مستقلة . . ومن أهم أعلام الموسيقى التركية « حسن أفندي » الذي عاش بين عامي ١٥٤٥ - ١٦٢٣ م ، و « صفي الدين » الذي اخترع طريقة استعمال الحروف الأبجدية في النوتة الموسيقية .

هذه الأقسام الرئيسية الثلاثة في العربية والفارسية والتركية أثرت تأثيراً واضحاً في موسيقى شمالي شبه القارة الهندية ، وخاصة خلال فترة سيادة المغول بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر الميلاديين ، ويعتبر « أمير خسرو » (١٢٥٤ - ١٣٢٤ م) ، من أبرز الموسيقيين في الهند القديمة وهو صاحب أغنيات « الخيال » التي تعد من أحب الأغنيات القديمة ، وأكثرها انتشاراً وذيقاً .

الآلات وتاريخها

١ - العود

ينقسم العود إلى :

●● العود الطويل : وهو يختلف في أشكاله وأحجامه وأسمائه عن أية آلة أخرى ويمتد عمره إلى أربعة آلاف سنة حيث عثر على رسوم له في حضارات سومر وبابل ومصر القديمة ، ويتميز من حيث الشكل بالعنق الطويل والجسم الصغير . . يخرج العنق من صندوق الصوت مباشرة ويمكن أن يكون ثابتاً أو متحركاً . وقد تكون العنق ضيقة أو عريضة كما يمكن أن يكون صندوق الصوت من الخشب أو من الجلد والأوتار من نوع سميك أو رفيع .

أما « التامبور » و « التانبور » و « الباندور » فهي أسماء شائعة للعود

الطويل . . و « التامبور » الأفغاني يختلف بعنقه العريض المتحرك ، عن « التامبور » الكردي بجسمه الصغير وعنقه الضيق ولا يتشابهان مع « التانبور » التركي بجسمه المستدير الكبير وعنقه الطويل الضخم ، وكذلك يختلف عن « الدومبرا » الكازاخستاني . . أما « الساز » و « الباجلاما » فهما نوعان مختلفان يستخدمان في الموسيقى الشعبية التركية ، بينما يستخدم « الستيار » الهندي و « التامبورا » الهندي أيضاً في الموسيقى الكلاسيكية القديمة . بينما



★ بدوي يعزف على الربابة في «أبو ظبي» ★



★ حفر على الخشب • بصور اهتمام العرب بالموسيقى ★



★ العزف على الناي الطويل في تركيا ★



★ الكازيك .. أو الكاشيك •
يستخدم في تركيا واليونان ★

والعملية وخاصة بعد ترجمة كتب اليونان في الموسيقى والرياضيات . . . يستخدم هذا العود في العزف المنفرد (التقسيم) كما بصاحب الغناء . . . وهو في الأصل ذو أربعة أزواج من الأوتار، لكنه حين انتقل إلى الأندلس أضيف إليه زوج آخر فصار ذا خمسة أزواج من الأوتار . . . ورغم ذلك فعود المغرب مثلاً ما يزال ذا أربعة أزواج من الأوتار، بينما هو في مصر وسوريا والعراق ذو خمسة أزواج من الأوتار . . . ويضاف إليه أحياناً وتر واحد . . . وهناك نماذج منه

مجلة الفيصل - ص ٩٩

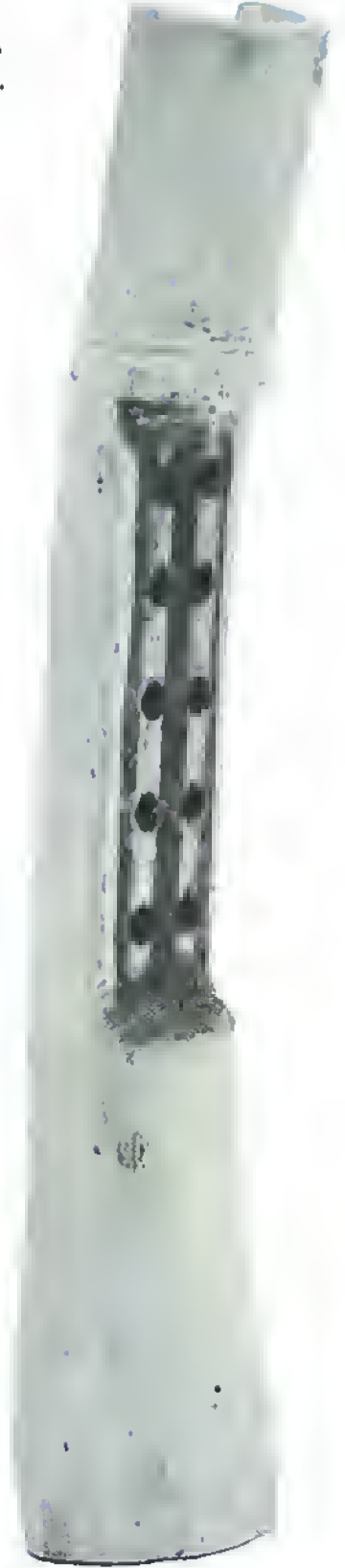
يستخدم «الساز» في أرمينيا وأذربيجان كآلات شعبية .

●● العود القصير : ويصنع من قطعة خشب واحدة تشمل العنق وصندوق الصوت . . . يرجع تاريخه إلى حوالي ألفي عام ، وقد ظهر أولاً في أواسط آسيا . . . وهناك نوع منه دلت عليه رسوم القرن الثامن قبل الميلاد في فارس . . . ولقد انتشر هذا العود في الموسيقى العربية حتى صار أشهر آلاتها، فكتبت عنه دراسات عربية في القرن التاسع الميلادي من الناحية النظرية

★ زمار الغرب . . ذو الفتحنين - تونس ★



★ السبث
ذو الماسورين
من اليونان ★



★ نقش بالحجر على ورق الأرز يوضح مشهد موسيقى من تايلاند ★

مناطق بعيدة في إفريقيا وشرقي آسيا ، ولكنها سرعان ما أخذت مكانها بين الآلات الموسيقية في البلدان الإسلامية . وفي الصحراء فإن « الربابة » تصاحب الشعر الحماسي كما نرى في الملاحم الشعبية (أبو زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد) . وتنتشر الربابة كألة شعبية في نجد بالملكة العربية السعودية ، وفي شرقي وغربي إفريقيا ، وهي تسمى في أثيوبيا « مازينكو » وتسمى في النيجر « جودجي » وإن كانت مختلفة الشكل والتركيب . . كما نجد لها مثيلاً في بغداد باسم « جوزه » وفي طهران باسم « كامانشا » .

٣ - القيثارات والقانون

Lyres, Harps and Zithers

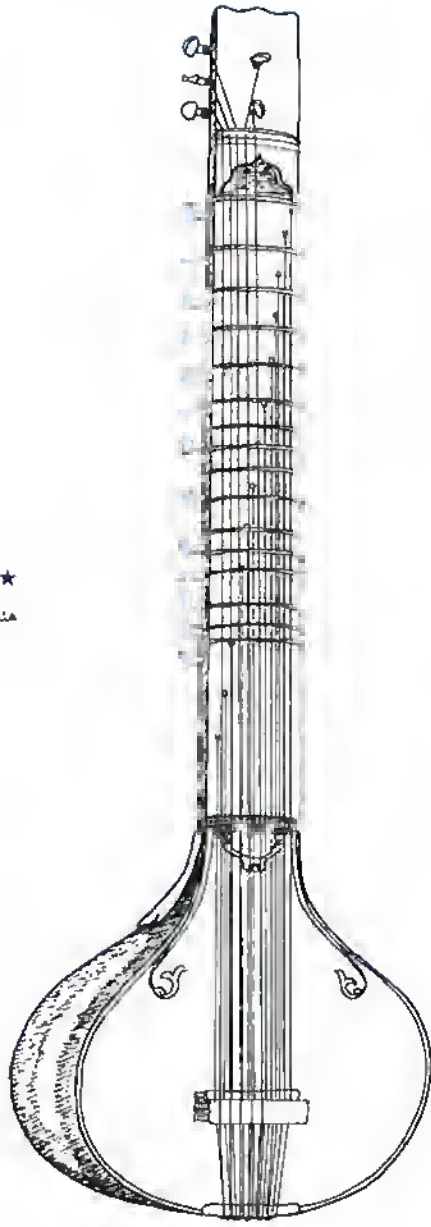
يرجع ظهور هذه الآلات إلى فترة بعيدة ، فالقيثارة مثلاً Lyre يرجع

مثل « روياب » الأفغان و « رابوب » الهند وباكستان . وهناك « السارود » الهندي الحديث وهو من نفس النوع . . ويستخدم هذا العود في الموسيقى الكلاسيكية والمعاصرة . ومن الطريف أن « التار » الفارسي كان من نفس النوع في البداية ، لكن عنقه استطال مما جعله ينضم إلى فصيلة العود طويل العنق .

٢ - الربابات

Fiddles

وهي أعود تعزف بالأقواس ولها نوعان نوع مشتق من العود الطويل والآخر مشتق من العود القصير . . ونجدهما في مناطق متفرقة مثل شمال نيجيريا ومالي وتنزانيا وأثيوبيا والصين وفيتنام وتايلاند وماليزيا . ويرجع ظهور القوس إلى حوالي ألف عام تقريباً ولذلك يعتبر حديثاً بالقياس إلى غيره . ولقد أتت فكرة القوس الذي يصنع وتره من شعر الحصان من



★ عود
★ هندي



★ طبل
★ هندي



★ الطبل
أو البابا



★ مجموعة آلات نظم لغارات من المغرب . ردف من سورية . . ودايدة من إيران وطبول متنوعة *

تاريخها إلى خمسة آلاف عام حيث ظهرت في مدينة «أور» بالعراق ومن هناك انتقلت إلى مصر ثم اليونان والحيثية ، وكان هناك نوع آخر منها هو القيثارة ذات القصعة أو المقوسة Bowl Lyre وتستخدم في الألحان الشعبية مصاحبة للشعر الحماسي . وبعد أن انتقلت هذه الآلة إلى السودان صار اسمها «تامبور» وأصبحت تستخدم في «الزار» . . ومن السودان انتقلت هذه الآلة إلى أريتريا والجزيرة العربية واليمن والخليج حتى حيدرآباد في الهند . أما «الهارب» وهو نوع آخر من القيثارة فقد ظهرت منذ حوالي خمسة آلاف عام أيضاً ووجدت نقوشها في رسومات الحضارة السومرية في مدينة «أور» العراقية ، وقد رسمت في صورة متقدمة بما يدل على وجودها في أشكال بدائية سابقة على هذا التاريخ . . وقد انتقلت من العراق إلى كل المناطق الحضارية لآسيا وإفريقيا بما فيها اليونان . ثم انتشرت فوصلت إلى المناطق النيلية في إفريقيا وفي مناطق الجبال المرتفعة في آسيا ، وتقدم لنا

الأثار الفارسية والتركية صورة لها ضمن الاحتفالات الوطنية وحتى على ظهر الخيل . وهناك قيثارة شعبية في جتوي زائر وغابات إيتوري وأوغندا ومنها المقوس وحاد الزوايا . . أما «الووج» Wu وهو نوع بدائي مقوس فنجدته في أفغانستان وله أربعة أوتار ويستخدم في الموسيقى الشعبية . . وأما «السوتج» فنجدتها في يورما وهي آلة جميلة مزينة تستخدم في الموسيقى القديمة . . ويوجد نوع آخر اسمه «التطور» Zither تحاط أوتاره على طول

★ نامبورا . .
★ هندية



★ عود الريانية يعزف عليها هندي منجول *

★ ليرا
★ يونانية



وأmericا الجنوبية وكانت معظمها من عظام الحيوانات . . وقد وجدت أنواع من هذه الآلة في المناطق الإسلامية أيضاً . . وهناك شكل بسيط منه يصنع من الخشب البامبو ويؤدي النفخ مباشرة . . بينما يعتبر « الناي » وهو الاسم الفارسي المستخدم في العالم الإسلامي باستثناء شمال غربي إفريقيا حيث يعرف باسمه العربي « القصبة » أكثر تعقيداً فجمال صوته يعتمد على براعة صاحبه أو (الناياتي) والناي آلة أساسية في الموسيقى العربية والفارسية والتركية وهو كذلك آلة للعزف الفردي. وهناك أنواع مختلفة منه في العالم الإسلامي، مثل « ناي الأنبوية » Duct Flutes و« الناي المستعرض » Cross, Or Trars Verse Horizontal Flute، أما النوع الثاني فهو شائع في الهند والصين وإيران وأفغانستان ووسط آسيا، ويسمى في باكستان « ساتارا » .

وعبر صندوق الصوت في صفوف متوازية لها، وتعتبر آلة متأخرة إلى حد ما عرفت لأول مرة كآلة فينيقية ولم تظهر بعد ذلك إلا في القرن العاشر الميلادي حين ظهرت في سوريا ثم في مصر وفارس باسم « القانون » وأنغام القانون رقية ولاعبة وهي آلة تستخدم فقط لعزف الموسيقى العربية والتركية وهناك أنواع منه في فارس وروسيا الواقعة في وسط آسيا .

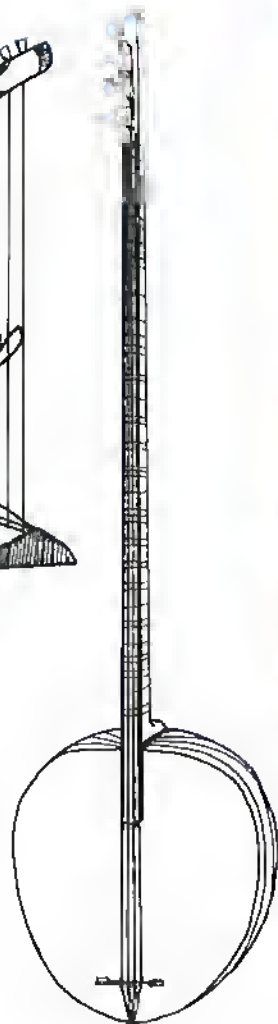
٤ - النايات

Flutes

يختلف الناي عن الآلات الأخرى في أصوله القديمة جداً . . فلقد اكتشفت أنواع منه ترتد إلى العصر الحجري محفوظة تحت جليد سيبيريا كما اكتشفت أنواع قديمة منه في إنجلترا والدانمارك وإيرلندا وإفريقيا



★ هارب
من
مصر القديمة ★



★ النابور
أو
العود
التركي ★



★ الزارب
أو
الطبلة
الإيرانية ★



★ احتفال بالدفوف في المغرب ★



★ أنواع
من الدرابوكة
في تونس
والجزائر
وسورية
وإيران ★

٦ - المزامير ذات القصبة المفردة

Single Reed Instruments Clarinates

وهي من الآلات المنتشرة في العالم الإسلامي . . يعزف عليها العازف يوضع مبسمها كله في فمه فبصدر نتيجة للتنفس المتواصل لصوت متصل يتحكم فيه العازف بالمفاتيح الحاناً أرق صخباً من الحان « الأويوا » ولكنها أكثر نفاذاً . . والمزامير تصدر الحان الناي . وهذه الآلات ذات القصبة الواحدة يمكن أن توجد مزدوجة القصبة . . وتنتهي « الزمارة » العربية إلى النوع المزدوج . ولقد عرفت هذه الآلات في مصر القديمة وفي الحضارة الآشورية بشكلها البسيط الذي يستعمله البدو هذه الأيام وتختلف أسماءها من بلد إلى بلد آخر ، ففي مراکش تسمى « زمر » وفي سوريا تسمى « مزمار » أو « مزواج » وفي العراق تسمى « موتبيج » وفي اليمن تسمى « مزامير » وفي

مجلة الفيصل - ص ١٠٣

٥ - آلات النفخ « الأبواق »

Trumpets

عرف المصريون القدماء والإغريق والرومان هذه الآلات مع اكتشاف الصناعة المعدنية واستخدموها في الموسيقى العسكرية في بداية الأمر . . وقد وجد النفيير ضمن الآثار التركية والفارسية والمغولية كما ظهر في مشاهد المعارك الحربية . ولقد وصلت هذه الآلة إلى أوروبا مع الجنود العائدين من الحروب الصليبية . . أما في المغرب فنستخدم هذه الآلات للإعلان عن شهر رمضان المبارك في فبائل « الهوسا » Hausa بالنيجر ونيجيريا وسنخدمها الأمراء والسلاطين للترحيب بضيوفهم وهي تسمى « الكاكاكاي » وتسمى في أواسط آسيا « الكارنا » أو « الكارناي » .

کردستان تسمى «دوزال» وفي ازبكستان تسمى «كوشناي» وتسمى في تركيا «سيفت» ومع هذا فهي متشابهة جميعاً من حيث الماسورة التي تحتوي على عدد من نقوب الأصبع ويضع العازف أصابعه الثلاثة الأولى من كل يد على كل قصبة ولبعض منها سماعات لتكبير الصوت أو قربة تحتفظ بالهواء . . «وللأرغول» المصري أيضاً قصبة خاصة وكذلك «الأرغون» التركي ، وعموماً فإن الكلارينيت ذات القصبة الواحدة نادرة في العالم الإسلامي بينما تنتشر الكلارينيت المزدوجة .

٧ - الآلات مزدوجة القصبة

Double Reed Instruments

كانت هذه الآلات شائعة في العالم القديم في كل من بلاد الرافدين والعراق والجزيرة العربية ومصر منذ حوالي خمسة آلاف سنة وقد ظهرت مع ظهور الموسيقى العسكرية . وللآلات - مزدوجة القصبة - أسماء عديدة مثل «السان» بآيران و«السونا» بالصين واسمها مأخوذ عن «السوناري» التركستاني أو الهندي ، وهناك «السارون» عند قبائل الباتك سكان جزيرة سومطرة . وعن هذه الآلات جاءت معظم آلات موسيقى القرب الأوروبية .

٨ - الطبول

Drums

وهي متنوعة في العالم الإسلامي ، تسمى «الزارب» أو «الدومباك» في إيران و«الدرابكة» أو الطبل في العالم العربي و«الدبليك» في تركيا وتستخدم في الموسيقى الكلاسيكية القديمة والموسيقى الشعبية على السواء ، وهناك الدف أو «الدف» (بكسر اللام) وهو نوع من آلات الايقاع يختلف في الشكل عن الطبول ، وهناك نوع صغير يسمى «رق» ونوع كبير يسمى «بندير» ومنه «التار» اسم «الدف» أو «الدائرة» وفي الصحراء يستعملون «دفا» ذا طبقتين من الجلد بينما في المغرب يستخدمون طبلية ذات طبقتين من الجلد نفسه . والدف يأخذ مكانه في الطقوس الصوفية كالموالد وكذلك «التار» وكلها آلات شعبية بالدرجة الأولى . أما الطبلية ذات الحجم الكبير فتسمى «دافول» في تركيا و«طبلية» في المناطق العربية و«داهال» في فارس وهناك «النقارة» و«الكودوم» و«المسحر» .

تأثير الموسيقى الشرقية في الموسيقى العالمية

بعد أن تعرفنا على الآلات الموسيقية في البلدان الإسلامية ينبغي أن نعرف بعد ذلك مدى تأثير هذه الآلات في الموسيقى العالمية .

ولقد امتدت الثقافة الموسيقية وتداخلت عبر آلاف الأميال حتى إن الإنسان المغربي إذا سافر إلى تركيا واستمع إلى موسيقاها لا يشعر بغربة رغم اختلاف الآلات ذلك أن مراتب النغم والتزيين الصوتي والايقاعات المتداخلة تشابه في البلدان الإسلامية تشابهاً يكاد يكون كاملاً .

في الشرق الأقصى - على سبيل المثال - نجد عدداً من الآلات التي شاركت في الموسيقى الصينية ، فالعود القصير الذي عثر عليه في آسيا الوسطى منذ ألفي عام انتقل في القرن السادس الميلادي إلى الشرق الأقصى وأصبح يسمى «بيبا» ، ومن الصين إلى اليابان وكوريا وبنفس الطريقة ، وصلت آلات النفخ الطويلة والأوبوا وكل الوترية مثل «الأرهو» الذي يشبه العود الطويل «أو سان هسين Sanhsien» كما يطلقون عليه في الصين «شاميزين» Shamisen كما يسمونه في اليابان «شانز» كما يقولون عنه في موجوليا . . وفيما بعد بنى الصينيون - «السنتور» الفارسي «كفانون أجنبي» يقابل «القانون» الطويل في هذه البلاد . . وأصبح يسمى «يانج تشي إن» Yany ch, in وأصبح آلة شائعة شاعت أيضاً في أوروبا في العصور الوسطى وحتى القرن الثامن عشر .

وإذا كان الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا مدينتين للآلات الموسيقية في البلدان الإسلامية فقد دانت أوروبا لها وبشكل أكبر سواء فيما يختص بالأسلوب الموسيقي أو بالآلات الموسيقية ذلك أن معظم الآلات الأوروبية جاءت من شمالي إفريقيا والشرق الأوسط . ولكن أحداثاً تاريخية ثلاثة كانت هي السبب في ذلك ، الحدث الأول : هو فتح العرب للأندلس وبقيتهم فيها من أوائل القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر الميلادي حيث شكلوا مركزاً إشعاعياً لأوروبا على مدى قرون عديدة في كل من قرطبة وغرناطة وتوليدو ، أما الحدث الثاني : فهو الحروب الصليبية التي أدت في مجال الموسيقى إلى اكتشاف العود الذي صنع من العود الأوروبي كما صنعت الريكا Rebec من الرباب الأندلسي . . وعن طريق الرباب العربية ظهرت الفيولينية الأوروبية - الكمان - ومن «النقارة» والطبلية جاءت «التامبورنية» الأوروبية وكذلك وصلت آلات النفخ إلى أوروبا مع العائدين من الحروب الصليبية .

وفي القرن السادس عشر الميلادي جاء الحدث التاريخي الثالث حين ساد الأتراك المناطق البلقانية فجلبوا معهم الأسلوب الموسيقي القائم على المقامات وسلسلة الايقاعات المتصلة التي استمرت شائعة حتى في بلاد اليونان وبلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا . . ونذكر منها «الزورنا» التركية - الأبوا - والطبلية التركية الضخمة ذات الطبقتين من الجلد «الدافول» وهي تستخدم في المناسبات والأعياد وخاصة حفلات الزواج . . وكذلك تدين أوروبا للآلات الموسيقية في العالم الإسلامي بموسيقى القرب ، التي عرفت في المجر باسم «السيمبالوم» ، وعرفت في بلغاريا باسم «الكافال» ، وعرفت في ألبانيا باسم «الكلارينيت المزدوجة» . أما الموسيقى العسكرية الأوروبية فقد أخذت عن آلات البلاد الإسلامية وخاصة بلاد الشرق الأوسط . . حتى أن المارش التركي برغم أنه مأخوذ من مقطوعة بيتوفن «خراب أثينا» إلا أنه متأثر تأثيراً كبيراً بالموسيقى في العالم الإسلامي . وإلى جانب بيتوفن تأثر موتسارت في عدد من سوناتاته بهذه الموسيقى .

تلك الموسيقى التي ساهمت بآلاتها القديمة والمستحدثة في التأثير تأثيراً واضحاً على الموسيقى الأوروبية المختلفة بحيث بقيت في صميمها وجذورها .

الصحافة الإسلامية

حاضرًا
..... ومستقبلاً

وفي هذه المرحلة ظهرت بواكير العمل الصحافي ممثلة في جهود بعض المخلصين على رأسهم الأستاذ «محمد فريد وجدي» الذي أنشأ في عام ١٩٠٧م جريدة خاصة به تحمل اسماً «اعلامياً» وشعبياً وهو «الدستور» وكان هو صاحبها ورئيس تحريرها ولا يعاونه على اداء مهمته فيها الا الاستاذ عباس محمود العقاد رحمهما الله.

وكانت جريدة الدستور تضع تحت «اسمها» الكبير لافتة صغيرة تبين انها لسان حال الجامعة الاسلامية وقد رفض فريد وجدي - رحمه الله - ان ينزع هذه اللافتة الصغيرة تحت كل الضغوط والاغراءات رفض وترك جريدته الحبيبة لديه «الدستور» تعاني امراض الاحتضار. ولم تمض اسابيع حتى كان يبيع كته بثمان يضاع ثمن وزنها من الورق ليؤدي مرتبات موظفي الجريدة وعملها..

وكان هذا حال واحدة من بواكير الصحف التي اتخذت «الخط الاسلامي» سياسة لها تسير عليه وتدعو اليه.

ولم ييأس المرحوم «محمد فريد وجدي» من العمل الصحافي الاسلامي فعمل في مجلة «نور الاسلام» التي تطورت واصبحت «الازهر» المعروفة بيننا اليوم، كما كتب في «الاهرام» وفي «الجهاد» وفي غيرها.

ونستطيع ان نقول مطمئنين ان الصحافة في مصر ولبنان كانت أسبق الى الظهور من الصحافة في غيرها من بلدان العالم العربي وبالتالي فظهور الصحافة الاسلامية في العالم العربي لا يزيد عمره الحقيقي عن سبعة عقود تقريباً، أما تطوره وبروزه بوضوح وجلاء فلعل عمره لا يزيد عن ربع قرن من الزمان.

مفهوم الصحافة الاسلامية

يرى بعض الكتاب أن «الصحافة الاسلامية» تعني تلك الجريدة او المجلة او الدورية التي تضع «شارة الاسلام» اسماً لها وتلتزم بالخط الاسلامي منهجاً وهدفاً.

ويرى اخرون - وهم كثيرون - ان الصحافة الاسلامية هي التي تلتزم بالخط الاسلامي منهجاً وهدفاً حتى ولو لم تضع شارة الاسلام أو تضع كلمة تدور حول معنى اسلامي او هيئة اسلامية.. لأن العبرة بالمضمون لا بالشكل.

والحقيقة ان هذا ليس جوهر الخلاف بل الخلاف الحقيقي الذي نثيره هنا ونريد هنا ونريد أن نهتبل هذه الفرصة لتوضيحه، هو «ماذا نعني بكلمتي صحافة واسلامية»؟

بقلم : د. عبد الحميد عويس

مصطلح «الصحافة الاسلامية» مصطلح حديث الاستعمال بالنسبة لنشأة الصحافة في العالم الاسلامي والعربي. والسبب في ذلك أن نشأة الصحافة في العالم العربي، وتطورها ايضاً، قد ارتبطا بأمرين:

١ - بظروف سياسية يتحكم في مسيرتها الاستعمار الصليبي ويستغل فيما يستغل «العملية التربوية والتثقيفية».. وبالتالي يوجه ادوات الاعلام والتثقيف الى غاياته التي تنهي الى تكريس وجوده والى افقاد الأمة الاسلامية - والوطن العربي من بينها - الشخصية الحضارية والاصالة الذاتية..

ولما كان الاسلام هو دعامة هذه الشخصية فقد كان ابعاده عن مجالات التوجيه - ومن بينها بل وعلى رأسها الصحافة - أمراً مفروغاً منه في التخطيط الاستعماري.

٢ - وأيضاً فقد ادى هذا الى أن النهضة الصحافية بل النشأة الصحافية قد قامت على أيدي اناس ليسوا من المسلمين في جملتهم ولم يشد عن هؤلاء من الذين عملوا في الصحافة - في مرحلة النشأة الا قليلون تاهت اصواتهم وسط اصوات الكثرة التي تقف وراءها القوى الاستعمارية بكل عونها المادي والادبي، وبكل خبرتها الطويلة في فن الاعلام.

الصحافة الإسلامية المعاصرة

توجد في العالم الإسلامي الآن عشرات الصحف التي تتخذ من «كلمة الإسلام» وما يدور في فلكها - خطأً واضحاً لها.. وثمة صحف «ذات خط إسلامي» وإن لم تضع كلمة الإسلام عنواناً لها. ومن هذه الصحف المعروفة «المجتمع والبلاغ» في الكويت، و«الشهاب» في لبنان و«أردو دايجست» في باكستان و«المعرفة» في تونس و«الاصالة» في الجزائر و«الجمعية الأسبوعية» في الهند وغيرها.

وهناك صحف أخرى تضع كلمة الإسلام شارة لها إلا أنها من وجهة النظر الإسلامية الجماهيرية تعبر عن «فئات» أو نظم أو اتجاهات سياسية رسمية وهذه الصحف أو المجلات معروفة ولنا في حاجة إلى ذكرها كما أن هذه الصحف ليست مناط بحثنا.. فالعبرة - عند دراسة أية ظاهرة - بمضمون الظاهرة حيث يوجد.. وليس بشكلها الذي يزعم البعض أنه يضم ذلك المضمون المفترى عليه.

وثمة صحف أخرى هي التي تنظم الساحة الإسلامية أو العربية وتحمل كلمة الإسلام راية لها وتعمل - مخلصاً - على أن تكون صوت الإسلام المدافع عنه.. ومن هذه الصحف:-

«* في مصر» الدعوة والاعتصام ولواء الإسلام والازهر والهدى النبوي والتوحيد والإسلام ونور الإسلام..»

«* وفي سوريا» حضارة الإسلام»

«* وفي العراق» التربية الإسلامية»

«* وفي الجزائر» الاصاله»

«* وفي لبنان» الفكر الإسلامي والشهاب» وقد توقف صدورهما في الحرب اللبنانية ثم عادت الأولى إلى الظهور.

«* ولا توجد مجلة إسلامية تعبر عن الفلسطينيين.

«* وفي المغرب» الوعد الحق والاعتصام المغربية والإيمان المغربية».

«* وفي الكويت» المجتمع والبلاغ والوعي الإسلامي».

«* وفي السعودية» الدعوة والتضامن الإسلامي والرابطة الإسلامية وأخبار العالم الإسلامي والبحوث العلمية»^(١)

«* وفي الإمارات العربية» منار الإسلام».

«* وفي عمان» الوحي».

«* وفي تونس» جوهر الإسلام والمعرفة».

«* وفي مناطق أخرى من العالم تصدر بعض الصحف

في المفهوم الغالب أن كلمة «صحافة إسلامية» تعني مجلة أو جريدة أو دورية تدعو إلى الإسلام بأسلوب تقريرى.. وكأنها مجلة «إعلانات».. وهذا المفهوم في الحقيقة يقضي على «أسس الصحافة» كفن ويجعلها منبراً خطابياً يلتزم الأسلوب نفسه الذي يلتزمه خطيب المسجد مع أنه من الضروري بمكان أن يكون هناك فروق بين الدعوة إلى القيم وعلاج المشكلات في المسجد.. والدعوة وعلاجها عن طريق الصحافة أو عن طريق أي فن من الفنون.

وتوضيح ذلك أننا لا نغمت المسجد حقّه ولا نغيب على خطيبه أسلوبه المباشر التقريرى الواضح - بل هو أسلوب ضرورى ومهم جداً. وكل ما هنالك أن النفس البشرية ومثلها العقل الإنسانى، كائنات معقدان قد لا يصلح معها أحياناً الأسلوب التقريرى الحاسم، وقد يحتاجان في كثير من الأحيان إلى أسلوب في العرض وطريقة في الحوار والافتتاح غير الطريقة المباشرة أو الطريقة الحاسمة التي تفرض الإيمان المطلق والتسليم البديهي.

ففي رأينا أن «الصحافة الإسلامية» ليس شرطاً أن تضع «لافتة» تبين خطتها الفكرى الواضح وليس شرطاً كذلك أن تقيد نفسها «بأسلوب تقريرى» قد يكون منفراً أو إعلامياً وليس شرطاً أيضاً أن تلتزم في عملها بشكل معين أو قضايا معينة.. وإنما يجب عليها أن تتوافر فيها الإيجديات والأساسيات التالية:-

١ - أن لا تحمل لافتة تتناقض مع أساسية في التصور الإسلامى أو أساسية في الفكر الإسلامى العام.

٢ - أن تلتزم تدعيم القيم الإسلامية وتعاطف مع قضايا المسلمين ولا تنتمي لأعدائهم تصوراً أو أهدافاً.

٣ - أن تلتزم الشروط الإسلامية في الأعمال الفنية فلا تعلى من الشكل على حساب المضمون ولا تبجح - بالتالي - الصور العارية ولا «الكذب الصحافى» ولا «الاثارة» دون فائدة ولا تعطيل الناس واستغلال أحوالهم وأوقاتهم بلا مقابل.

وفي إطار ذلك كله تستطيع أن تتحرك أية جريدة أو مجلة دون أية قيود أخرى.. واثقة من أن كل كلمة وضيفة صادقة وكل توجيه سياسى أو اجتماعى يعتمد القصة أو الرسم أو المقالة أو التحليل الإخبارى أو التعليق على الأحداث أو ما سوى ذلك هو من باب «الصحافة الإسلامية» فالإسلام «صياغة للحياة» وليس «كهنة لا هوتيا» أو «ديرا للزاهدين أو الفاشلين» بل هو حضارة كاملة تستوعب كل أنشطة الحياة التي تدعم الخير والمعروف بمعناها الكبير الفسيح.

بعضها يظهر فيه ضعف الامكانيات مثل «الغرباء» وبعضها دوري مثل «اصواء الشريعة» وبعضها يعبر عن نزعة مذهبية باللغة الضيق ولا تكاد تنظر الى العالم الاسلامي ومشكلاته ولا الى الاسلام نفسه بعين مجردة بل بعين طائفية حزبية ضيقة.. ولا حاجة بنا هنا لتتبع مثل هذه المجالات.

وحسبنا ان نرصد من هذا العدد - الذي قدمناه كنموذج ومثال - بعض الظواهر التي تستحق التسجيل بالنسبة لواقع الصحافة الاسلامية:-

١ - ان الصحافة الاسلامية تكاد تكون معدومة في بعض بلدان العالم العربي.

٢ - ان هذه الصحافة - في مجملها - كتخلفة اعلاميا - على الاقل - عن الصحافة الأخرى التي لا تضع شارة «الاسلامية» عنوانا لها.

٣ - انه من بين هذه الصحف لا تصدر صحيفة واحدة (يومية) تحمل شعار الاسلام او منهجه وهذا يعني ان «الصحافة الاخبارية» غير موجودة.. اذ ان الجريدة أو المجلة الاسبوعية فضلا عن الشهرية لا تستطيع اطلاقاً ملاحقة الحدث الاخباري في عصر الاذاعة والتلفاز ووكالات الانباء والتليفون و«التللكس».

٤ - ان هذه الصحافة - بالتالي - صحافة رأي تتجه اكثر مما تنهج الى التلقين المباشر والمنطلق من الفكر اكثر مما تنطلق من الواقع الذي يلتمس العلاج من الفكر كما يلتمس الاستهداء بضوئه.

٥ - ومن البديهي ان هذه الصحافة لا رابط بينها ولا تخطيط يجمعها بل لا يوجد تصور عام (اسلامي وعصري) يفود خطواتها.

٦ - وهي في اغلبها - جهود فردية او صحافة حكومية ملتزمة او تصدر عن جمعيات.

٧ - ولنا ان نتخيل ان تلك الصحف - في مجملها - قليلة الاعداد قليلة التوزيع والانتشار قليلة الاسهام في توجيه الرأي العام. وذلك بالطبع - باستثناء صحف تعد على اصابع اليد الواحدة.

مستقبل الصحافة الاسلامية

ان من الصعب ان نطالب هذه الصحف بأن ينتظمها تخطيط واحد فذلك مطلب عاطفي لا يقدم جديداً. ومن الصعب كذلك أن نطالب هذه الصحف بأن تكون اكثر عصرية واكثر فنية وأكثر وعياً بأساليب العمل الصحافي المعاصر ومن الصعب كذلك ان نقول لهذه الصحف ان العمل الصحافي في العصر

يحتاج لامكانيات فنية والى مناخ شورى «ديمقراطي» والى «امكانيات مادية» لكي يدخل حلبة السباق على التأثير في الرأي العام واحتوائه.

فعلى الرغم من مشروعية واهمية كل هذه المطالب الا انه ليس من المستساغ ان نطالب بما لا يستطاع - في المرحلة الحالية - على الأقل.

لكننا - الى جانب ضرورة التنبيه بالحاح شديد على المطالب السابقة - نرى في البداية ضرورة تحقيق الحد الأدنى من أساسيات العمل في هذه الصحف العاملة بهدف خدمة القضية الاسلامية.

ورقة عمل

وهذا الحد الأدنى يتركز في النقاط التالية نتقدم بها كورقة عمل قابلة للقبول والرفض - والحوار - لكي نصل بهذه الصحافة الى التقدم المنشود.

أولاً: تغيير مفهوم تصورنا لكلمة الاسلامية بحيث ينسج هذا التصور ليشمل اكثر من صورة تعبيرية ولكي يؤمن بضرورة العمل الاجتماعي والاقتصادي والفكري من خلال المشاركة في كل أنشطة الحياة الايجابية والبناء وكل ما ينضوي تحت هذا التصور الفسيح يكون عملاً اسلامياً سواء حقق غرضه بالمقالة المباشرة او بالرسم الكاريكاتوري او بالصورة الطبيعية او بالفن او الرواية المسلسلة او التحليل الاخباري او ما سوى ذلك.

ثانياً: العمل على افناع احدى الحكومات الاسلامية بانشاء صحيفة يومية اسلامية تسد الفراغ في الخير الذي تنفرد به وكالات الانباء اليهودية والصحف اليهودية.. وبديهي أن المطالبة بانشاء وكالة انباء اسلامية امر مهم لانجاح مثل هذه الصحيفة وغيرها.

ثالثاً: العمل على تقديم «البديل» بحيث لا يكون العمل الصحافي الاسلامي مقصوراً على رفض ما يندمه الآخرون والدخول في معارك معهم وانما ينسج ليشمل تقديم البدائل وعلى سبيل المثال بدلا من ان نكتفي بنقد «السفور» علينا تقديم نماذج «الملايس» متعددة الاذواق تدور كلها في فلك الحفاظ على «الحجاب» وبدلاً من سب المنتدريين - بالصورة أو الكلمة من بعض الاوضاع الاسلامية نفوم نحن بتقديم «النكته» بالكلمة او الصورة من الاوضاع المنحلة والمنفسخة في المجتمع. وهكذا بالبحث والمقالة.. يكون التركيز على تقديم البديل.

رابعاً: لا بد من النزول الى الناس - صحافيا - والتعرف على مشكلاتهم ومعرفة احتياجاتهم وميولهم ومحاولة صبغها صبغة اسلامية لجذبهم اليها بدل ان نجذبهم صحف «العمال» أو الفلاحين أو الصحافة العلمانية أو الماركسية الأخرى الى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم وهي ابعد ما تكون عن ذلك كله.

خامساً: الاهتمام بالطفل والمرأة في هذه الصحافة اذ انهما يتدور وكأنا لا نكلم الا الشيوخ، والا قلبلا من الشبان المؤمنين اساسا بالفكرة الاسلامية.. فكأننا نكلم نفسها في كثير من الاحابين.. والاقتراحات كثيرة.. لكننا هنا نقدم هذه المقالة بداية لدراسة اوسع وحوار نرجو ان يكون كبيراً.. وهادفاً.. وشاملاً.. انها مجرد «ورقة عمل» وكفى.

الصحافة الإسلامية المعاصرة

توجد في العالم الإسلامي الآن عشرات الصحف التي تتخذ من «كلمة الإسلام» وما يدور في فلكها - خطأ واضحاً لها.. وثمة صحف «ذات خط إسلامي» وان لم تضع كلمة الإسلام عنواناً لها. ومن هذه الصحف المعروفة «المجتمع والبلاغ» في الكويت، و«الشهاب» في لبنان و«أردو دايجست» في باكستان و«المعرفة» في تونس و«الاصالة» في الجزائر و«الجمعية الأسبوعية» في الهند وغيرها.

وهناك صحف أخرى تضع كلمة الإسلام شارة لها إلا أنها من وجهة النظر الإسلامية الجماهيرية تعبر عن «فئات» أو نظم أو اتجاهات سياسية رسمية وهذه الصحف أو المجلات معروفة ولنا في حاجة إلى ذكرها كما أن هذه الصحف ليست منطاب بحثنا.. فالعبرة - عند دراسة أية ظاهرة - بمضمون الظاهرة حيث يوجد.. وليس بشكلها الذي يزعم البعض أنه يضم ذلك المضمون المفترى عليه.

وثمة صحف أخرى هي التي تنتظم الساحة الإسلامية أو العربية وتحمل كلمة الإسلام راية لها وتعمل - مخلصاً - على أن تكون صوت الإسلام المدافع عنه.. ومن هذه الصحف:-

«* في مصر» الدعوة والاعتصام ولواء الإسلام والازهر والهدى النبوي والتوحيد والإسلام ونور الإسلام..»

«* وفي سوريا» حضارة الإسلام»

«* وفي العراق» التربية الإسلامية»

«* وفي الجزائر» الاصاله»

«* وفي لبنان» الفكر الإسلامي والشهاب» وقد توقف صدورهما في الحرب اللبنانية ثم عادت الأولى إلى الظهور.

«* ولا توجد مجلة إسلامية تعبر عن الفلسطينيين.

«* وفي المغرب» الوعد الحق والاعتصام المغربية والإيمان المغربية».

«* وفي الكويت» المجتمع والبلاغ والوعي الإسلامي».

«* وفي السعودية» الدعوة والتضامن الإسلامي والرابطة الإسلامية وأخبار العالم الإسلامي والبحوث العلمية»^(١)

«* وفي الإمارات العربية» منار الإسلام».

«* وفي عمان» الوحي».

«* وفي تونس» جواهر الإسلام والمعرفة».

«* وفي مناطق أخرى من العالم تصدر بعض الصحف

في المفهوم الغالب أن كلمة «صحافة إسلامية» تعني مجلة أو جريدة أو دورية تدعو إلى الإسلام بأسلوب تقريرى.. وكأنها مجلة «إعلانات».. وهذا المفهوم في الحقيقة يقضي على «أسس الصحافة» كفن ويجعلها منبراً خطابياً يلتزم الأسلوب نفسه الذي يلتزمه خطيب المسجد مع أنه من الضروري بمكان أن يكون هناك فروق بين الدعوة إلى القيم وعلاج المشكلات في المسجد.. والدعوة وعلاجها عن طريق الصحافة أو عن طريق أي فن من الفنون.

وتوضيح ذلك أننا لا نغمت المسجد حقته ولا نغيب على خطيبه أسلوبه المباشر التقريرى الواضح - بل هو أسلوب ضرورى ومهم جداً. وكل ما هنالك أن النفس البشرية ومثلها العقل الإنسانى، كائنات معقدان قد لا يصلح معها أحياناً الأسلوب التقريرى الحاسم، وقد يحتاجان في كثير من الأحيان إلى أسلوب في العرض وطريقة في الحوار والإقناع غير الطريقة المباشرة أو الطريقة الحاسمة التي تفترض الإيمان المطلق والتسليم البديهي.

ففي رأينا أن «الصحافة الإسلامية» ليس شرطاً أن تضع «لافتة» تبين خطتها الفكرى الواضح وليس شرطاً كذلك أن تقيد نفسها «بأسلوب تقريرى» قد يكون منفراً أو إعلامياً وليس شرطاً أيضاً أن تلتزم في عملها بشكل معين أو قضايا معينة.. وإنما يجب عليها أن تتوافر فيها الإيجديات والأساسيات التالية:-

١ - أن لا تحمل لافتة تتناقض مع أساسية في التصور الإسلامى أو أساسية في الفكر الإسلامى العام.

٢ - أن تلتزم تدعيم القيم الإسلامية وتتعاطف مع قضايا المسلمين ولا تنتمي لأعدائهم تصوراً أو أهدافاً.

٣ - أن تلتزم الشروط الإسلامية في الأعمال الفنية فلا تعلى من الشكل على حساب المضمون ولا تبجح - بالتالي - الصور العارية ولا «الكذب الصحافى» ولا «الاثارة» دون فائدة ولا تعطيل الناس واستغلال أموالهم وأوقاتهم بلا مقابل.

وفي إطار ذلك كله تستطيع أن تتحرك أية جريدة أو مجلة دون أية قيود أخرى.. واثقة من أن كل كلمة وضيئة صادقة وكل توجيه سياسى أو اجتماعى يعتمد القصة أو الرسم أو المقالة أو التحليل الإخبارى أو التعليق على الأحداث أو ما سوى ذلك هو من باب «الصحافة الإسلامية» فالإسلام «صياغة للحياة» وليس «كهنة لا هوتيا» أو «ديرا للزاهدين أو الفاشلين» بل هو حضارة كاملة تستوعب كل أنشطة الحياة التي تدعم الخير والمعروف بمعناهما الكبير الفسيح.



وقد أشرف على إعداد هذه الرسالة رائد الأسلوب السوري ، أول أستاذ جامعي فرنسي معروف برقة أسلوبه في السوربون ، (البروفيسور شارل دي دياه) مع (بيير مورو) أحد كبار المفكرين الفرنسيين المجتهدين في مجال الفكر الاجتماعي ، وذلك إلى جانب مشرف ثالث هو جورج جورفيتش ، الذي كان يشغل ، حتى وفاته ، منصب رئيس المؤتمر الدولي لعلماء الاجتماع .

بعد هذا كانت للدكتور رشدي فكار علاقة بجامعة جنيف فتابع فيها أبحاث الأستاذية ، وحصل منها في عام ١٩٦٧ م ، على درجة دكتوراه ثانية في موضوع (النظرية الاجتماعية المعاصرة) . نخلص من كل ذلك إلى أن تخصصات الدكتور رشدي فكار تدور حول النظرية الاجتماعية العامة بما في ذلك أصول المدارس والاتجاهات النظرية المختلفة .

وقد عمل الدكتور رشدي فكار بالتدريس في بعض الجامعات الأوروبية وبالذات في سويسرا ، أيضاً اشتغل محاضراً ومكلفاً بالأبحاث في السوربون ، إلا أنه استقر في المملكة المغربية حيث عمل بالمغرب في إطار نشاط منظمة اليونسكو الدولية كخبير دولة لتدريس علم الاجتماع ولتأسيس معهد الاجتماع بجامعة محمد الخامس التابع أيضاً لجامعة نيو شادل .

وقد أعجب الدكتور رشدي فكار بالمملكة المغربية ، وسماحة أهلها وشعر أنه يعيش بين أهله فيها فعاد إليها مرة أخرى بعد أن انتهى عمله مع اليونسكو ، عاد إلى المغرب أستاذاً بجامعة محمد الخامس التي يعمل فيها حتى الآن إلى جانب عمله كأستاذ زائر ببعض الجامعات المغربية الأخرى ، وبعض الجامعات العربية والأوروبية .

وفي عام ١٩٧٣ م ، انتخب الدكتور رشدي فكار عضواً مشاركاً في الأكاديمية الفرنسية لعلوم ما وراء البحار . وهي الأكاديمية التي ينتمي إليها الرئيس سنجور ، وشارل حلو رئيس لبنان الأسبق . وبعد ذلك انتخب الدكتور رشدي فكار عضواً بالهيئة العالمية للكتاب بالفرنسية (الأدلف) . . . وبعدها أصبح عضواً بجمعية (سترندبرج) بالسويد . وذلك لأنه قام بعمل عدد من الدراسات عن هذا الكاتب المسرحي والناقد السويدي - العالمي (أوجست سترندبرج) .

وفي القاهرة قابلت الدكتور رشدي فكار ، وهو في طريقه من المغرب إلى الأردن لإلقاء بعض المحاضرات هناك بدعوة من الحكومة الأردنية ، ودار بيننا هذا الحوار :



سترندبرج . . كاتباً مسرحياً وناقداً

(سترندبرج) وهي دراسات منشورة في المغرب وفرنسا وقد تعرفت في دراساتي عن (سترندبرج) لجانب آخر فيه وهو . . نزاهته .

●● لكن هل كان (سترندبرج) مجنوناً فعلاً كما قال عنه البعض ؟

○ (سترندبرج) في رأبي كان فناناً ظرفي النزعة . وكان صادقاً جداً مع نفسه ، ولو أدى ذلك إلى لفظ الآخرين له . لقد كان صادقاً دائماً . وهذا الصدق هو الذي وضعه في إطار من المعاناة الطويلة وعدم القدرة على التكيف مع جو النفاق المحيط به . ومن هنا كان تركيز (سترندبرج) في مسرحياته منصّباً على الباطنيات مثل الغش ، والنفاق ، والخداع .

وقد قُت بتحليل بعض أعماله مثل : (ابن الخادمة) و (الغرفة

●● في البداية قلت للدكتور رشدي فكار : ما دمت عضواً بجمعية (سترندبرج) وما دمت قد قُت بكتابة الدراسات عنه . فهل لنا أن نتعرف منك على رأيك فيه ككاتب مسرحي وناقداً ؟

○ لقد ركزت على (سترندبرج) كناقداً اجتماعياً أكثر منه ككاتب مسرحي . وذلك من خلال أعماله لأنه من المعروف أن (سترندبرج) هو أحد رواد المسرح التعبيري (الباطني) .

وفي دراساتي تحدثت عن أثر (سان سيمون) وهو رائد الفكر الفرنسي الاجتماعي وأحد رواد الفكر في العصر الحديث ، و (جان جاك روسو) على



الخمراء) وفيها تصوير رائع لمعاناة الإنسان ، كما أن فيها افتقاراً من معاناته هو الشخصية ، ذلك لأن والده كان تاجراً ثرياً ، بينما كانت والدته تنتمي إلى عائلة فقيرة .

●● مسرحية (الأب) واحدة من أهم أعمال (سترندبرج) هل ترى أنها تصوير حرفي لعذاباته وآلامه؟

○ إلى حد ما . فأحياناً كان يتصور معاناته ويصورها بطريقة مباشرة وكأنها فيلم واقعي عن حياته هو بدون أي رتوش . بينما نجد في بعض الأحيان إنعكاسات غير مباشرة لهذه المعاناة في أعمال أخرى .

وعموماً (سترندبرج) هو الرجل النزيه مع ذاته ومعروف أيضاً أن (سترندبرج) لم يلاق نجاحاً يذكر في السويد ، بلده ، وهذا ما جعله يترك السويد ، وينزح إلى فرنسا .

وهو رجل غرس كثيراً ، وتعامل كثيراً مع الفشل ، الفشل في الدراسة ، والفشل في تحقيق ذاته ، ونشر فنه ، فحياته كانت مجموعة أو سلسلة متتالية من الفشل . ولكن فشل (سترندبرج) هو الفشل الذي صنع العملاقة الكبار . هو الفشل الذي بؤهل ويمهد أرضية العملاق الذي يواجهه ، ويصنع ذاته من خلال التمرس مع الأحداث ، وتجريب المعاناة ، لا أن يكتفي بوصف معاناة الآخرين من خلال أعماله .

ولذلك تجدني أرفض هؤلاء الذين يصفون من منطق الفكر الصالوني معاناة الجياع .

الأديب .. والمعاناة

●● أفهم من ذلك أنكم ترون أن الأديب أو الفنان يجب أن يتألم ويعاني قبل أن يكتب عن ألم ومعاناة الآخرين ..؟

○ نعم . فالأديب أو الفنان - في رأيي - من الأفضل أن يعكس آلام الغير من خلال احساسه هو بنفس احساسهم هم تجاه هذا الألم ، وذلك حتى يكون أكثر صدقاً في تصويره للواقع الملموس .

الأديب العربي

●● ومن من الأدباء العرب يكتب من واقع معاناة حقيقية . لا من داخل صالونات وأبراج؟

○ كثيرون .. والفكر العربي زاخر بالمفكرين الذين التحموا بالواقع الملموس وحاولوا أن يعبروا عن هذا الواقع ويعكسوه بقدر إمكانهم ، وإمكاناتهم .

وكل مفكر له مميزات خاصة به . ولا بد من أن نكون له خلفية أو نظرة

مسبقة للأمور . غير أن المفكر لا يجب أن يتحرك باستمرار فقط من خلال أفكاره المسبقة التي يفرضها على أي واقع كان ، فهذا ينطلق وبها ينتهي . وأنا أفضل أن تأتي الميئات الخاصة بالكاتب والأفكار المسبقة في نهاية عملية الابداع عنده .

والفنان ما أمكن يجب أن يرتبط بالواقع ويصوره ويعلمه من خلاله هو ويحدد العوامل المهيبة له . ثم في النهاية ينكامل مع ذاته في الوصول إلى النتائج بشرط ألا يجعل الانطباعات الذاتية هي النتائج .

يحاول ما أمكن باستمرار أن يحدد الأمور ويضعها في أوضاعها الصحيحة . ونحن في أشد الحاجة إلى ذلك .

وأنا أعتز بالانتاج الفكري العربي المعاصر ، وفخور بكل من ساهموا فيه وحملوا رايته . والفكر العربي المعاصر أعطى الكثير ولا يملك أحد أن يقلل من قيمة من صنعوه . ولكن يجب ، إذا ما تعاملنا معهم ، أن نضعهم في أماكنهم الحقيقية ، ونحكم عليهم بشكل موضوعي . لا أن نراهم باستمرار بمنظور الأبراج . يجب أن نراهم من منظور وضعيتهم هم ونرى كيف استطاعوا أن يتصرفوا في إطار هذه الوضعية وبأتوا بشيء .



في هذا الموقع الذي أنا فيه الآن . ولكن ربما حضوري وقرسي وممارستي للفكر العالمي وانفتاحي عليه ، وربما وجودي في قلب المعركة وهذا الحضور الجسدي في اللقاءات والجمعيات الأدبية والندوات إلى جانب أنها طبعاً إرادة الله سبحانه وتعالى ومشيتته والتي هي فوق كل شيء وفوق كل إرادة .

وإنني أحس أن الله سبحانه وتعالى قد سهل مهمتي كثيراً . فانا ، والحمد لله ، لم أواجه ككل البشر المأزق ، والعقبات الحائلة والمدمرة ، ولا سيما وأن إقرار ترشيح إنسان لنيل جائزة نوبل هو شيء من الممكن أن يدعو لكثير من الخلافات والمشكلات والمواجهات .

وبهذه المناسبة أحب أن أقول ، بكل موضوعية ، إن قدوتي في سلوكي دائماً كان رسول الله ﷺ . بمعنى أنني دائماً ما أنصوره كلما تكون هنا مواجهة . أنصور دائماً منظر الرسول عليه الصلاة والسلام في (مكة المكرمة) وهو يتحدث لأنه صاحب حق ، ولأنه على حق . ويقول في حديث التحدي قولته الشهيرة :

«والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر أبداً»

لأنه واثق أن الله تعالى معه يؤيده ويؤازره .

وأنا أقول لك ذلك لأنني أرى فيه نموذجاً للسلوك القويم وللقدوة كيف تكون . ونحن لنا في رسول الله ﷺ خير قدوة . قدوة في كيفية المواجهة وهو على حق .

وأنا من أنصار أن نعطي لأبنائنا باستمرار أمثلة من جهاد رسول الله وكيف أن هذا النبي الأمي ، ابن الجزيرة العربية ، حينما أوحى إليه من الله تعالى برسالة خالدة استطاع عن جدارة أن يتحمل عبء توصيل هذه الرسالة .

ومن هذا المنطلق يمكن لأي مسلم أن يفدي برسول الله عليه الصلاة والسلام ، ما دام يرى أنه على حق . وأنه ينتمي إلى حضارة عريقة وأرض مباركة .

فضلاً عن أنه يستخدم في حديثه وفي مواجهته لغة القرآن الكريم ، تلك اللغة القائمة على الحكمة والوعظة الحسنة .

ويستطرد الدكتور رشدي فكار متأثراً :

○ ما أحوجنا الآن ، إذا كنا نعاني من بعض التآزمات ، ما أحوجنا الآن للمنهج الذي غاب عنا . . منهج الإسلام . . ورسول الإسلام .

ومن هنا يعود الدكتور رشدي فكار إلى موضوعنا الأساسي فيقول :

○ لقد أتيت لي الفرصة خلال سنوات طويلة من العمل الأكاديمي

وأنا أرى أنه من غير الصحيح أن نظل نعيش على ذكريات . فكل جيل يلعب دوره . ولا بد أن يعطي الراية للجيل التالي له . وإلا سنتبنى مفهوم التفوق والتعجب ، وبالتالي مفهوم بكائي على الأطلال ، وعدم إعطاء أي نوع من الاشراف والانطلاق للفكر العربي المعاصر .

هذا من زاوية . ومن زاوية أخرى نحن في أشد الحاجة للمفكر الذي لا يطرح قضايا مجردة . ويعتقد أنها هي الواقع . بمعنى أنه حينما يتكلم عن ماضينا وتراثنا العريق فأنا أقضله متمرساً في التراث ، ودارساً له ، متخصصاً فيه . وفي نفس الوقت لا أفضل من يقرأ العناوين وهو لا يعلم بشيء سوى مجموعة من أسماء بعض المفكرين وبعض معالم العصور التاريخية ويختلق منها قضية .

من الأفضل أن يعمق كل منكر معرفته بالتراث بكل أبعاده .

وأرى أنه قد أن الأوان لكي تنبع عملية التحديث أو المعاصرة من تعميق مفكرينا لأرضيتهم التراثية الثقافية واستجوابها ، بعد ذلك ، بموضوعية بعد تعميقهم أيضاً لمعرفتهم بالفكر العالمي المعاصر . عندما يحدث ذلك سنرى التحديث كيف يكون . عندئذ ستأتي قضية التحديث بموضوعية وتلقائية كاملة . ومن هنا كنت دائماً أقول بأن الأصالة تأتي في قبة التحديث . وأن التحديث ينبع من قبة الأصالة ، ذلك لأن المفكر حينما يستوعب جيداً فهو لا يد وأن يضيف ويعطي جديداً من عتدياته . فهو عندما يستوعب أرضيته الفكرية والثقافية الإسلامية العربية ، ويعدها يستوعب ما يحيط به من نظريات ومذاهب . فمن الطبيعي ، بعد ذلك أن يأتي بجديد ويتحدث عن التجديد .

أما التجديد الذي يأتي مبتدأ وخبر ، تماماً كالذين يقولون في جملة : (نحن أصلاء) هو ليس على الإطلاق ، والتجديد عموماً قضية تحتاج إلى ممارسة طويلة وصبر . وصدق الله العظيم حينما قال :

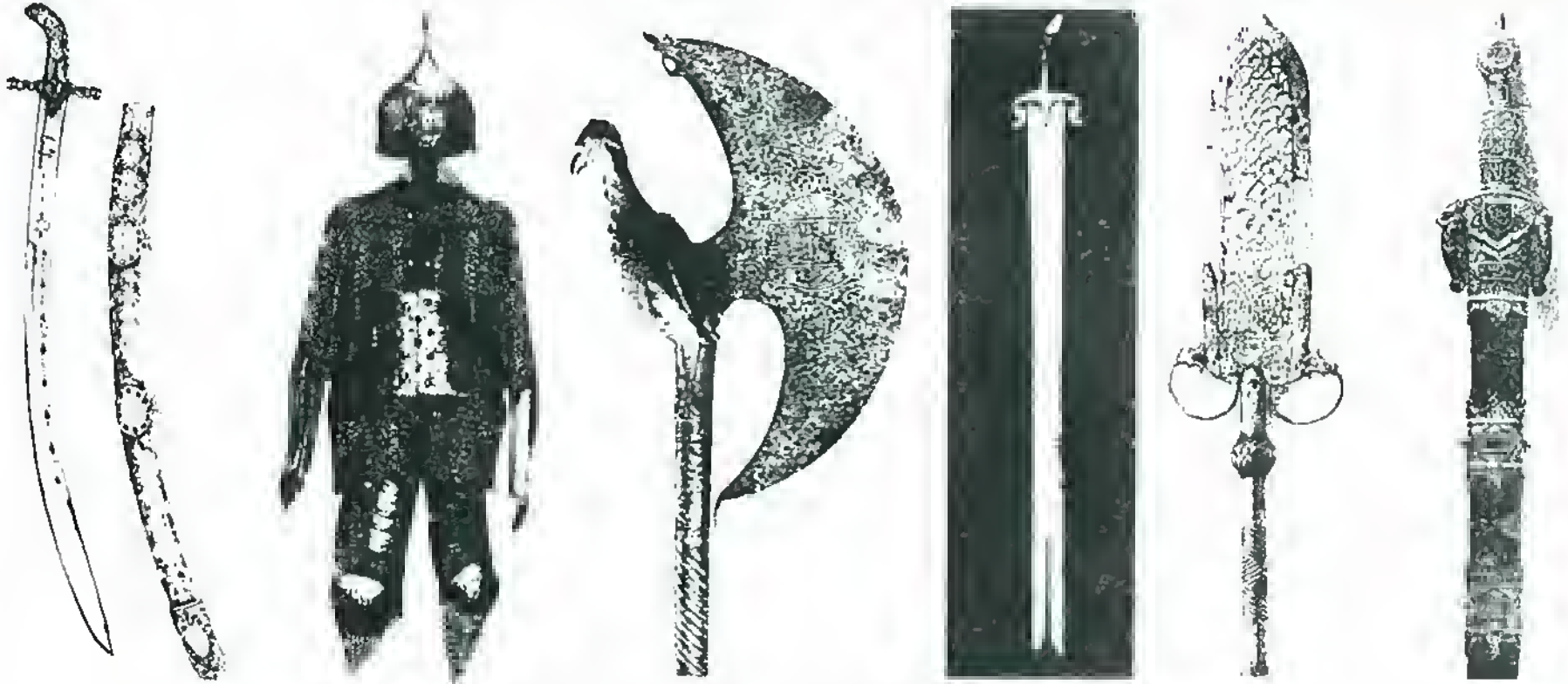
﴿وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر﴾

بمعنى أن الذي يريد أن يبحث عن الحق لا بد وأن يكون صابراً ، وما من صبر إلا ومعه حق . وما من حق إلا ومعه صبر . . .

الترشيح للجائزة . . والجدارة

●● بعد أن قلت إنه قد أقر ترشيحك لجائزة نوبل في الأدب . هل ترى فعلاً أنك خير من يستحق الترشيح لنيل هذه الجائزة العالمية ؟

○ ربما أجد أن كثيرين من المفكرين في العالم العربي غيري يستحقون الترشيح لنيل هذه الجائزة عن جدارة . وربما أجد كثيرين يستحقون أن يكونوا



★ بعض الأشكال من الأسلحة والخوذات والدروع الإسلامية القديمة التي كانت تستخدم في الحروب ★

للأمة الإسلامية : الغزالي ، والأئمة ، والمعتزلة ؟ وابن رشد ،
والفارابي ، وابن سينا ، وابن خلدون ، هذه الأرض المباركة كفيلا
بأن تنجب لنا أضرابهم ، وعلينا فقط أن نعرف كيف نذيب المعوقات والحواجز
ونتحرك بدون عقد .

العالمية والمحلية في الأدب

● وأسأل الدكتور رشدي فكار : موضوع إقرار ترشيحك
لنيل جائزة نوبل العالمية في الأدب يثير في الأذهان ، من جديد ،
قضية قديمة طالما تحدث فيها الأدباء والنقاد . ونود أن نتعرف
على وجهة نظرك فيها .. ألا وهي قضية المحلية والعالمية ؟
○ في تصوري هناك معايير متعددة تحدد موضوع المحلية والعالمية والأدب
المحلي والأدب العالمي .

هناك معايير شخصية ، وهناك معايير أخرى موضوعية ، هناك من يرى
المحلية والعالمية بمعايير ذاتية ، من زاويته هو ، فيرى أن قة العطاء العالمي إنما
هو أن يجدد في أرضية المحلية وهذه رؤية ذاتية .

وهناك مفكر آخر عالمي ليست لديه رؤية محلية أو إقليمية يستبعد تماماً
المساهمة المحلية . ويرى أنه - بالعكس - لا بد وأن يفكر على المستوى الإنساني
الرحب في كل مكان وزمان .

وأنا في تصوري أن هذه كلها معايير شخصية . أما المعايير الموضوعية فهي
تكن في أن المفكر ليس هو الذي يحدد حدود ومعال المحلية والعالمية . ولكن ..
مجرد أن يصيح فكره هو قادراً على الاشعاع .. وبمجرد أن يمتلك
القدرة على تجاوز حدود ذاته سواء أكانت تلك الفكرة منطلقة

والجامعي لأسهم لا في هامشيات الفكر العالمي ، وإنما أسهم في عمق الفكر
العالمي وجذوره والتي تقوده الآن ، الحضارة الغربية ، ونحن يجب أن نعترف
بذلك ، فالحضارة الغربية ، بمختلف اتجاهاتها ، وللأسف ، هي التي تشكل
الفكر العالمي ، وذلك إلى أن يأتي الوقت الذي نستطيع نحن أن نشارك فيه
بمضارنا المشاركة الفعالة .

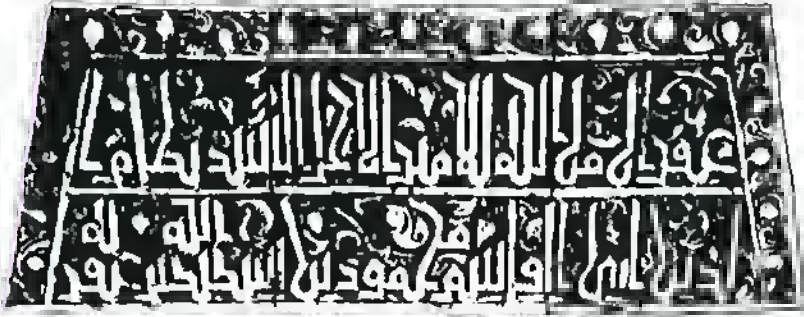
وأنا أقول إنني لم أذهب للغرب لآكون هامشياً ، وإنما تصدّيت لعمق هذه
النظريات ، وسأمت فيها . ويتضح ذلك في أحد مؤلفاتي (أزمة الحضارة)
الذي أصدرته في خمسة مجلدات مع بعض أعضاء الأكاديمية الفرنسية .
نعم أنا ابن قرية عربية مسلمة له الحق في أن يأخذ مكانه تحت
الشمس وتحت الأضواء أيضاً !..

وأنا الآن بعد أن أقر ترشيحي لنيل جائزة نوبل في الأدب تساندني على
سبيل المثال لا الحصر ، تركيات ومساهمات من الهيئته العالمية للكتاب
بالفرنسية ، والتي تشرف على ٢٦ جمعية فكرية وثقافية وفنية في العالم الناطق
بالفرنسية . هذا إلى جانب تركية الأكاديمية الفرنسية وشعبة علوم ما وراء
البحار وإنني أعتز كثيراً بمساندة جامعة (جنيف) ، والتي تعتبر من أعرق
خمس جامعات في العالم .

أيضاً أعتز بتركيات ومباركات المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم ومجمع البحوث الإسلامية ، الذي قدر مجهودي في الفكر
الإسلامي من خلال كتابي بالفرنسية (تأملات في الإسلام) .

وقد أقر ترشيحي منذ ٣ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٦ م ، لدى
الأكاديمية السويدية .

فالقضية ليست قضية غيبة الأهلية والكفاءة وغيبة القدرة بقدر ما هي كثرة
العواقب والحواجز والمعوقات . بمعنى أن الأرض العربية المباركة التي أخرجت



★ نقوش وزخرفة قديمة - القرن الرابع الهجري ★



★ التطوير في الخط العربي ★



★ عازبان إسلاميان من القرن الخامس الهجري ★

أقل ، لأنه أساساً ضارب في قة المضاربة (يقصد الدكتور بذلك أن الفكر ضارب في قة المضاربة) ضارب وحاول ، كما يقول المثل ، أن يبيع الماء في سوق (حارة) السقاين ! وهذا بلا شك طريق أذكى وأسرع . ومن هذه الزاوية فأنا أتصور أن الفكر العربي المعاصر يمكن أن تتوافر له خصائص العالمية ولكن لا ليقولها فرد . يقول أو يعلن إن لدينا خصائص العالمية في أدبنا . لا ، يجب أن تمارس وتعيش هذه العالمية . . وهذه أصلاً ، هي المشكلة ولا بد من لمس العالمية في أدبنا العربي .

اللغة العربية

●● وهل تقف اللغة العربية حائلاً دون وصول أدبنا العربي إلى إطار الأدب العالمي ؟

○ أنا لا أرى أن اللغة دخل . واللغة العربية ليست هي المشكلة ، فالمشكلة أساساً هي مشكلة الجوهر . وأنا متأكد من أنه من الممكن لو أن الفكر العربي المعاصر أعطى (جواهر ثمينة) أو أعطى (إيسانوس عطر) ماهيته الفكرية قوية ، من الممكن أن يكون ذلك عاملاً من عوامل نشر اللغة العربية .

لو أعطى الأدب العربي ذلك فسيبدأ الإنسان الغربي في الاتجاه نحو اللغة العربية كما انجذب البعض إلى اللغة الإسبانية واتجه البعض الآخر إلى اللغة الألمانية . ومساهمات بعض المفكرين الألمان خلال القرنين الثامن والتاسع عشر جعلت الفكر الألماني فكراً عالمياً . . وجعلت بعض الناس يصرون على تعشق هذا الفكر .

من إقليمية أو محلية أو إنسانية . أعني أننا لدينا في النهاية نوعيات مختلفة من الأرضيات ، ولكن العالمية في النهاية هي هي .

هناك من ينطلق من تصوير الواقع . . ولكن هل يقول : بما أنني صورت داخلي فقد أصبحت مفكراً عالمياً ؟

لا طبعاً . حتى يصبح مفكراً عالمياً ، انطلاقاً من واقعه الجغرافي وتصويره ، لا بد أن يصور واقعه هذا في إطار نظريات عالمية يستطيع من خلالها أن يتبنى قضايا كل شعوب الإنسانية . وبذلك يصبح واقعه واقعاً إنسانياً ، يرى فيه أي إنسان في إسبانيا أو أميركا أو مصر ، يرى فيه واقعه هو أو يجد أنه يتجاوب معه . . ومع واقعه ومع أحاسيسه . وبذلك يكون هذا المفكر قد استطاع من خلال نموذج محلي أن يعطي صورة يتجاوب معها أي إنسان . وهذا في رأيي نوع من العالمية ومن الفكر العالمي الذي انطلق أساساً وقبل أي شيء من أرضية محلية .

والأمثلة على ذلك كثيرة فنحن نجد أن بعض الأدباء أو المفكرين ينطلقون في أعمالهم من أرضية محلية ، ثم عن طريق المفاهيم الإنسانية الكبرى التي طرحوها نجد أنهم استطاعوا أن يصلوا للعالمية .

وهناك نوع آخر من الفكر العالمي ينطلق أساساً من تيار آخر مواز ، وهو لا ينطلق من أرضية جغرافية أو محلية أو إقليمية الهوية ، وإنما ينطلق من نظرية معينة ، من مبدأ معين ، من فكرة معينة ، من اتجاه معين ، من نيار معين ، ويبدأ المفكر أو الأديب من خلاله إشعاع مفاهيم معينة ، أي إنه يبدأ من القمة ليعطي مزبداً من الإشعاع الفكري . وهذه هي عالمية العالمية . فهو أساساً لم ينطلق من أرضية محلية ، بل انطلق من مفاهيم عالمية أخذ يطور ويجدد فيها . وأرى أن هذا الطريق الأخير أكثر اختزالاً واختصاراً من الطريق الأول ومعانائه

لأحد أن ينكر مساهمة الفكر الانجليزي الاقتصادي في تاريخ النظريات الاقتصادية المعاصرة .

هذا ، وبحسب للفرنسية أصحاب الفكر المثالي الاجتماعي ، ونحن نعرف جيداً : (جان جاك روسو) ، و(مونتسكيو) ، (سان سيمون) وغيرهم .

وأنا أعترف أنني تأثرت بالفرنسيين تأثر منهج ، بمعنى أن فكري وعقليتي قد غنحت . أما جوهرى فقد تأثر وما زال متأثراً بالقرآن الكريم .

الحضارة العربية الاسلامية . . والحضارة الغربية

●● كمفكر إسلامي ثبت وعاش على التربة العربية ، وفي نفس الوقت أتاحت له فرصة أن يطل على الفكر العالمي الغربي . ما هي حاجة الثقافة العربية من الثقافة الأوروبية ؟ وأيضا ما الذي ترى أن الفكر الأوروبي بحاجة إليه من الفكر العربي ؟

○ في تصوري أن الحضارة الغربية ، حضارة تتميز بالوسائل . . أو نحن نستطيع أن نطلق عليها تسمية (حضارة الوسائل) ويمكن لنا أن نتطلع إليها على مستوى الوسائل .

ونستطيع أن ندمج هذه الوسائل في ثلاث :

١ - التقدم العلمي .

٢ - المعرفة التكنولوجية .

٣ - الصناعة .

فهذه حضارة منهج ، وتنسيق ، وتنظيم ، ومحاولة استئناس وتعامل مع الظواهر الطبيعية ، والظواهر الإنسانية بهدف السيطرة عليها ، أو بهدف التعامل الموضوعي لما فيه تقدم البشرية ، فالحضارة الغربية يمكن أن تباع ونشتري ، ويمكن أن نكون نطلعاتنا إليها تطلعات إلى وسائل الحضارة الغربية لا إلى جوهرها . لأننا لو تطلعنا إلى جوهر هذه الحضارة فإن هذا سيعني أن جوهر حضارتنا نحن لم يعد صالحاً لشيء ، وهذا غير صحيح .

نحن لدينا بعض القصور في الوسائل ، فالإنسان ، وهو الذي يتمتع لدينا بجوهر أصيل ، كيف يقوم بتنسيق وتنظيم حياته ، وكيف يتعامل مع الآخرين ، وكيف يكون التعامل لما فيه صالح المجتمع . وكيف لا تحدث قطيعة بين ما يبنه كقيم ، وما يفعله كسلوك . هذه كلها أمور تمنهج (منهج الحياة) ونحن نعاني من أزمة سلوك وليست أزمة قيم . ووسائل الحضارة الغربية أدت إلى تحضر الأشياء ، أما الجوهر (بناء الإنسان ، والقيم التي بفضلها يتعادل

إذن أنا أراها من العكس . فالأدب هو الذي سيوصل إلى العالمية . وفي الوقت الذي سيمتلك أدبنا مصامين وأفكار عالمية ، في ذلك الوقت ، سيسلط العالم على أدبنا كل أضوائه وهذا ، بلا شك ، سيدفع باللغة العربية إلى الأمام .

ولماذا نذهب بعيدا فنحن لو قمنا بالاهتمام بالمضامين القرآنية لم لا يكون ذلك حافزا في سبيل تعلم الأجانب للغة العربية وقراءة القرآن الكريم . لا سيما وأن البعض يريد أن ينهل من قيم القرآن الكريم في لغتها الأساسية ؟

وفي الحقيقة ، هنا كثير من الأمور التي يجب علينا أن نطرحها الآن للمناقشة بموضوعية تامة ، وبدون أي عصبية أو تشنج . ويجب من اليوم أن نكون من أنصار الحوار الهادئ ، والمواجهة الباردة ، وذلك حتى نأتي بنتائج طيبة . لأن الغليان دائما ما يؤدي إلى قلب الاناء ، بينما الهدوء - غالبا - ما يؤدي إلى مزيد من التفتح .

القرآن الكريم

●● إذا كان معظم الأدباء والمفكرين ينشأون متأثرين بغيرهم ممن سبقوهم في السن والتجربة . فهل لي أن أسألك : بمن تأثرت ؟

○ أنا قد أشد عن هذه القاعدة . وبدون أي ملق أو ثفاق إن خير من تأثرت به ، وهذب لي لغني ، وساعدني على ترويض ذاكرتي هو القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم هو مؤثري الأول ، إلا أنني تأثرت في مراحل متقدمة من حياتي ببعض المفكرين الفرنسيين ولكنه كان تأثراً من نوع آخر . لقد كان تأثر منهج ، فتأثرت بالمدرسة السانسييمونية ، ومدرسة فورييه ، وتأثرت بالفكر الإنساني بوجه عام .

وربما يقول البعض هنا إنني ناصرت الفكر الفرنسي على حساب الفكر الألماني مثلاً . ولكن هذا حدث بشكل تلقائي وبلا شك الفكر الإنساني بوجه عام ، والفكر المثالي الغربي بوجه خاص لا يمكن لأحد أن ينكر أصالته الفرنسية .

وإذا كان الانجليز يحسب لهم تسجيل اصابة في الفكر الاقتصادي ، وبحسب للألمان تسجيل اصابة في الفكر الفلسفي وخصوصاً في القرن التاسع عشر ، من (شوبنهاور) ، إلى (جوته) إلى (نيتشه) ، فإنه يحسب للانجليز (ديكارت) وغيره من المدارس الاقتصادية التجديدية الانجليزية . ولا يمكن



ومن هنا .. في تصوري .. ما أكثر المبادئ التي تكون صحيحة وسليمة وحقة وصائبة . ولكنها تفتقد لعنصر الصلاحية .

ومن هذه الزاوية أرى أن لدينا الجوهر .. جوهر التقدم ، بمعنى عطاء الأرض ، وعطاء الانسان ، ولدينا جوهر الحضارة ، حضارة القيم ، والتي تبدأ من القيم الروحية وتصل إلى القيم المبادئية (الايثيك) إلى القيم الأخلاقية إلى القيم المعنوية والقيم السلوكية .

●● هل نفهم من ذلك أن الحضارة العربية تحتاج من الحضارة الغربية إلى وسائلها . والحضارة الأوروبية محتاجة من حضارتنا إلى روحانياتها وأصالتها .

○ لم لا . هي على الأقل محتاجة لأن تعيد النظر في كيفية أن يتم التقدم الحضاري في حضور الإنسان لا في غيبته . بمعنى أنه لا يمكن للإنسان أن يحضر الطائفة (أقصد يطورها) ويجعلها أكثر كفاءة ، ويحضر الشلجة ويحضر المباني ، ويحضر أجهزة الصوت والصورة على حسابه هو كإنسان .

إنني أحس اليوم أن كل شيء يتقدم ، لكن للأسف ، الانسان غائب ، رغم أن الانسان هو الذي يجعل هذه الأشياء تتقدم أساساً يجب ألا يفقد الانسان المعاصر ذاته من أجل أن يعطي ، وهذه قضية خطيرة . وأنا أخاف من أن تتسبب الأزمة المعاصرة في أن تأخذ الدول النامية من كلتا الحضارتين كل ما هو سلبي .

في تصوري أننا نحتاج فعلاً إلى التعميق ، تعميق الماضي واستجوابه . وتعميق الحضارة المعاصرة واستجوابها ولا نتهيب منها . ذلك لأن التهيب سيؤدي إلى نوع من الاستشهاد الكاذب وأنا من أنصار مواجهة الحضارة لا أن نستشهد بدون الموضوعية .

وقد حدث ذلك من قبل عندما تعاملت الحضارة الإسلامية مع الفكر الإغريقي وكان بعض المثبيين يخشون أن تدمر الفلسفة الإغريقية الإسلام وتدمر الفكر الإسلامي . ولكن ما حدث عكس ذلك تماماً . الذي حدث أن امتص الفكر الإسلامي الحضارة الإغريقية وأدى ذلك إلى وجود نوع من المواجهات الكبرى التي خرج منها الفكر الإسلامي الأصل مدعماً . وما علينا إلا أن نقرأ (الغزالي) ونقرأ المواجهات مع (المعتزلة) ونقرأ (ابن رشد) ومواجهاته في المغرب والأندلس . إنها حقاً قضايا مشرفة .

إذن لماذا لا تتكرر هذه المواجهات العظيمة الآن ؟

يجب أن نعيد حساباتنا ..



★ طبق من الخزف ، به زخارف معدنية ، وقد حاول صانعه التعبير بالزخرفة عن «رياضة الخطيب» - النحت الإسلامي ، القاهرة ★

الإنسان ، من قيم روحية وأخلاقية وسلوكية) فهو قضية طويلة تحتاج إلى كلام آخر .

لهذا فالإنسان في عصرنا الحاضر أصبح ضحية أزمة الحضارة . ونستطيع أن نقول إنه أصبح إنساناً ذا بعد واحد ! وأنا لا أعتقد أن الحضارة العربية والإسلامية قد أصبحت في وقتنا مغترية أو غريبة على عصرها . إن حضارتنا ليست بغريبة على عصرها ، كل ما في الأمر أننا نحتاج إلى تصحيح السلوك البشري أكثر مما نحتاج إلى تصحيح القيم أو المبادئ . وتصحيح السلوك البشري ، هذا ، هو الذي يأتي من خلال اللجوء للوسائل .. وسائل الحضارة الغربية بحيث تجعل من إنسان منفعل ، مندفع ، إنساناً يتصرف بطريقة عفوية في بعض الأحيان ، إنساناً قد يجد صعوبة في التوفيق بين عطاء الأرض وعطائه هو .. ويجد صعوبة في التوفيق بينه وبين أخيه .. بينه وبين جاره ، هناك صعوبة في التعامل ، وهذه ليست إلا قضية منهج حياة ، بل بالعكس إنه ربما المغالاة في الالتزام بالمبادئ . ربما يساعد أيضاً على بعض التعويمات ، فبدلاً من أن تكون الرؤية واضحة كل يحتمي خلف مبدأ معين ، ويقول : أنا على حق .

● الكتاب يقع في (٣٦٨) صفحة من الحجم المتوسط ، يحمل رقم الايداع بدار الكتب (١٩٧٢/٥٨٢٣) وهو من مطبوعات (دار الهنا للطباعة) تأليف القاضي عبد الله بن عبيد الوهاب المجاهد الشياحي .

● والكتاب في ضوء كلمة الاهداء يستهدف توثيق الصلة بين الناشئة من أبناء وبنات المدارس في اليمن وبين تاريخ بلادهم ، فهو يضم أخباراً متفرقة عن اليمن لعصور ما قبل الإسلام وما بعده من بينها المواضيع الآتية :

(تطور الحياة على الأرض والانسان الأول - اليمن مهده الساميين - اليمن قبل الاسلام - اليمن في عهد الاسلام - الصراع السياسي في اليمن بعد الاسلام - النزاع السياسي المذهبي اليمني - الدول والامارات في اليمن - ظهور العلويين في الحجاز واليمن - اليمن والمذهب الهادي الزيدي - اليمن والامام يحيى بعد اتفاقية سنة ١٣٢٩هـ - الامام يحيى والروح الثورية في الدعوة الزيدية - الأحداث السياسية في اليمن منذ عام ١٣٢٩هـ وحتى قيام الجمهورية العربية اليمنية سنة ١٣٨٢هـ - محبة عن المذهب الاسماعيلي في اليمن) .

● ولعل أول نقطة تسترعي الانتباه هي محاولة المؤلف أن يجعل من الجزيرة العربية مهداً لنشوء الإنسان الأول دون سند علمي وإنما مجرد التصور والافراض . ففي عرضه لمسألة تطور الحياة على الأرض ونشوء الإنسان الأول ، يقول :

«لقد أثبتت اليحوث العلمية والجيولوجية أن الجزيرة العربية من أقدم المناطق التي بدأ العصر الجليدي الرابع ينحسر عنها ، فاستقبل مناخها الاعتدال قبل كثير من بقاع الدنيا كما سبق فذبت فيها الحياة في ظل ذلك الجو ...» ص (١٦) .

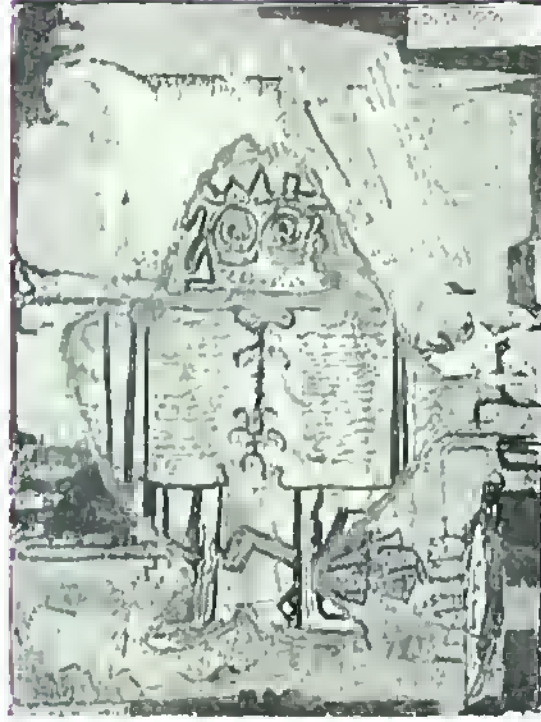
وذلك يجعلنا نفترض أن الإنسان الأول الحق قد وجد في الجزيرة من قبل مائة ألف سنة ، وبدأ يقصع براعم المجتمع الإنساني وتظمه البدائية ، ويفكر - فيما نتخيل - في التفاهم إلى جانب الاشارات بأي لغة وواسطة ، وفي سرّ قواعد فجأة للعلاقات الاجتماعية ظلت تنمو كما تنمو مع المطلق المعلومات والتصورات نموّاً في أقبائه الممتدة تكونت أول أسرة اجتماعية قبييلة فأمة لها شرائعها وعاداتها وأساطيرها وعقائدها من قبل مائة ألف سنة .

وفد كان خصب الجزيرة واعتدال مناخها المبكر من عوامل قيام هذا الإنسان على تربتها قبل غيرها - فيما نراه ...» ص (١٧) .

ويقول في موطن آخر :

«لنؤجل كلام المؤرخين والمستشرقين إلى أن نسعرض ما توحيه التواميس الإلهية . وما أسلفناه ، أن المناخ المعتدل المتعش هو الصدف المتكون فيه أجنة الحياة ، ومن الدراسة السالفة يكون اليمن هو الحقل الذي نبت عليه الإنسان الأول قبل مائة ألف سنة حين كانت أوروبا بقرها ومعظم السكرة الأرضية في غلاف الجليد الرابع الرهيب الذي لم يجعل الإنسان أن يتبرعم على أرض فرثسا واسيانيا إلا بعد سبعين ألف سنة» ص (٢٣ و ٢٤) .

وإذا كانت اليمن هي الحقل الصالح لولادة الإنسان الأول فلنا أن نتخيل تحت أضواء تواميس التكوين ، أن اليمن شهدت قبل غيرها تطورات هذا الإنسان في أدوار الماضي السحيق الذي لم يكن لدينا عنه أثر (نعتمد عليه) إلا الافراض الذي من



مطالعات... في الكتب

اليمن الانسان والحضارة

بقلم: حسن أحمد بهكلي

أجل الاطمئنان نرجع إليه إذعاناً للطبيعة البشرية وساموس سيرها والذي يجعلنا ننصور وجود الإنسان الأول على اليمن ، وننقلت إلى قبر حواء بجسده ، بأنه ليس من قبيل الاسطورات الفارغة بل قصة لها مغزاها ... إنها قصة نرسي إلى تقدم قدم الإنسان في اليمن ، تقدم غير منازع ولا مسيق ، وعلى تربة اليمن سار ذلك الإنسان الأول بخطى رتيبة نحو مدنية العالم القديم التي نركت لنا الكتب المقدسة ، منها قصة آدم وقصة نوح والطوفان والسفينة وما حلت من كل زوج اثنين وأن قوم نوح اتخذوا الهة ودأ وسواعاً ويغوث ويصوق ونسراً ، وهي أسماء عربية يمنية ، وقد أسدل الستار على عهد نوح وما قبله وغمره الماضي بطوفان النسيان ما عدا ما حفظته الكتب المقدسة المسجلة لعروية ذلك العهد بأسمائه وتقاليده وحضارته ، ص (٢٥) .

وهناك مواضع اشتمل عليها الكتاب لم يكن المؤلف موضوعياً عند عرضه لها إذ هو صيغها بميوله وأخضعها لهواه وحسبنا أن تقتصر على نموذج منها - ففي فصل بعنوان (اليمن والمذهب الهادي الزيدي ، والإمامة العظمى والائمة الفاطمية) ، قال المؤلف :

«إن صلة الهاشميين باليمنيين عميقة تضرب جذورها إلى ما قبل الإسلام ، وما أطل الإسلام بمحياة إلا وعلى اليمنيين اعتمد الإسلام ، وعلى اليمنيين اعتمد نبي الإسلام . وفي أقباء هذا الرسول العظيم صلوات الله عليه ، تمت بين الهاشميين واليمنيين تلك الصلات الأخوية .

ويموت محمد ونلحق روحه بالرفيق الأعلى ، وقبل أن يوارى جسده الشريف في تراب يرب اجتمع الانصار وأجمعوا على تعيين سعد بن عبادة الأنصاري خليفة لرسول الله ، ثم يأتي إلى مجتمعهم - سقيفة بني ساعدة - أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فنذر حول الخلافة تلك المعركة الجدلية بين الأنصار اليمنيين وبين الثلاثة المهاجرين القرشيين ، وكان الحسد قد دب إلى مثل بشير وعموم الأنصارين ، ولذلك أسفرت الجادلة عن انقسام الأنصار اليمنيين على انفتهم وسقوط سعد بن عبادة عن الخلافة التي كان الأنصار قد انتخبوه لها ، فتحولت من سعد إلى أبي بكر الصديق ، وقد استمر سعد متمسكاً بنظرينه وخلافته معارضاً لخلافة أبي بكر الصديق وغير معترف بنظامها فلا يحضر جماعة أبي بكر ولا جمعه ، وأن إيمانه بحقه في الخلافة هو الذي جعله يفارق المدينة مع أتباعه إلى الشام وهناك يموت شهيداً مغتالاً .

وقد كان هناك بالمدينة علي كرم الله وجهه على رأس بني هاشم ومجموعة من بني عبد مناف والمهاجرين فيهم عمار وسلمان والزبير وفاطمة بنت محمد وعبد الله بن مسعود برون أن علياً أحق بالخلافة ، وأخيراً وبعد موت فاطمة يابعوا أبي بكر بذلك ، ويمقتل سعد بن عبادة ، ثم الاجماع على خلافة أبي بكر التي كانت يدايتها كما قال عمر : إن بيعه أبي بكر كانت فلتة ... الخ .

ومن الطبيعي أن حرمان الأنصار والهاشميين ترك أثره في نفوس الهاشميين واليمنيين ، كما أن معارضتها لأبي بكر وعمر ترك أثره في نفوس الخلفيتين الصديق والفاروق صرّح به سعداً واختفى مثل الحباب بن المشذر وذابت شخصية علي والأنصار وفتح للطلقاء والمتأخرين إسلاماً والمتعلقين الطريق إلى الحكم والتقرب إلى الخلفيتين الصديق والفاروق ، وسرعان ما نبالة

الصادق والفاروق الذي لا تغمر . فقد نجح أولئك السلفاء والمتأخرين إسلاماً والمتعلقون نجحاً محدوداً في الظهور وغمر الأنصار واضعاف إخاء المهاجرين والأنصار ، وبدأ مركز الأنصار وذوي السبق في النقص إلا أن أثر هذا التحول كان كامناً تحت المثابة الصادقة المنحلي بها الصديق والفاروق ، التي هونت على الأنصار والمهاجرين وذوي السبق وأبنائهم مرارة الحرمان ، والتي أمسكت بتلابيب السلفاء والمتأخرين إسلاماً وأبنائهم من النعالي الثبر ، حتى إذا ضعفت تلك اليد الماسكة بأبام الخليفة الثالث عثمان رحمه الله ، فاذا بأمرض ذلك التحول تظهر ، طلقاء وأبناء طلقاء ، يتحكمون ويستأثرون في تعال وصلف ألهب أحاسيس المحرومين وذوي السبق وفد أصبحوا في المؤخرة ، ومنهم الهاشميون واليمينيون ، وكان ما كان من النزاع والتكتل الذي شهدته القرن الأول والذي زادت حوادثه من تلاحم اليمينيين والهاشميين ، وحولت اليمن فلعنة «شعأ» لنشيع في آل علي كرم الله وجهه . ص (٩٧ و ٩٨) .

الصلة بين الهاشميين واليمينيين

تكفي بهذا القدر من كلام المؤلف لنتبه أولاً إلى أن الصلة بين الهاشميين واليمينيين لم تكن في عصر ما قبل الإسلام لتتجاوز اصهار هاشم بن عبد مناف إلى بيت من بني التجار - من الخزرج - دون أن يرتب على تلك المصاهرة قيام علاقات ذات شأن بين الهاشميين وبين اليمينيين بدليل :

(أ) أن الملك اليميني (سيف ذي يزن) حينما عزم على طرد الأحباش من بلاده لم يطلب العون من عبد المطلب بن هاشم وإنما طلبه من ملك الفرس الذي أسده بمجيش استعان به على طرد الأحباش من البلاد ، وحينما قدم وفد قريش برئاسة عبد المطلب - على الملك اليميني للتهنئة بالانتصار على خصومه كان الوفد يمثل قريشاً وليس بني هاشم .

(ب) عندما اشتد ابتداء مشركي قريش للمسلمين نصيحهم رسول الله ﷺ يهاجروا إلى الحبشة وليس إلى اليمن ونفهم من هذا أنه حتى ذلك الوقت لم تكن الصلة عميقة بين الهاشميين واليمينيين .

(ج) يوم حددت قريش إقامة بني هاشم في الشعب وفاطعتهم ، لبث فيه هؤلاء ثلاث سنين اشتد قبحاً عليهم البلاء والجهد دون أن يبادر اليمينيون إلى نصرتهم .

(د) غداة اجتمع الأنصار اليمينيون في السقيفة لترشيح خليفة بلي أمر المسلمين بعد وفاة رسول الله ، لم يرشحوا الخليفة من بني هاشم وإنما رشحوا أخاهم سعد بن عباد سيد الخزرج إلا أنهم قبيل مبايعته عدلوا عنه وباعوا أبي بكر الصديق - كما سئرى فيما بعد .

(هـ) يوم نشب الخلاف بين الإمام علي كرم الله وجهه وبين معاوية كان من بين اليمينيين من ناصر خليفة المسلمين الإمام علي ومن هؤلاء همدان ومذحج وأرحب ويام بينا بقية القبائل اليمنية انحازت إلى جانب معاوية وحاربت معه في (صفين) ومنها كندة ولخم وعصب وذو الكلاع والأشعريون ^(١)

تلك كانت بعض النقاط التي تجمعنا فنبس إلى القول بأن الصلة بين الهاشميين واليمينيين لم تكن إلى ما قبل التشيع في الإمام علي عميقة بالقدر الذي أشار

إليه المؤلف ، ولستأ نشك في أن التشيع هو قبل غيره الذي جمع بين الأهلين في المرتفعات الشرقية والشمالية من اليمن الشمالي وبين (العلويين) دون غيرهم من بني هاشم .

مسألة الخلافة الإسلامية

بعد هذا نأتي على مسألة الخلافة الإسلامية لنقول إن رسول الله ﷺ لم يكن صاحب تاج وصولجان لكنه بعث نبياً ومات نبياً ومن المعلوم أن النبوة لا نورث ، ثم إنه ﷺ حين اشتد عليه المرض لم يعين أحداً بعينه يلي أمر المسلمين بعد وفاته والذي حصل أن الأنصار رضوان الله عليهم كانوا يرون أنهم أصحاب الأمر بعد وفاة رسول الله فهم قبل أي شيء أهل المدينة لا ينازعهم فيها أحد وهم درع رسول الله آووه وتصروه وهم أصحاب فضل على المهاجرين آوهم وآثروهم على أنفسهم ، كذلك كان المهاجرون يرون أنهم أصحاب الأمر بعد رسول الله لأسبقيتهم في الإسلام ولأنهم قبل غيرهم أول من وقفوا إلى جانب رسول الله ونحملوا في سبيل ذلك من قريش صنوف العذاب والاضطهاد وضحو بأغلى ما عندهم المال والأهل والموطن ، أيضاً كان من بين المهاجرين بتو هاشم يرون أنهم أحق من غيرهم بالخلافة لقربهم من رسول الله ولأنهم قبل غيرهم أبلوا في الله ورسوله بلاءاً حسناً فهم أول من وقف إلى جانب رسول الله يوم لم يكن في مقدور غيرهم أن يمتنعوا قريشاً عنه . الخ

أما كيف تقرر مصير الخلافة ؟ فالشيء الذي يسرعني الانتباه أن الروايات التي أتت على ذكر اجتماع السقيفة وإن اختلفت في ثقل الاجتماع فاتها الثقت في القول بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أقوى الحاضرين جلدأ على تحمل الفاجعة يوفاة رسول الله ، فلما عمر من الخطاب رضي الله عنه لم يصدق أن رسول الله قد مات حتى إنه شهر سيقه في وجه الحضور وصاح بهم : « إن رسول الله لم يموت وإنما صعدت روحه إلى السماء ، ألا لا أسمع أحداً يقول إن رسول الله مات ، إلا فلقت هامته بسيفي هذا » إذا بأبي بكر قد أقبل على الناس رابط الجأش فوي العزيمة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » .

ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾ .

قال ، عمر : « قواله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فغفرت حتى وقعت إلى الأرض وما تحملي رجلاي ، وعرفت أن رسول الله قد مات » ^(٢)

البيعة العامة

هذا وفيما كان أبو بكر يعمل جاهداً على رفع معنويات الحاضرين كان الأنصار رضوان الله عليهم يفتقدون اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة لترشيح خليفة من بينهم بلي أمر المسلمين بعد

موت رسول الله ، ولكن خبر اجتماعهم نسرب إلى عمر بن الخطاب وأخبر هذا أبا بكر بما عزم عليه الأنصار فبادر أبو بكر إلى السقيفة يصحبه عمر وأبو عبيدة ، وكان ما كان بين الأنصار والمهاجرين من المناقشة والجدل بشأن الخلافة الإسلامية ، ومن خلال ذلك تمكن أبو بكر من اقناع الأنصار بأهمية أن يلي أمر المسلمين خليفة من المهاجرين وأن العرب لن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، وعلى أثر ذلك صرف الأنصار النظر عن مرشحهم سعد بن عباد ، ونقدم بشير بن سعد أبو النعمان من زعماء الخزرج فبايع أبا بكر ثم تقدم أسيد بن خضبر زعيم الأوس فبايع ثم فام الأوس والخزرج فبايعوا ، وتخلف من الأنصار إلى حين سعد بن عباد والحباب بن المنذر ثم لم يلبث أبو بكر وكافة من كانوا بالسقيفة ساعة البيعة أن عادوا إلى المسجد والوقت مساء وفي الغد ليوم السقيفة جلس أبو بكر في المسجد قبايعه الناس جميعاً ببيعة العامة ^(٣) .

أما فيما يخص بموقف بني هاشم من البيعة فقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنهم تأخروا عن مبايعة أبي بكر نحواً من ستة أشهر ولكنهم اختلفوا في بيان السبب ، وذهب الطبري إلى القول بأن أبا بكر بويع بعد السقيفة باجماع ^(٤) .

على أية حال مهما يكن من نوع الخلاف الذي وقع يوم السقيفة فإن من المعلوم أن المسلمين الذين شهدوا اجتماع السقيفة لم يدونوا للناس شيئاً مما حصل في الاجتماع وإنما تناقل الرواة أخبار السقيفة بعد ذلك فكان لعواصف العصبية على اختلاف ألوانها الأثر الكبير في رواية الخبر في صورته المتعددة التي نقلها عنهم المؤرخون فيما بعد . ونحن لا ننفي وقوع الخلاف لكننا نعتقد معه أن الأنصار والمهاجرين قد استهدفوا قبل كل شيء مصلحة المسلمين كما هو الحال في اختلاف الصحابة بشأن المكان الذي يدفن فيه جثمان رسول الله ، وكما هو أيضاً في الخلاف الذي وقع بين أبي بكر وبعض الصحابة حينما طلبوا منه عزل أسامة بن زيد عن رئاسة جيش المسلمين الذي أعده رسول الله قبل موته لقتال الروم وكانت في مقدمة الأسباب التي بنى عليها هؤلاء النفر طلبهم عزل أسامة حدائفة سنة وفي الجبش من فبه من كبار المسلمين ، فلم يستجب أبي بكر لرغبتهم وأمر أن لا يبقى بالمدينة أحداً من جند أسامة وأن يخرجوا إلى معسكرهم بالجوف ، وخرج أبو بكر بعد ذلك إلى حيث بعسكر جيش أسامة وشيعهم بنفسه .

أيضاً اختلفت صحابة رسول الله بشأن قتال مانعي الزكاة فكان رأي طائفة منهم من بينهم عمر عدم قتالهم وقالوا للخليفة أبي بكر : لا تقاتل قوماً يؤمنون بالله ورسوله واستشهد عمر بقول رسول الله ﷺ :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فن قاتلها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله ، ولكن أبا بكر أبد رأي القلة وقال لعمر : « والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، وقد قال : « لا بحقها ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه » ^(٥) .

بقي في حديثنا عن الخلافة الإسلامية أن نتعرف على وجهة نظر المسلمين بهذا الشأن وسئرى أن الإمام زيد رضي الله عنه وإن كان معنفه أن علماً كرم الله وجهه هو الأفضل للخلافة

إلا أنه لم يعتبر الخلافة إرثاً في أهل البيت من أبناء علي وفاطمة وكان يرى جواز استناد الخلافة للمفضول مع وجود الأفضل مراعيًا في ذلك مصلحة المسلمين .

يقول ، الامام الشهرستاني :

« . . . كان من مذهب - الإمام ويد - جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل فقال : كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة وروست إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وفاعده دينية واعوها من نسكن ثائرة الفتنة ونطبيب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان فدياً وسبق أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دعاء المشركين من فريش لم يحف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الشار كما هي فما كانت القلوب غلب إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه بالدين والنود والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ إلا نرى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعن الناس وقالوا لند ولبت علينا فظاً غليظاً لما كانوا يرضون بأمر المؤمنين عمر لشدة وصلاته وغليظه في الدين وفضافته على الأعداء حتى سكتهم أبو بكر رضي الله عنه ، وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائماً فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في الفضاي .

ولما سمعت شعبة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا ينرا عن الشيخين رفضوه حتى أن قدره عليه فسميت رافضة» (٦) .

ويقول ، الامام ابن حزم : « ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاني ومن اتبعه جميع الرافضة من الشيعة إلى أنه لا يجوز إمامة من يوجد في الناس أفضل منه ، وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع أهل السنة إلى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه » (٧) .

وفي موطن آخر يقول ابن حزم : « وبرهان صحة قول من قال بأن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه وبطلان قول من خالف ذلك أنه لا سبيل إلى أن يعرف الأفضل إلا بنص أو اجماع أو معجزة تظهر فالمعجزة ممنوعة هاهنا بلا خلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص . وبرهان آخر وهو أن الذي كلنوا به من معرفة الأفضل ممنع محال لأن قربشاً مفترقون في البلاد من أقصى السند إلى أقصى الأندلس إلى أقصى اليمن وصحارى البرير إلى أقصى أرمينية وأذربيجان وخراسان فبا بين ذلك من البلاد لمعرفة اسمائهم ممنع فكيف معرفة أحوالهم فكيف معرفة أفضلهم . وبرهان آخر وهو أنا بالحق والمشايدة ندري أنه لا بدري أحد فضل إنسان على غيره ممن بعد الصحابة رضي الله عنهم إلا بالظن والحكم بالظن لا بكل .

قال الله تعالى ذاماً لقوم : ﴿ إن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾ وقال تعالى : ﴿ قتل الخراصون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما غمى ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني

من الحق شيئاً ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب » الحديث .

وأيضاً فإننا وجدنا الناس يتباينون في الفضائل فيكون الواحد أزهد ويكون الواحد أورع ويكون الآخر أسوس ويكون الرابع أشجع ويكون الخامس أعلم وقد يكونون متفاربين في النفاضل لا يبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الأفضل وصح أن هذا القول فاسد وتكلف ما لا بطاق والزام ما لا يستطاع وهذا باطل لا يحل والحمد لله رب العالمين . ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد قلد النواحي وصرف تنفيذ جميع الأحكام التي ننفذها الأئمة إلى قوم كان غيرهم بلا شك أفضل منهم فاستعمل على أعمال اليمن معاذ جبل وأبا موسى الأشعري وخالد بن الوليد . وعلى عيان عمرو بن العاص ، وعلى نجران أبا سفيان ، وعلى مكة عتاب ابن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ولا خلاف في أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة وابن مسعود وبلالا وأبا ذر أفضل ممن ذكرنا فصح يفنباً أن الصفات التي يستحق بها الإمامة والخلافة لبس منها التقدم في الفضل وأيضاً فإن الفضائل كثيرة جداً منها الورع والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والعلم والعفة والصبر والصرامة وغير ذلك ولا يوجد أحد يبين في جميعها بل يكون بسائناً في بعضها ومتأخراً في بعضها ففي أيها يراعي الفضل من لا يجيز إمامة المفضول فإن اقتصر على بعضها كان مدعياً بلا دليل وإن عم جميعها كلف من لا سبيل إلى وجوده أبداً في أحد بعد رسول الله ﷺ فإذا لا شك في ذلك فقد صح القول في إمامة المفضول وبطل قول ما قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق . . . » (٨)

وسئل الإمام محمد بن علي الشوكان عن المذهب الحق في شأن ما شجر بين الصحابة في الخلافة وما ترتب عليها ، فقال : « إن كان هذا السائل طالباً للنجاة ، مستفهماً عن أقرب الأقوال إلى مطابقة مراد مولاه ، كما يشعر بذلك نصرفه في سؤاله ، فليدع الاشتغال بهذا الأمر ، ويمترك المرور في هذا السبيل الذي ناهت فيه الأفكار ، ونحويرت عنده أبصار أهل الأبصار ، فإن هؤلاء الذين يبحث عن حوادثهم وينطلع لمعرفة ما شجر بينهم ، قد صاروا تحت أطباق الثرى ، ولضوا ربهم تعالى في المائة الأولى من البعثة . وها نحن في المائة الثالثة عشرة فإنا لنا للاشتغال بهذا الشأن الذي لا يعنينا ؟ وأي فائدة لنا في الدخول في الأمر الذي فيه ريبة ، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ أن ندع ما بريئنا إلى ما لا بريئنا ، ويكنبنا من تلك الضلال والزلزل ، أن نعتقد أنهم خير الفروع وأفضل الناس ، وأن الخارجين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، المحاربين له ، المصيرين على ذلك ، الذين لم نصح نوبتهم بغاة ، وأنه على الحق وهم المبتطلون .

وما زاد على هذا المذار ، فمن الفضول الذي يشتغل به من لا يبالي بدينه » (٩) .

بعد هذا نعود إلى فقرة من الكتاب نتاول فيها المؤلف كيف انتهت حياة سعد بن عبيدة والخباب بن المنذر ، ومن المعلوم أن الأول كانت الانتصار قد رشحته للخلافة ثم صرفوا النظر عنه واتباعوا أبا بكر ، أما الثاني فقد

نسب إليه أنه عارض أن ينفرد المهاجرون بالخلافة دون الأنصار وظل متعصباً لرأيه هذا . يقول المؤلف :

«... ومن الطبيعي أن حرمان الأنصار والهاشميين ترك أثره في نفوس الهاشميين واليمانيين ، كما أن معارضتها لأبي بكر وعمر تركت أثرها في نفوس الخلفين الصديق والفاروق صرع به سعداً واختفى مثل الحجاب بن المنذر ...»

إننا إذا تجاوزنا وصف هذا القول بأنه اتهام للخلفيتين أبي بكر وعمر بأنها كانا وراء مصرع سعد واختفاء الحجاب فإنه يتطرى على تجريخ الخلفيتين ولنا نرى عذراً للمؤلف في الأخذ برواية نسجها نفر من الخاقدين على أبي بكر وعمر في حين أنه من خلال قراءاته يعلم أن سعداً ظل في المدينة إلى ما بعد وفاة أبي بكر ولستين ونصف من خلافة عمر ثم خرج إلى الشام ومات بحوران^(١٠) وكذلك الحجاب فقد عاش خلافة أبي بكر وشطراً من خلافة عمر^(١١) وأحسب أنه كان في وسع المؤلف أن لا ينجح بقلمه لئلا من سيرة الخلفيتين أبي بكر وعمر إذ المعلوم أن غلاة الشيعة دون غيرهم هم الذين يجرحون أبا بكر وعمر وعثمان ومن شابعهم من الصحابة باستثناء الزيدية أصحاب مذهب الإمام زيد رضي الله عنه القائلون بتفضيل علي على أبي بكر وعمر مع الاعتقاد بصحة خلافتهما والاشادة بفضلها فإن هذه الطائفة هي أكثر طوائف الشيعة اعتدالاً^(١٢).

روى الشيخ محمد أبو زهرة : « أن علي زين العابدين ابن الحسين رضي الله عنه كان يروي الحديث من التابعين ويحفظ بذخيرة آل البيت الكرام ، وكان يروي ابن شهاب الزهري ويحمله .

وفي عهد وجد الغلاة من الشيعة ، فكان إذا اجتمع بهم يردهم ويدعوهم إلى الطريقة المثلى ، ويروي أنه جلس إليه قوم من العراقي ، فذكروا أبا بكر وعمر ، فثألوا منها ، فقال لهم علي رضي الله عنه :

«أخبرونا من أنتم : من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ؟

قالوا : لا . قال : فأنتم من الذين نبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يجيئون من هاجر إليهم ؟

قالوا : لا . فقال لهم : أما أنتم من فقد أقررتكم على أنفسكم لستم من هؤلاء ولا هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الغفرة الثالثة الذين قال الله فيهم :

«والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ...»^(١٣)

فقوموا عني لا يارك الله فبكم ، ولا قرب دياركم ... أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله»^(١٤).

يقبت فقرة تكلم المؤلف من خلالها عن المذهب الهادي وفي هذه المرة لم يسلم العالم العربي والإسلامي من عثرات قلمه ، وسنرى أولاً كيف أن المؤلف وهو يحاول تحديد هوية المذهب ظل طيلة حديثه غير قادر على تحرير رأيه من التذبذب فني موطن من الكتاب عرف المذهب بأنه (المذهب الهادي) وفي موطن ثان قال عنه هو (المذهب الهادي الزيدي) وفي موطن ثالث قال : (هذا هو المذهب الزيدي وعلى الأصح الهادي).

ومن المعلوم أن مؤسس المذهب الهادي هو الإمام يحيى بن الحسين بن قاسم الرسي - نسبة إلى بلدة الرس في نجد - وكان قد خرج إلى المدينة (صعدة) في شمالي اليمن (٢٨٠ هجرية) وفيها تمكن بمساعدة آل فطيمة الخولانيين من حمل بعض الأهلين في شمالي اليمن على اتباع مذهبه ولقب نفسه بالهادي إلى الحق .

يقول المؤلف : «إنه - أي الإمام يحيى بن الحسين - مؤسس دولة ومؤسس مذهب ربط بينهما بقاعدة الإمامة الضيقة فأخطأ ، وعلى الدولة والمذهب جنى ...» ص (١٠٠)

وعن الإمام زيد يقول المؤلف : «وقد كان الإمام زيد بن علي أبعد نظراً من الهادي ، فقد أبى أن يأخذ بنظرية حصر الخلافة على أبناء جدته فاطمة الزهراء ثم يربط بهذه الإمامة مذهبه ويبني عليه دعوته ودولته ...» ص (١٠١) .

وعن المذهب يقول : «أن الدولة والمذهب الهاديين ...» ص (١٠١) .

ويعود فيقول : «أن المذهب الهادي ، أو الزيدي كما يشاع أقوى المذاهب الإسلامية فيما أرى ...» .

ثم يعود فيقول : «هذا هو المذهب الزيدي وعلى الأصح الهادي ، قال الإمام زيد لا يقول بمحصر الإمامة ، وأنه لمذهب نحن والمعزلة والمنحرون المسلمون من قيود المذاهب السياسية نقدر هذا المذهب الهادي لأنه هو الإسلام في جوهره وقوته وروحه الإنسانية الأمية ، إلا في حصر الإمامة العظمى ...» ص (١٠٣) .

وفي موطن يقول : «إن هذا التحجير هو الذي طعن المذهب الهادي أو الزيدي ...» ص (١٠٧) .

وينتهي المؤلف إلى القول : «إن هذا التحجير هو الذي وقف حجر عثرة في طريق انتشار المذهب (الهادي) وتحقيقه الوحدة المجتمعية وامتداد نفوذه في اليمن نفسها وفي خارج اليمن والجزيرة العربية وإلى حيث كان مقدراً له أن يبلغه بقيادة الروح الإسلامية الصافية الناصعة في المذهب (الزيدي) لو تخطى الهادي وأمثاله من عظماء الرسيين عن فكرة الإمامة الضيقة المنفرة» .

وأخيراً نكتفي بهذا القدر من (اليمن . الإنسان . الحضارة) وننبه على أن المؤلف قد ذهب به عواطفه بعيداً عن سلامة المنهج وكان هذا سبباً كافياً لأن تبدو مهزوزة في نظر القارئ تلك الصورة التي رسمها لنفسه المؤلف في قوله : «... إنه يجب أن ترتفع بالجماهير إلى مستوى من الوعي الوطني لتخلص معه اليمن من آثار النظريات والأفكار والمذاهب ...» ص (٣٣٠) .

وقوله : «اللهم اجعلنا من المتخلفين بأخلاق القرآن نجب الخبر وتدعو إليه وتحب الغير وتأخذ بيده ...» ص (٣٤٣) .

المصادر والمراجع

- اليمن . الإنسان ، والحضارة - القاضي عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشامي .
تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن - الأستاذ أحمد حسين شرق الدين .
تهذيب سيرة ابن هشام .
الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل .
الفصل في الملل والأهواء والنحل - الإمام ابن حزم .
الملل والنحل - الإمام الشهرستاني .
من كتاب استشهاد الحسين - للإمام الحافظ ابن كثير .
تقديم د . محمد جميل غازي .
الطبقات الكبرى - ابن سعد .
السنة ومكانها في التشريع الإسلامي - د . يوسف السباعي .

تاريخ المذاهب الإسلامية - الشيخ محمد أبو زهرة

الهوامش

- (١) صفحة ٣٥ و ٣٦ : تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن : الأستاذ أحمد حسين شرق الدين .
(٢) صفحة ٣٦٠ : تهذيب سيرة ابن هشام .
(٣) صفحة ٦٢ : الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل .
(٤) صفحة ٦٣ : المرجع نفسه - محمد حسين هيكل .
(٥) صفحة ٩٦ : الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل - الطبعة السابعة . دار المعارف بمصر .
(٦) صفحة ٢٠٨ و ٢٠٩ ج ١ : كتاب الملل والنحل : الإمام الشهرستاني - حاشية كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل - طبعة الخانجي .
(٧) صفحة ١٦٣ ج ٤ : كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل : الإمام ابن حزم - طبعة الخانجي .
(٨) صفحة ١٦٥ و ١٦٦ : كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل : الإمام ابن حزم : (طبعة الخانجي - ١٣٢١ هجرية) .
(٩) صفحة ٩ ر ١٠ : من كتاب استشهاد الحسين : للإمام الحافظ ابن كثير : تقديم د . محمد جميل غازي - مطبعة المدني - القاهرة .
(١٠) صفحة ٦١٧ ج ٣ : الطبقات الكبرى - ابن سعد (دار صادر - بيروت) .
(١١) صفحة ٥٦٨ ج ٣ : المصدر نفسه .
(١٢) صفحة ١٣٠ / ١٣١ : السنة ومكانها في التشريع الإسلامي : د . يوسف السباعي .
(١٣) الآية ١٠ : سورة الحشر : القرآن الكريم .
(١٤) صفحة ٣٦٣ / ٣٦٤ ج ٢ : تاريخ المذاهب الإسلامية : الشيخ محمد أبو زهرة .



المرآة السابعة
للتحرير والمجلات الدورية

مجموعة
المصطلحات العلمية والفنية
لغة أقرها المجتمع

المجلد الثامن عشر

١٩٧٦

مطبعة الاندلس
طرابلس - ليبيا

منذ احقاب الرعي والتجوال والبحث عن القوت والدفء، وحتى عصرنا
القائم: عصر الكمبيوتر والحسابات الآلية والذرة والتحليلات واختراق حاجز
الصوت ولغة السبرانتو العالمية، واللسان الآدمي لا يفتأ يتعامل مع كل مكونات
حياته ليحلها الى لفظ او مصطلح له مدلوله الخاص.

لصياغة ألفاظ الحياة العامة

بقلم: محمد مستجاب

يتلقى هذه الابتكارات الوافدة (وما يترتب على التعامل معها من
مصطلحات اخرى) فيترجمها بقدراته الشخصية الخاصة جدا،
فيطلق عليها المصطلح التلقائي والفوري: او في حالات اخرى،
يتلقى الابتكار موسومة باسمها، دون انتظار لتقنين اسمها (ترجمة
او ابتداء) او تصحيح او تصريح من دور العلم او الجامع اللغوية
التخصصية باستخدامها. وقد يصيب الرجل العادي في
ترجمته، وكثيرا ما أصاب: وقد يخطئ: وكثيرا ايضا ما أخطأ.
ان مهمة لجنة الفاظ الحضارة بمجمع اللغة العربية اصبحت
الان اكثر وضوحا: فأمامها دائما خامتان للفظ الحضاري مطلوب
منها ان تفهمها جيدا، وان تحاول ردها الى اصولها العربية ان
وجدت، لتصوغ في دأب لفظا فصيحاً.

وخامتا اللفظ الحضاري هما: الاصل الوافد مع الابتكار او
النظرية او الادلة او الأداة: وهو اصل في معظم الاحوال غير
عربي، ثم الترجمة التلقائية او المصطلح العفوي غير المدروس -
علميا، والمحلي في احيان كثيرة.

وفي جزئية من الموضوع فقد ظلت المصانع والمعامل ودور العلم
وبيوت الازياء والحكومات والمحاكم والمسارح واستديوهات
التصوير - خلال الاحقاب الماضية - تورد للعقل البشري - ولا
زالت بالطبع - الكثير من المستحدثات والمخترعات
والابتكارات: من أدوات وآلات ووظائف ومواد وعلاقات
 واحتياجات، واذا كانت المؤسسات المتخصصة - العلمية
بالتحديد - تجد مهمة اطلاق مسميات لهذه (المواد) أسهل، فان
الامر اكثر صعوبة بالنسبة لتلك (المواد) التي تواجه الرجل العادي
دون مرور بالمؤسسات المتخصصة.

وعلى هذا الاساس - اي التعامل مع مصطلحات الحياة
العامة - قامت لجنة الفاظ الحضارة بمجمع اللغة العربية
بالقاهرة، منذ ان بدأ المجمع اللغوي عمله في يناير ١٩٣٣.

المصطلح اللغوي ورجل الشارع

ان رجل الشارع - وهو ما يطلق على الرجل العادي -

وتقوم لجنة الفاظ الحضارة بجمع هذه (الخامات) من الشواطئ والبيوت والصحارى والمدن والفنادق والمصانع وأماكن التعامل - كالأسواق - وتحاول ان تؤصلها وتعيد اليها سلامتها وسلاستها داخل مسكها الخاص والذي يتولاه خيرة رجال اللغة والاصول في الوطن العربي، حيث تصبح كائنا لغويا فصيحاً يمكن ان يحمل اذن المجمع اللغوي باستخدامها استخداماً صحيحاً يؤهلها - هذه المصطلحات - لتدخل المعاجم اللغوية.

اللفظ - المصطلح

ولكي نستبين صعوبة هذا العمل علينا ان نعي ان المهمة بالنسبة لنقل - اي ترجمة - المصطلحات العلمية والفنية الخالصة: اقل صعوبة، اذ ان ترجمة مصطلحات في الكيمياء العضوية مثلاً من الانكليزية الى العربية عملية غير مرهقة بالنسبة لاختصاصييها، لان العقول العلمية المتخصصة التي سيمر بها مصطلح الكيمياء العضوية متقاربة الادراك والتكوين والوعي والاسس والتأسيس. فيصبح (الوسط) الذي تمر فيه خامه «اللفظ - المصطلح» وسطاً متناسقاً ومتقارباً ومتسقاً مع العلم نفسه. وبالتالي لا يتعرض «اللفظ - المصطلح» الى اجتهادات المرور في اوساط غير متقاربة، نجد - كمثال - ان أمينو أسيد تعني في التعريف بها: مركب عضوي به مجموعة او اكثر من كل من المجموعتين الكريكسولية والأمينية، وفي مصطلح واحد محدد هي: مجموعة الاحماض الأمينية: لا ارهاق يواجه عقل المتخصص في ادراكها او صياغتها او ترجمتها ولا سيما ان معظم مصطلحات العلوم يحمل الاسم اللاتيني لها) في حين نجد في المصطلحات غير المتخصصة - اي الفاظ الحياة العامة - الكثير من الازدواج والتداخل. فاللفظ المصري الدارج مثلاً: قفل. اختارت له لجنة الفاظ الحضارة مصطلح (قفل بحلقة) ومدلوله: أداة بمفتاح توضع في رزة (رزاى: اثبت) ومشبك لعلق المصارع، ثم جاء اللفظ الدارج - الأجنبي - (كالون)، فصيغ مصطلحه الى (قفل دولسان) ومدلوله اداة قفل وفتح بمفتاح يثبت في المصارع، ثم واجهت اللجنة اللفظ الدارج (كالون الأكرة) فصاغته الى: قفل بمقبض ومدلوله: القفل الذي يعمل بمقبض دون مفتاح (يراجع في هذا الشأن المجموعة الخامسة من المصطلحات العلمية والفنية التي اصدرها مجمع القاهرة عام ١٩٦٣).

والمشقة تنبع من ان مسميات هذه الادوات وصلت الى رجل الشارع قبل ان تصاغ بيد عالم متفهم. فتداخلت معانيها بتعدد انواعها وأغراضها وأماكن ابتداعها. وكاد ان يضيع من

مدلولها التحديد، فعملية نقل - او ترجمة - المصطلح الحضاري غير المتخصص من لغة الى لغة تقابلها صعوبات بالغة، أهمها تغير الوسط الذي يمر به اللفظ من منشئه - اي مصدره - الى مواطن استخدامه واستعماله، حتى انه - وفي احيان كثيرة - ينشأ اللفظ فرنسياً راقياً، فيمر في وسط فرنسي شعبي فتعلق به أو شاب - والحياءات الاستخدام الشعبي، والتي - كثيراً - ما تغير من معالمة الاصلية. وعند ايراده الى اماكن وبقاع جديدة لاستعماله، يبدأ هذا الاستعمال بين اوساط شعبية اخرى. اي اوساط غير متخصصة علمياً، فتتعامل مع المصطلح - او أداته - من خلال تلقائيتها وادراكها العفوي المتعجل لوظيفة (الأداة - الآلة - المصطلح) الذي تفرضه احتياجاتها وتفهمها ودواعي استعماله دون حساب أساسي للمسألة العلمية - اللغوية. ثم تلجئنا للضرورة الأكاديمية الى تطوير المصطلح (بخالته) للعلم، حينئذ تبدأ المعاناة الحقيقية: والتي تواجه لجنة الفاظ الحضارة دائماً وهي تتعامل مع آلاف من الفاظ الحياة العامة لترممها وتصلحها وتربط بين أجزائها وتوصلها وتقن مدلولها تمهيداً لتطويرها للغة العربية الفصيحة.

نحت المصطلحات

واحقاقاً للحق فان الاوساط الشعبية كثيراً ما أعانت لجنة الفاظ الحضارة في نحتها للمصطلحات: فمثلاً عرفت اللجنة عملية (الصفرة) في التجارة بأنها التنعيم أي: تنعيم السطوح بمواد صلدة حاكّة، ثم تبين للجنة بعد استبعادها لتفصيل الصفرة ان (السنف: هو العود غير المورق من النبات، والسفر: هو الكشط: وان سنفر لفظ فصيح وصحيح نحت من السنف - و - السفر وبالتالي فقد اعاد المجمع اعترافه للصفرة التي اطلقها الرجل العادي على الصفرة...

الكلمة - المصطلح

ولقد اعلن المرحوم الاستاذ محمود تيمور مراراً (وبصفته مقرراً للجنة الفاظ الحضارة) انه يعترف بان الهزة والفرحة تملكانه كلما نجح في العثور او الكشف عن كلمة عربية طيبة تقوم مقام كلمة دخيلة لا اصل لها في العربية، فيسارع الى التناطح لضمها الى أمثالها متخذاً السبيل للتنويه بها كي تأخذ حقها من الرواج والذيع.

لكن ذلك الفرح بنشوء الكلمات العصرية الفصيحة لا يلهي اللجنة عن دقة التقدير لما يجب ان يتوافر «للكلمة - المصطلح» من ضوابط حتى نكون اهلاً للتسجيل والاثبات والاعتراف. مع افساح المجال للكلمات الفصيحة الجديدة والترحيب بها، تركية

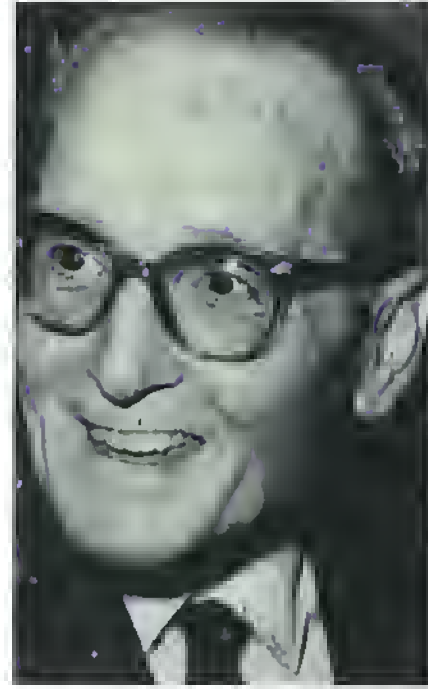
الأساس ان العلاقة بين العامية والفصحى (اللهجة واللغة) علاقة أصيلة وأصلية ومؤكدة ولا يمكن تجاهلها. وإذا كانت اللهجة العامية غير متقعدة بقواعد النحو والصرف فإن (التعبيرية) التي تحتويها مضامينها أهم ما في هذه اللهجة. حيث نجد فيها ذخيرة حية من المعاني والايحاءات والتحديدات متناهية الدقة وذات الحرارة الخاصة. اذ ان الجماهير تشحن هذه الالفاظ بثمرات القرائح والتجريب والتذوق. وان ثمة ظلما قد حاق ببعض الخدمات التي تؤديها اللهجة العامية خوفا من معرة الابتذال وترفعنا عن مشابهة اللغة الدارجة للغة الفصحى. اذ ان الكلمة العامية لا تكون مبتذلة متى أدت وظيفتها داخل نسيج اللغة النصحي الأم. وأن البحث في اصول الكلمات العامية والتي اطلقت لمسميات لأدوات الحضارة يقتضي الدقة والاحتياط خشية التجني عليها والخطأ في تعليمها.

اللغة وروح العصر

ولقد نشرت لجنة ألفاظ الحضارة بمجمع اللغة العربية أعمالها في منشورات المجمع. كمجموعات المصطلحات (١٨ جزءا) ومجموعات البحوث ومحاضر الجلسات. وكذلك تحاول اللجنة ان تنشر توفيقاتها في ألفاظ الحياة العامة في الصحف والمجلات قاصدة زيادة وتوطيد علاقة اللغة بروح العصر.

ومن المفارقات التي تصل الى حد الخطأ الفادح التي يرتكبها البعض (ولا سيما هؤلاء الذين يعملون في مجالات الحديث والتخاطب الجماهيري) في حق العامية والفصحى على حد سواء ان يعدل مذيع شهير عن كلمة (السقائين) مستبدلا اياها بالسقاة.... والبعض يرفض مصطلح (القول المدشوش) الصحيحة مخترعين له وصفا خاطئا هو (المجروش) والاطباء يعدلون عن (فتح البطن) الى (شق البطن). ثم ان العامية - اللهجة الواردة من بطن الفصحى - هي التي تفرق بين ساح - و - باش - وذاب، وبين بص - و - بصبص - و - تبصبص، وهي كلها تعبيرات شعبية بالغة الحساسية لا يضيق صدر الفصحى الأم بها.

ان لجنة ألفاظ الحضارة بالمجمع اللغوي بالقاهرة هي المعمل العصري الذي يستقبل المنتجات اللفظية والحضارية ويتصدى لها لتقنيها. وتنظم جزيئاتها وسفرتها وربطها باللغة العظيمة أي الفصحى.



★ محمود تيمور ★

للعربية واعماؤها ومسائرهما لركب الزمن والتطور والتجدد. مع اعتبار هذه الكلمات الجدد نسيجا من مادة اللغة المعجمية. فثمة مرحلة يمر بها اللفظ المستحدث قبل ان يثبت في معاجم اللغة. حيث يتعرض اللفظ لمحك الأذواق (أهمها العلمية) ويدور في مختبر الأقلام، فاذا ثبتت صلاحيته. ولم يغن غيره غناؤه. وشاع بين أهل الفصحى استعماله. استحقاق يكون له في مواد المعجم مكان.

وقد دعا هذا محمود تيمور - رحمه الله - (بصفته مقررا للجنة ثانيا ومهتما بهذه الشؤون اولا) الى الاهتمام بما اطلق عليه: اللغة العامية الفصحى. تلك اللغة التي جاهد فيها كي يقرب اللهجة العامية (على مستوى الوطن كله) من اللغة الفصحى - الأم.

ففي عام ١٩٥٨م تقدم محمود تيمور ببحث مطول لمؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي عن (العامية - الفصحى) قال فيه ان اللهجة العامية أنصارا وخصوما. وأن أنصار العامية - رغم دعواهم - يكتبون بالفصحى. وخصوم العامية يتكلمون بالعامية. وأن اللهجة العامية لم تستفد افادة واضحة من اللذين ينتصرون لما كما انها لم تضر ضررا بالغا من اللذين وقفوا ضدها. وأوضح في بحثه (وهو رأي خاص) أن الصعوبة البالغة ان تتجاهل لغة تؤدي بها الحاجات اليومية في الوقت الذي لا يمكن لنا ان ننكر ان الفصحى لغة محكمة غنية بتراتها وقدرتها على التوصيل بين الامم - من ناحية، والأجيال والعصور من ناحية اخرى.

العامية - الفصحى

وربما كان ذلك واحدا من الأسس التي اعتمدت عليها لجنة ألفاظ الحضارة في تناولها للألفاظ الحضارية. ومؤدى هذا

الدوان العصر

قصائد الشعر التشكيلي



للمشاعر الفرنسي العالمي : بول ايلوار

ترجمة وتقديم : فتحي العشري

جاكوب وسان بول روه . . ونتيجة لجهده الخارق قضى شهراً في مستشفى الأمراض العصبية بسان ألان بعدها طاف ببلدان كثيرة وتوقف فترة

في سويسرا ليصدر في نفس العام ١٩٤٢ ، ديوانه الأول عن المقاومة بعنوان « الكتاب المفتوح » ، وأصدر في العام التالي ديواناً آخر بعنوان « شعر وحقيقة » ، وأصدر في العام الثالث ديواناً ثالثاً بعنوان « الموعد الألماني » .

ومرة أخرى تخف حدة التزامه في الشعر ، ولكنه يظل يعان به كما يظل يغازل تلك اللغة البريئة التي اكتشفها مع شبابه فيصدر ديوانين أولهما عام ١٩٤٦ بعنوان « شعر غير ممتور » وثانيها عام ١٩٤٨ بعنوان « القصائد السياسية » .

في كل هذه المراحل كان ايلوار يعبر عن الحياة والإنسان ، كان يحس احساساً طاغياً بالعلاقة الشائكة بينها ، تلك العلاقة التي تجمع دائماً وأبداً وفي كل الأحوال بين احساسين متناقضين تماماً : السعادة والشقاء . . وفي هذه القصائد . . ألوان العصر . . يمزج بول ايلوار بين موسيقية الشعر ، ولونية الشكل ، من خلال بعض مشاهير الفن التشكيلي المعاصر ، الذين رأى في السوانم وخطوطهم أصرخ تعبير عن روح العصر . . عصر الألوان أو ألوان العصر على حد تعبير بول ايلوار .

وفي هذه القصائد يحاول بول ايلوار أن يؤكد رؤيته الخاصة في نوعية العلاقة بين الصورة الشعرية من ناحية والصورة التشكيلية من ناحية أخرى ، وكيف أن العلاقة بين كلا الفنين هي علاقة تكامل وتكامل أو امتزاج وتمزج ، فالصورة في الشعر موسقة وفي التشكيل ملونة ، على نحو يجعلنا نسمع الصورة ، ونرى الموسيقى ، وكأننا نستخدم العين التي تسمع والأذن التي ترى .

وهذا هو الجديد في رؤية بول ايلوار ، وهي الرؤية التي جسدها شعراً من خلال لوحات . . جورج براك . . بول كلي . . بابلو بيكاسو . . خوان ميرو . . جيورجيو دي كيريكو . . هانز آرب . . ترى . . كيف نغني بول ايلوار . . بلوحات كل من هؤلاء ؟

محموق القوام ، مستطيل الوجه ، نافذ العينين ، حاضر الذهن ، مرح الطباع صوته أجش في الحديث وفي القاء الشعر ، شعره وشعر الآخرين . . أنبق المظهر ، متزن التصرفات ، رقيق التعامل .

ولد بول ايلوار في سان دونيس عام ١٨٩٥ ، وتزوج من سيدة رشيقة هيفاء ووقور اسمها « نوش » ظلت كما ظله ، وظلت « موديلاً » لشعر الحب الذي حظي بالكثير من قصائده الناعمة العذبة .

تأثر ايلوار في صباه بشعراء الذات الثلاثة جورج دوهاميل ورونيه اركوس ولابيه دي كريستال الذين برزوا في أواخر القرن التاسع عشر .

في العشرين من عمره بدأ ايلوار يبحث عن لغة خاصة به ، ولكنه سرعان ما وجد في السورالية شكلاً مناسباً للتجديد الشعري الذي يحلم به ، وأسفرت غنائيته في الشعر عن اكتشاف علم خاص بالكلمة يستمد مضمونه من المأثور الشعبي والحكم والأمثال المتداولة . . ولهذا حاول ايلوار أن يفيد من تراث الشعر الفرنسي بعد أن اقتطف لنفسه « مختارات شعرية » يلجأ إليها ، ويبث فيها الحياة من جديد ويشكل أكثر جدة . . وأصدر ايلوار هذه « المختارات الشعرية » عام ١٩٥١ .

أما أشعار ايلوار التي نظمها في فترات متقطعة فقد صدرت في عدد من الدواوين أولها « عاصمة الأم » عام ١٩٢٦ ، ثم « الحب الشعر » عام ١٩٢٩ ، ثم « الزهرة للجميع » عام ١٩٣٤ ، ثم « الموت لعدم مجيء الموت » في العام نفسه .

وعبر ايلوار بشعره الى مرحلة أخرى سماها « مرحلة البساطة » جاءت على العكس تماماً من المرحلة السورالية الأولى ، وظهرت أشعار هذه المرحلة في ديوان « العيون » عام ١٩٣٦ وفيه عاد الى اللغة السهلة البسيطة والخالية من تعقيدات الخيال . . فهو هنا يخاطب كل الناس بلغة كل الناس ، ويستخدم الكلمات التي يتداولها الجميع . . ومن هنا ظهرت براعته في التواصل السريع مع القارئ أو المستمع من خلال أشعاره .

وتوقف ايلوار فجأة عند مرحلة طارئة سماها « المرحلة الملتهمة » ، ففي عام ١٩٣٨ هزته أحداث الحرب الأهلية الأسبانية وضحتها الشريرة بلدة « جرنیکا » التي نعاها في ديوانه « عبدة الطبيعة » ثم اشتد انفعاله وأخذ يسير في هذا الطريق فاصداً نهابته عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، فاشترك في أعمال المقاومة شأن شعراء المقاومة لوركا وماكس

جورج براك

طائر يطير ،

يهجر الأعالي كما لو كانت غلالات عديمة الجدوى،

لم يخش الضوء أبداً ،

حبس أجوائه ،

لم يسقط له ظل ،

قشور الحصاد هشمته الشمس ،

كل الأوراق في الغابات تقول نعم ،

لا تعرف إلا أن تقول نعم ،

كل سؤال ، كل جواب ،

والندى يتدفق في أعماق النعم ،

رجل رقيق العينين يصف سماء الحب

يجمع منها الروائع

كما تجمع الأوراق في الغابات

كما تجمع الطيور في أجنحتها

وكما يجمع الرجال في الشمس

• عازف الريشة .. والسكين •

ولد جورج براك بمدينة أرجونتوي الفرنسية في الثالث عشر من مايو عام ١٨٨٢ لجد وأب لهما علاقة بالفن التشكيلي ، فالأول كان تاجراً لأدوات الرسم والأخير كان بائعاً للوحات الفنية .. فتح براك عينيه إذن على الألوان ، واختبر أنفه رائحة الزيت والجواش فالتحق بمدرسة الفنون الجميلة « القسم الحر » وهو بعد تلميذ بمدرسة الليسيه .. وكان براك يتمتع بحبوية ولباقة بدنية وصفاء ذهن نتيجة لممارسة رياضة السباحة والملاكمة ، والدراجات ، فضلاً عن حبه للرحلات وعشقه للموسيقى، إلى جانب إجادته للعزف على الفلوت .. ولم نعه فترة الخدمة العسكرية عام ١٩٠٢ عن متابعة كل هذه الهوايات التي تركزت في هواية واحدة سرعان ما تحولت إلى طريق ومستقبل وحياة خاصة ، بعد أن تخرج في أكاديمية هامبير للفنون عام ١٩٠٦ ، وعرض أولى لوحاته في منطقة أوتفير .. جاءت هذه اللوحات الأولى استجابة مباشرة لتيار « الحوشية » الجارف الذي كان « ماتيس » قد أطلقه منذ عام واحد .. ولكن يراك لم ينحرف تماماً في هذا التيار ، فبعد عشرين لوحة فقط أحس بان « الحوشية » تضحي بالشكل في سبيل الألوان ، بينما يريد هو أن يوفق بينهما .. فبدأ بتجربة اللون الواحد ودرجاته ، مستفيداً من تجارب « سيزان » الناجحة في مجال اللون بشكل عام .. أما في التكوين فقد استعان بفرن « الأرابيسك » وأن أدخل عليه بعض التعديلات أو التغييرات ، فقد حوّل الخطوط المستقيمة إلى زوايا ومثلثات ودوائر .. ورُفضت هذه اللوحات من صالون الخريف عام ١٩٠٨ ، فزاده ذلك الرفض اصراراً على مواصلة طريقه وتحقيق استقلاليتيه ، وفرض أسلوبه .. فبعد أن عاب الناقد التشكيلي « فوكسيل » على براك انغماسه في الأشكال الهندسية وبخاصة المكعبات ، اكتشف براك ومعه بيكاسو عام ١٩٠٧ في حضرة الشاعر « ابولينير » ما سمي « بالتكعيبية » التي سادت فترة طويلة وجذبت إليها عباقرة الفن في ذلك الوقت .. هذه التكعيبية ذاتها هي التي دفعته إلى الاهتمام برسم « الطبيعة الصامتة » .. فظهرت الآلات الموسيقية وأبرزها الكمان والفلوت ، ثم لجأ إلى محاولة إيجاد هذه الآلات بطريقة بارزة حتى تكتسب حياة ملموسة فأدخل « الكولاج » أو القص واللصق مستخدماً ورق النوتة الموسيقية والأوتار والخشب وتوسع بعض الشيء في استخدام الألوان فأضاف إلى جانب الأسود والرمادي والبيج ، الأزرق والأخضر والأصفر .. وأدخل الحروف الهجائية البارزة مكوناً أسماء شهيرة مثل « باخ » و« بال » .. أصيب براك أثناء الحرب العالمية الأولى في يوم عيد ميلاده الثالث والثلاثين ، كما أصيب في أعقاب الحرب العالمية الثانية بمرض غريب ولكن فوزه « ببياتلي فينسيا » عام ١٩٤٨ أعاده إلى فنه المنتشر في معارض فرنسا والمجلترا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة حتى رحل في آخر أغسطس عام ١٩٦٣ عن واحد ولثمانين عاماً حافلة بالانطلاق والعطاء الفني ..



بول كلي

على المنحدر الخطر ، يفيد المسافر
من فضل النهار ، والندى بلا حصى
والعيون المزقة بالحب ، تكشف عن موسمها
وهو يلبس في كل الأصابع خواتم من الكواكب الكبرى



وعلى الشاطئ ترك البحر أذنيه
وتركت الرمال المحفورة على المكان آثار جريمة جميلة
إن العذاب أشق على الجلادين منه على الضحايا
والخناجر علامات ، والرصاصات دموع

● موسيقار الشكل .. والمساحة ●

ولد قبل أن ينقضي عام ١٨٧٩ بثلاثة عشر يوماً بالقرب من مدينة « برن » بسويسرا لأبوين سويسريين .. ولكنه نشأ نشأة ألمانية ، فقد التحق بعد تسعة عشر عاماً من مولده بمدرسة الفنون بميونخ وتخرج فيها ليمارس الرسم الكاريكاتوري الذي لم يتفق مع سخريته اللاذعة وطبيعة بول الشاعرية .. فلجأ الى التصوير بمعناه العريض متأثراً بالفن الحديث المزدهر في فرنسا .. ومع بداية عام ١٩٠٦ تزوج كلي من ليلى ستامب عازفة البيانو الشهيرة .. وفي سنة ١٩٢٠ كون مع كاندنسكي وجافلنسكي وفاينتجر جماعة « الأربعة الزرق » .. وقام بزيارة فنية أثرية إلى كل من مصر وصقلية .. ولكنه أصيب بمرض خطير عام ١٩٣٥ عاقه عن مواصلة عمله حتى رحل في ليلة ٢٩ يونيو قبل أن ينتصف القرن العشرون بعشر سنوات كاملة بعد أن لقب بموسيقار الشكل والمساحة ، وتميز فنه بالبساطة والعفوية وغلب على شخصيته هدوء الطبع وكان كلي فناناً تشكيمياً سسيكولوجياً ، فقد استوعب فكرة الأحلام وأفاد منها في رسومه السورالية ، واعتمد في ذلك على الرموز وأبرزها « السهام » التي يشير بها الى عالم الانسان الداخلي ميتافيزيقياً واجتماعياً ، مع التأكيد على أهمية الألوان ودورها الحقيقي في التصوير الحديث ، فهو يأخي بين الأزرق الزاهي والرمادي الداكن على مساحة مسطحة لا تموج فيها ولا انكسار ، ويمزج الأخضر بالبرتقالي والموف بالذهبي لتتحول الألوان الى أصوات تصل الى الأذان مثلما تصل الى العيون .. ولم يكن بول كلي يهتم بوضع عنوان اللوحة حتى يترك للمشاهد حرية الاحساس بما يشاهده ، لأنه كان يخاطب عقليات ومشاعر مختلفة ومتنوعة تبدأ من الطفل ولا تنتهي عند سن محددة .. وكما فعل الشاعر لافونتين في قصصه مخاطباً الصغار والكبار معاً ، مرتفعاً الى مستوى التصوير ، استطاع بول كلي أن يرتفع بالتصوير الى مستوى الشعر ..



بابلو بيكاسو



أسلحة النعاس اخترقت الليل
والأخاديد الرائعة التي تفرق بين رؤوسنا
من خلال الماس ، كل الأوسمة مزيفة
تحت السماء البراقة ، الأرض لا ترى



وجه القلب فقد كل ألوانه
والشمس تبحث عنا ، والجليد أعمى
إذا هجرنا الأفق ، فالأفق له أجنحته
ونظراتنا على البعد تبدو الأوهام

● فنان القرن العشرين ●

ولد بابلو خوزيه رويز بلاسكو أو «بيكاسو» بمدينة ملقة الإسبانية في اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٨١ . . كان والده يعمل مدرساً للرسم بمدرسة الفنون وكان يهتم برسم الطبيعة الصامتة والطيور خاصة الحمام ، ولعل هذا هو ما أثر على بيكاسو في اختياره الحمامة رمزاً للسلام عام ١٩٤٩ ، وكذلك الحيوانات خاصة الشيران . . والتحق بابلو ابن الخامسة عشرة بمدرسة لالونجا وعُرضت لوحاته المبكرة في معرض مدريد عام ١٨٩٧ ثم التحق بأكاديمية سان فرناندو بـ «مدرسة» ، ولكنه سرعان ما ضاق بالدراسة الأكاديمية وقرر أن يتعلم من الطبيعة . . ومع مطلع العام الأول من قرننا العشرين ، سافر بابلو إلى باريس وهناك باع أولى لوحاته بمائة فرنك . . وظل يبيع لوحاته في حي مونمارتر ويسكن على أسطح المنازل ويستخدم اللون الأزرق الشاحب ويؤمن بأن الفن وليد الحزن والألم حتى بدأت شهرته تفوق كل التوقعات ، الأمر الذي أراحه مادياً ، فراح يبتسم بألوانه للحياة ، كما تفرغ تماماً للإبداع . . اكتشف «التكعيبية» من خلال لوحته الشهيرة «فتيات آفيتيون» ، ثم غرق في «الكولاج» بأنواعه المختلفة مستخدماً الحروف البارزة والخشب والرخام وقصاصات الصحف وورق الخائط ، ثم عاش مع «البالية» ، فسم ديكورات باليه دياجيليف وبطلته «اولجا كوكلوفنا» التي تزوج منها بعد ذلك . . وبعد أن رزق بيكاسو بمولوده الأول «بول» في عام ١٩٢١ طرق أبواب «الكلاسيكية الجديدة» وأدخل موضوع «الأمومة» إلى لوحاته ثم تطرق إلى «السوريالية» التي اشتهر بها أكثر من غيرها . . وفي عام ١٩٢٩ تفرغ لفن النحت ، وكتب عدداً من القصائد الرمزية . . وتعد لوحته «جرنيكا» التي رسمها متأثراً بأحداث القرية الإسبانية التي ضربها الألمان ، أضخم عمل فني عرفته الفنون التشكيلية على الإطلاق . . ومثلما قرض الشعر كتب مسرحية من فصل واحد بعنوان «الرغبة مشدودة إلى ذيلها» ولكنه عاد إلى فنّه الأثير «التصوير» بعد أن أنتج التي قطعة من الخزف . . ورحل بيكاسو قبل أن يبلغ الثاني والتسعين بمائتي يوم ، أي قبل نهاية قرننا العشرين بستة وعشرين عاماً ومائتي وسبعة وستين يوماً على حسب التوقيت الباريسي . .

جان أرب

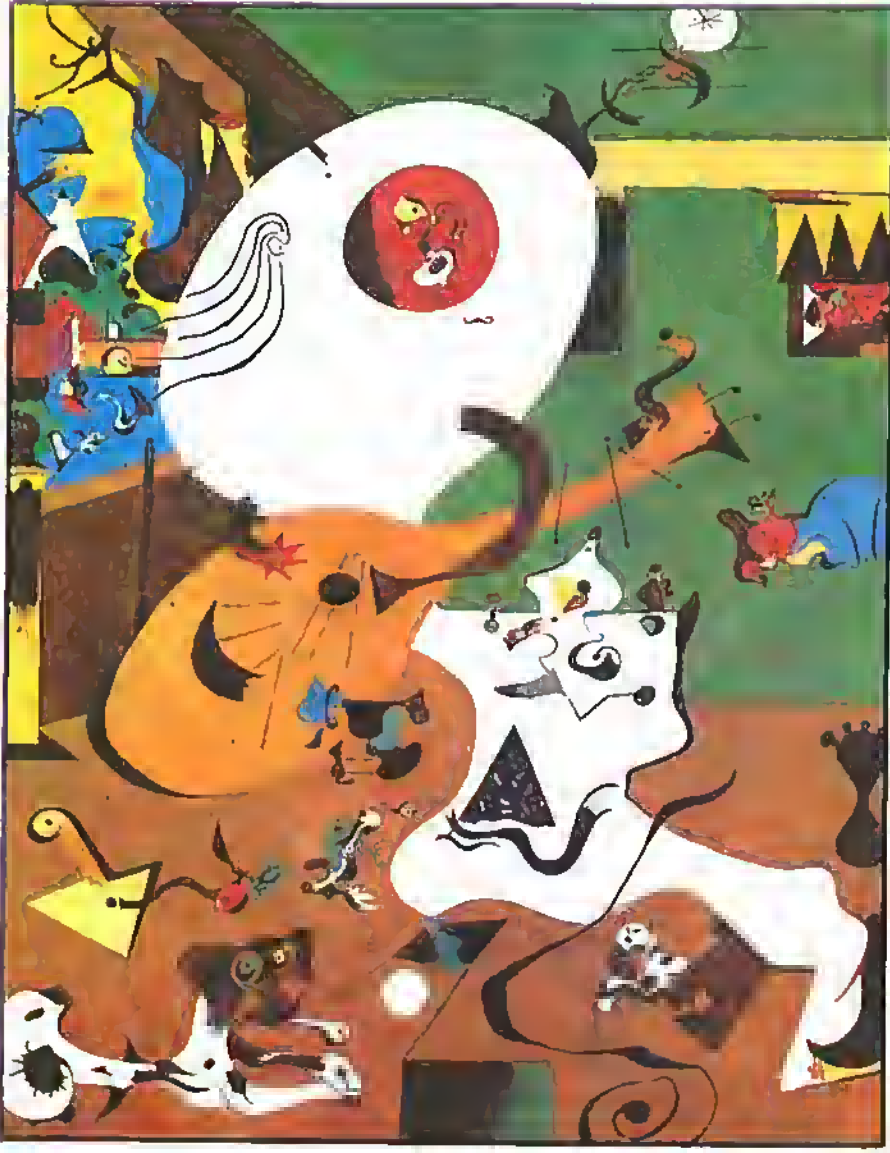


در بلا ظلال
في أقواس بلا ابتسامات
ظلال ملتحية
تسجل همهمات الحركة
وأدق دقائق الرعب
ابحث تحت الرماد البارد
عن أصغر العصافير
التي لا تخفض أبداً أجنحتها
لأنها أبداً تقاوم الريح

● أستاذ الكتلة .. والفراغ! ●

ولد جان (هانز) أرب بستراسبورج بالألزاس عام ١٨٨٧ ، وتلقى دروسه الثانوية بباريس . نعرّف إلى ماكس ارنست وبول كلي وكاندنسكي في بداية حياته الفنية . ولكن علاقته القوية بـارنست جعلته يقيم فترة طويلة معه بزيوريخ ابتداء من عام ١٩١٦ ، حيث ظهرت « الدادية » على يديه وتأثر بها ارنست تأثراً كبيراً . . ثم عاد أرب الى باريس حيث انتشرت السوربالية انتشاراً مذهلاً ، عطّل نحو المذاهب والأساليب الأخرى التي وُلدت معها أو قبلها بقليل ، وأبرزها الدادية . . فلم يستطع أرب أن يغالب تيار السوربالية الجارف ، بل أصبح علماً من أعلامها بعد بيكاسو . . وقد أضاف أرب الى سوربالية بيكاسو المتدفقة ما أسماه « الرمزية الجنسية » برسم أشكال غريبة ولكنها موحية ومعبرة وذات دلالة إنسانية غامرة . . وفي إطار السوربالية أيضاً أدخل أرب « الكولاج » أو « القص واللصق » مستخدماً الورق المقوى والسلك سكرين والجواش بطريقة « السيريجرافي » المحدودة النسخ عند السحب على النسخة الأصلية التي تبلغ في المتوسط ٤٠ سم طولاً في ٣٠ سم عرضاً . . وعرض أرب في معارض باريس ولندن وليدز ونيويورك . . ثم تفرغ لكتابة « مذكراته » الشخصية والفنية التي ظهرت عام ١٩٤٨ فقد عُرف أرب بحبه للكتابة إلى جانب عشقه للفن ، ولكنها الكتابة التي تدور في فلك الفن دائماً ، الى درجة أنه كان يقترب من النقد الفني في وقت لم يدع فيه عمالقة الفن - الذين ظهروا معاً وفي ظروف متشابهة - فرصة كاملة لظهور نقاد فنيين على مستواهم ، فيما عدا « اندريه بریتون » أوبر السوربالية (من وجهة نظر فكرية) و « بول ايلوار » صديق الفنانين (من وجهة نظر إنسانية) و « اندريه مالرو » راعي الفن (من وجهة نظر حضارية) . . ولهذا صرح أرب بقوله « لو لم يعترف بي منذ البداية كفنان تشكيلي لأصبحت الآن ناقداً تشكيلياً » . . وفي عام ١٩٦٦ وفي مدينة بازيل شفايز توفي جان (هانز) أرب عن تسعة وسبعين عاماً عامرة بالفكر والفن . .

خوان ميرو



شمس الجراح سـجينة رأسي
تـحرق التـل وتـحرق الغـابة
السـماء أـجـل من أي وقت مضى
وفراشات الأعناب
ترسم عليها أشكالاً محـددة
أنثرها بحركة واحدة

سحب اليوم الأول
غيوم خفية ولا مشروعة
شرانقها تحرق
في نار نظراتي الهشيمية

وفي النهاية ، لكي يمكن التدثر بالفجر
لا بد أن تكون السماء أيضاً في نقاء الليل

● شاعر الخط... واللون! ●

ولد خوان ميرو ببرشلونة عام ١٨٩٣ والتحق بكلية الفنون الجميلة ولم يبلغ بعد الرابعة عشر من عمره .. وقد أفاد ميرو من رسوم الرومان التي تغطي جدران كنائس قريته الصغيرة ، ولكنه لم يقف عند خطوطهم الحادة وأشكالهم المحددة ، ولكنه أفاد من الرسوم البيزنطية ، وإن تنازل عن خطوطها الواضحة ومعالمها الصريحة ، وأفاد من فناني القرن التاسع المجهولين وخاصة في تحديد المساحات والألوان والأشكال وأفاد من فنون الشرق وخاصة في إبراز الخطوط أو في الخطوط البارزة ..

جمع ميرو كل هذه الخصيلة الهائلة واستوعبها تماماً ثم رحل إلى باريس عام ١٩١٩ ، فوقع أسير « التكعيبية » الوليدة ، ولكنه سرعان ما أفلت من قبضتها ليرتمي في أحضان « السورريالية » المكتسحة ويحاول أن يتخطاها إلى ما سماه « ما فوق السورريالية » أو « ما فوق الواقع » .. ومن هنا لجأ ميرو إلى العلامات والبقع والدوائر والخطوط المتنوعة وغير الثابتة .. واستطاع ميرو أن يحطم ذلك الجدار القائم بين الشعر والنصير ، دون أن يخلط بين أدواتها وطبيعة كل منها ..

ويقول الشاعر الفرنسي « ريمون كينو » عندما يبدأ ميرو في رسم إحدى لوحاته ، لا يكون ميرو وإنما يكون أي فنان ، ولكنه عندما ينتهي من اللوحة فإنه يصبح « ميرو » وليس أي فنان .. وعلى هذا فإن كل لوحة من لوحات ميرو هي فصل كامل متكامل ، مغلق على نفسه ، وإن احتوى في دخیلته حواراً مختصراً لحوار طويل لا يعدم النغم أو التنعيم ، فإن جاء حزناً فهو ذلك الحزن الوردی الذي يصاهر بين التصوير والموسيقى ، كما صاهر من قبل بين التصوير والشعر .. فالركيزة المحورية في فن ميرو هي الإيقاع على الرغم من تشخيصه أو « التشخيصية الجديدة » التي ابتدعها ميرو شاعر الخط واللون ..



جيورجيو دي كيريكو

جدار يشي جدار آخر
والظل يحمني من ظلي المرتحف
يا برج حي حول حي
كل الجدران تتعاقب بيضاء حول صمتي

أنتِ عما كنت تدافعين ؟
أيتها السحب الجامدة النقية !
كنت تأوينني وأنت مرتعدة .. والضوء ساطع
ونجوم النهار بين الأوراق الخضر

ذكرى من كانوا يتحدثون دون أن يعلموا
سادة ضعفي ، وأنا مثلهم
بعيون الحب ، وأيد غاية في الاخلاص
لاخلاء عالم أنا عنه غائب

● كلاسيكي في العصر الحديث ! ●

ولد جيورجيو دي كيريكو بمدينة جريس الايطالية عام ١٨٨٨ ، وطرق عالم الفن التشكيلي من أوسع أبوابه . . فقد التحق بأكاديمية الفنون بأثينا ثم بميونخ وتأثر ببوكلين . . وتعلم الفنون الكلاسيكية والحديثة ثم مارس التصوير دارساً وهاوياً ، ماراً بكل المذاهب والمدارس والاتجاهات والأساليب . ومع هذا بدأ حياته الفنية العملية في باريس من ١٩١١ الى ١٩١٥ مناصراً للسوريالية ، متزعماً لحركتها في الجناح الايطالي بعد عودته الى وطنه . . وقد عبر عن هذا الانتماء هو ومجموعة الفنانين الايطاليين ، ومنهم كارلو كارا و موراندي في بيانهم السوربالي الذي بعثوا به الى « بريتون » عام ١٩١٧ . . فدعي كيريكو لعرض أعماله السوربالية في باريس عام ١٩٢٠ . . ولكنه عاد في عام ١٩٣٠ الى تتبع خطى الأقدمين أو من سماهم « المعلمين القدامى » بعد أن قرر هجرة « الفن الحديث » الذي يسير في طريق مسدود برؤية ضبابية ومجهولة ، من وجهة نظره . . فعني بالآثار الرومانية وشغل بتصوير الصحراء الشاسعة والقلاع الحصينة والأبراج العالية واقترب من « فن الديكور التصويري » إن صح التعبير . . ولهذا اعتبر « كيريكو » مرتدّاً عن الزمن المعاصر ، خارجاً على روح العصر . . وقد علّل النقاد موقف « كيريكو » الغريب والمفاجيء بالفشل وعدم النجاح في الوصول إلى قمة عالية ، من قم الفن الحديث عامة والسوربالية على وجه الخصوص . . وفسر هؤلاء النقاد لجوء كيريكو الى الصحراء بدافع نفسي للهروب من المدينة والمدنية ، كما فسروا هروبه الى القلاع بأنها وسيلة نفسية يحتمي داخل تحصيناتها المتينة من مطاردة الفن الحديث أما صعوده الى قم الأبراج فتعويض نفسي عن عدم تمكنه من الصعود الى قم الفن المجهول كما يجب هو أن يسميه . . ومع هذا عرض « كيريكو » أعماله « الكلاسيكية الجديدة » في روما ولندن وشيكاغو ونيويورك ، فلاقت نجاحاً كبيراً ، وضع هؤلاء النقاد أنفسهم في حيرة شديدة من أمر كيريكو وأمر الفن وأمر جمهور الفن جميعاً . .

لوحة الفنان



● التحطيب

بالملمس التلقائي والإحساس الإنساني يصور الفنان «علي دسوقي» لوحاته التي يستقي موضوعاتها من «القرية المصرية».. ولأن «فن الباتيك» لا يعتمد على الوحدات الزخرفية، يلاحظ أن الألوان تقترب من التصوير الزيتي وتعطي إحساساً بالمكان وبجوه العام، فهي «ألوان بيئية» إن صح التعبير.

وهذه اللوحة «التحطيب على الجياد» تختلف في تركيبها عن التحطيب بين شخصين، ذلك أن العنصر الإنساني قد أضيف إليه عنصر «الحيوان».. ومع هذا فقد حفلت الخلفية وبطريقة متوازنة ومتوازنة ببعدين معنويين هما «الدين والحياة» فالمسجد والناس، تعبير آخر عن قيم القرية وتقاليدها.

ولعل ما يلاحظ في النهاية هو ذلك «التقابل» ولا نقول التعارض أو التناقض، بين الألوان.. فالفارس الذي يرتدي جلباباً أبيض اللون يمتطي جواداً أسود اللون، بينما يمتطي الجواد الأبيض اللون فارس يرتدي جلباباً أزرق اللون.. وكأننا أمام فريقين ينزلان إلى أرض الملعب، أو أمام رقعة من الشطرنج ذات مربعات نصفها أبيض والنصف الآخر أسود، فوقها قطع الشطرنج ذات اللونين المحددين.. أليس «التحطيب» لعبة أيضاً؟!

● علي دسوقي

● ولد بجي الأزهر بالقاهرة عام ١٩٣٧ م.

● تخرج من القسم الحر في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة وحصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة لمدة ثلاث سنوات متتالية.

● أقام خمسة عشر معرضاً خاصاً لأعماله، كان آخرها بالمركز الثقافي الألماني بالقاهرة.

● أقام معرضه السادس عشر في كل من باريس والمغرب.

● اشترك في العديد من المعارض الدولية.

● يقف بين جيل الفنانين المصريين الشباب الذين استطاعوا أن يقدموا رؤاهم الخاصة ذات الملامح المميزة للحركة التشكيلية المصرية المعاصرة منذ بداية

الستينات.. فتميزت أعماله بالأصالة والصدق والحس الإنساني والقدرة على استشعار الذات التي تملك أدوات التعبير بمتراذفات وأبجديات تشكيلية خاصة.

● والرؤية الشعبية عند هذا الفنان لا تنبع من الموضوع الشعبي بواقعية ولكنها تدور حول ما ترسب في الوجدان من صور وغاذج وأشكال.

● وترتبط موضوعات هذا الفنان بإيقاع واحد متناسق حول الحياة الشعبية في أحياء القاهرة القديمة وما تزخر به من غاذج وصور.

● من أعماله: البلياتشو، السبوع، غزل البنات، أحزان مصرية (٦٣) من الأقصر والقرنة (٦٤) أحزان الجليل، فتيات جبل النرجس، سوق البرسيم، الماعز (٦٨).

● في هذه اللوحات يضع الفنان أشكاله وشخصه في مسطحات لونية عريضة ومنبسطة كثيفة ومركبة في الوقت نفسه، أما هارمونية الألوان فتقوم على إيجاد نسب توافقية منظمة بين الكتلة والفراغ مما يعطي الشخص والأشكال أوضاعاً مريحة في نسيج حائطي ينفر من التجسيم.

● تعكس أعماله بصفة عامة تعاطفاً شديداً نحو الفنون البدائية بفطرية وتلقائية ذات إحساس بكر وبسيط من خلال تصورات ذهنية مركبة.

● وقد أصبح اللون عنده هو لغة التعبير التي تملك القدرة على إستحضار المكان، كما في لوحات العروس، والنيل، ومراكب الصيد، وهذه اللوحة «التحطيب».





المعادن التاريخ.. والصناعة

بقلم: ه. ليستر • ترجمة: محمد فكري أنور

ولقد أدى استعمال المعادن - الذي ظهر جلياً في الحربين العالميتين الأخيرتين.. حيث جرت المعارك بأسلحة مصنوعة بآلات معدنية، الى تغيير ملكية مصادر المعادن، وذلك حقيقة هامة نواجهها عند تحديد استراتيجيات المعادن.

ان العالم اصبح متشابكاً نتيجة «التوصيلات» المعدنية التي ربطت اجزائه الى بعضها البعض. لذلك فمن الانصاف القول بأن الزيادة المائلة في استعمال المعادن هي التي حددت هوية الحرب، وهي المسؤولة عن التغيرات الاجتماعية التي طرأت. حقاً إنه من الصعوبة بمكان، تصور الحياة المعاصرة بدون وجود المعادن.

وقبل أن نناقش إمكانيات المعادن.. نلك التي جعلتها صالحة لكافة الأغراض المتنامية التي نرشحها لها.. نرى لزماً علينا الفاء نظرة سريعة على تاريخ استعمال المعادن.. ففد كان ما حققناه من فهم للطبيعة الفعلية للمعادن.. فيها فاصراً على امتداد مئات السنين الماضية.. ذلك الفهم لتكيب المعادن وامكاناتها والذي لم ينحرف الأ في غضون القرن الماضي.

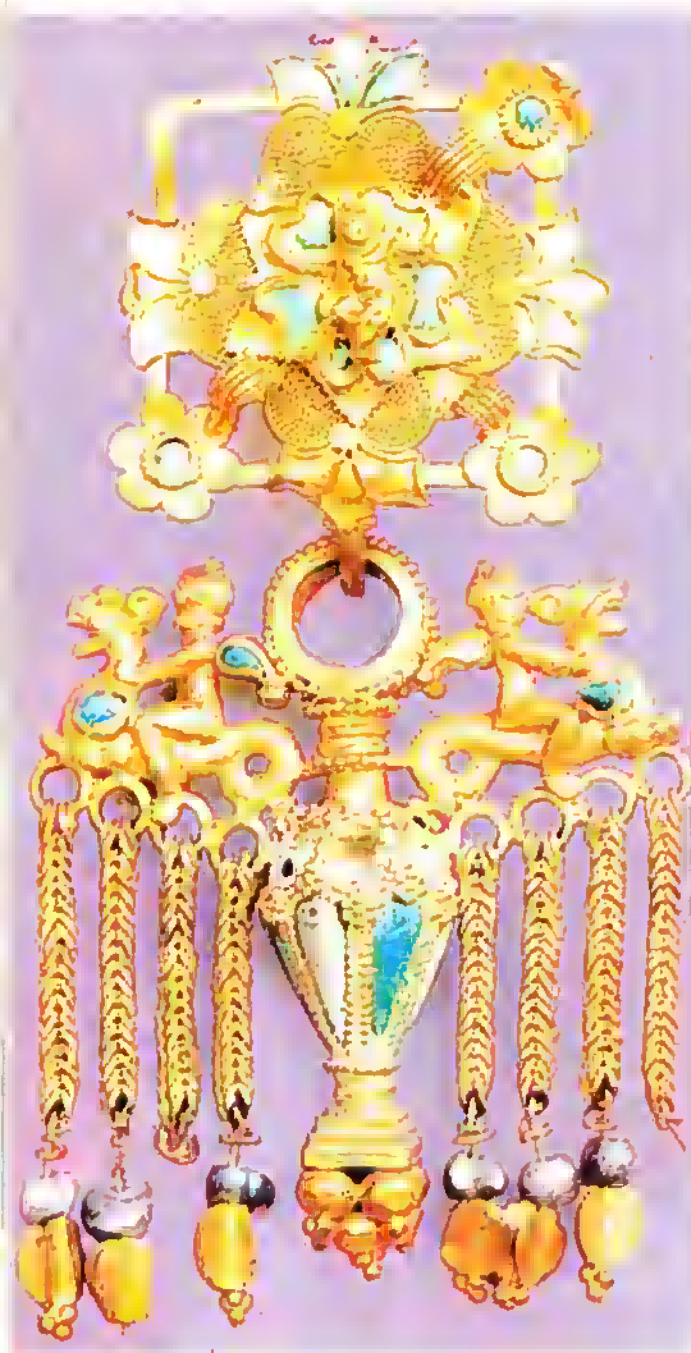
لقد تخففت إنجازات اجتماعية كبرى نتيجة إمكان بعث الرسائل بواسطة المواصلات المعدنية.. أدى ذلك الى ربط اجزاء العالم، في وحدة عضوية متكاملة، بتزويده بنظام من «الأعصاب» كان من آثاره أن أبة أحداث نفع في جزء من المعمورة «نحسها» باقي اجزائها في التو والساعة.. وذلك حقيقة لها مزاياها العديدة.

ان علماء الأحياء يصنفون الكائنات الحية حسب مافي جهازها العصبي من تعقيد. ونحن نعيش في عالم ذي إمكانيات حبابية راقية التنظيم، أكثر مما عاش به أبائنا، إلا أننا لا زلنا نحاول تحقيق التوازن لانفسنا مع ظروف حياتنا الجديدة والتي تؤدي أحياناً الى نتائج نفثت فبنا الأعصاب.

هناك حقيقة لا تفيل جدالاً.. قولنا ان الاسلوب المعاصر للحياة في كافة المجتمعات المتطورة يعتمد، أساساً على استعمال المعادن.. وان ممارسة الحياة بدونها أمر في حكم المستحيل.

نحن عندما سخرنا الكهرباء لخدمتنا كان اعتمادنا مثلاً على المعادن.. نظراً لفقدانها على «النقل» أو «التوصيل». ذلك ان «الكابل» الذي نمده عبر مرقد المحيط، ويضم عدة أسلاك نحاسية يغطيها غلاف رقيق من المطاط.. اذا وصلنا أحد طرفيه بتيار كهربائي فإنه يصل الى مناهه مها بعدت به المسافة.

ويا للعجب.. ان ينتقل التيار الكهربائي بامتداد الاسلاك عدة آلاف من الأميال في حين لا يستطيع عبور بوصة واحدة من مادة عازلة بإمكانها قطع الطريق عليه دون مناهه.



طراوة نسجه، لأن أنسجة النباتات كالنبيل والقطن، والأنسجة الحيوانية كالصوف والحرير ننحدر في لبيها وفدوتها على مقاومة التمدد. ويمكن غزلها على هيئة خيوط أو نسجها لتصبح فاشاً.

على أن عصر التكنولوجيا، الذي نعيشه الآن، يوفر لنا سلسلة من المنتجات الصناعية كبداية للمنتجات الطبيعية التي استعملها الإنسان البدائي. بيد أنه يجب أن ندرك كيف أننا في جميع الأحوال نسنبت بدائل نعبر بمثابة «نقل» للمواد الطبيعية. وعلى ذلك يعتبر التوسع في استعمال الخرسانة دليلاً على تطور فن صناعة الأحجار الصناعية.

أما الأنسجة الصناعية مثل الرايون أو النايلون، فنحتل مكان القطن والصوف والكتان. كذلك يتزايد استعمال البلاستيك، الذي نمثد جذوره إلى استعمال الإنسان البدائي لقرون الحيوان. وهو مادة أخرى ذو إمكانيات خاصة تساعد على الانشاء في جميع الجهات دون أن يتضمن بذرة من خشب.

في هذا المجال نحن نخطو على آثار أجدادنا الأولين، رغم أننا نصور لأنفسنا أن تلك المواد انما تجمع من الغابات والحقول. بيد أن لهذه القاعدة عدة استثناءات منها أننا - فعلاً - استطعنا تطوير استعمالات المطاط الطبيعي فاصبح لدينا إنتاج صناعي منه، وهو اكتشاف جديد حقاً. نستطيع نسبه لأنفسنا إذ لم يعرف أجدادنا الطاقات الهائلة لسحب المواد ومطهرها دون أن ننكسر - إلى جانب مقاومتها لآثار الاحتكاك.

وباطلال القرون المبلادة الأولى كان ما يستعمله الإنسان من معادن لا يتجاوز السبعة وهي :-

• النحاس والحديد والرصاص والصفير... للأغراض الهندسية.

• الذهب والفضة... للزينة.

• الزئبق... لعزل الذهب عن الفضة.

وهي التي لم يتغير موقف الإنسان من استعمالها حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. حين برز علم المعادن كصناعة كان لها أكبر الأثر في نهوض وتخليق كثير من الأمم.

ورغم ندرة المعلومات التفصيلية المسجلة عن كيفية إنتاج المعادن ونسجها، في الماضي البعيد (وكانت من الأسرار التي تحسد الامم على كتابتها) فقد أمكن رصد التطورات الطارئة على هذه الصناعة. من حيث استعمال الوسائل الحديثة في اختيار البقايا المعدنية المكتشفة من الحفريات.

النحاس

قلنا - من قبل - أن القبائل الرحل - منذ حوالي نصف مليون سنة - قد استعملت المعادن.

كذلك استعمل الإنسان - بخلاف ما تقرره معظم كتب التاريخ - النحاس لأول مرة قبل ستة آلاف سنة من الميلاد ووجدت آثار منه في أحواض الزسب - وكان يتم تشكيله بالطرق والصفير.

بعد ذلك بألف سنة، تعلم الإنسان «نصم» المعادن بفعل الحرارة وذلك بين مراحل الطرق... مما يسمح بانتاج رقائق أقل سمكا. كذلك أدرك سهولة معاملة المعادن عند نسخها.

وبعد ألف سنة أخرى (حوالي ٤٠٠٠ سنة ق.م) أمكن

إن معرفة التركيب الذري للمعادن وكذلك نظرية خلط المعادن قد ساعدنا الاخصائين على انتاج تركيبات معدنية بأسلوب علمي ولاغراض محددة.

مثال ذلك: التركيبات المقاومة للاجهاد وفرط الاستعمال والمقاومة للحرارة والتآكل... إلى جانب تطوير التركيبات المعدنية العالية الكفاءة والاحتفال، خصوصاً الأجزاء الهامة في صناعة الطائرات حيث أن النسبة بين الكفاءة العالية والوزن... نكتل التشغيل الاقتصادي لعالم النقل الجوي، بالإضافة إلى اعتبارات السلامة وذلك عامل له أهميته الفصوى.

وهكذا أدى استعمالنا المتزايد للمعادن إلى أن كمية المعادن الخام التي استخرجت من الأرض منذ بداية القرن العشرين تزيد على كل الكبات التي جلبها الإنسان على امتداد تاريخه الطويل.

تاريخ استعمال المعادن

ظل اعتماد الإنسان البدائي خلال نصف مليون سنة أو يزيد على النار اللينة «كالعنب والموز والجوز والبذور القابلة للمضغ» كما اعتمد في حياته على الفئص وصيد السمك.

وكان معدل استعماله للآلات محدوداً جداً. إذ أنه عاش في قبائل وحلة منتفلا من بقعة لأخرى... إما فراراً من زحف الجليد أو هرباً من الجفاف... ثم عاش في بقعة محدودة بمقاومتها بالمسافات القصيرة التي كان يحوب أطرافها - ثم سكن الكهوف.

ثم تعلم الإنسان في العصر الحجري، منذ خمسة عشر ألف سنة - كيف يصنع الآلات لأهداف معينة، كالأسلحة، والآلات التي أحس بأهميتها لحبانه، ولبناء بيته، وللزراعة التي ساعدته على ممارسة حياة أكثر استقراراً.

وكانت المواد التي استعملها في تلك التصورات هي: الحجارة، والخشب، والجلد، وأنسجة الحيوانات أو النباتات... كل حسب إمكانياتها الخاصة.

الحجر

من صفاته مقاومة التفتت، وقوة الاحتفال، والقدرة على البقاء... لأن الحجر يتأكل بنفس النسبة التي تتأكل بها الفئرة الأرضية. ومن ثم كان استعماله مثالياً في بناء الجدران وتشييد المباني.

كذلك اكتشف الإنسان - منذ تاريخ موغل في القدم - صناعة الأحجار الصناعية عن طريق حرف الطمي... وبذلك تخففت له ميزة هامة. وهي قدرته على تشكيل الأحجار حسب الشكل المطلوب: إما على هيئة «طوب» أو في أشكال أخرى كالأواني الفخارية.

الخشب

فوي، فاس، خفيف الوزن، مقاوم الضغط - ولا يمكن صبه في قوالب كما الطوب. لكن يمكن تشكيله لصناعة الدعائم والأثاث وأجزاء الآلات أو الأسلحة.

الجلد

منين. لكنه في نفس الوقت - لين العريكة. ويصلح لصناعة الأشرطة والأغراض التغليف وبكسب الجلد أهميته من

تشكيل المعادن بالقوالب الحجرية. فانتجت عدة أدوات مثل الأزاميل والفؤوس الرماح والسكاكين... الخ. في هذه الحقبة. أما العوادم المتخلفة عن صناعة تلك الأدوات فكانت تستعمل في إنتاج الخابيل الصغيرة.

ولقد أصبحت هذه العملية - في عصرنا - والتي نطلق عليها اسم « الاستئثار الواعي للعوادم » واحدة من أهم العمليات التجارية المستعملة في إنتاج مراح المعدات الجوية كما في طائرة الكونكورد مثلاً.

في حوالي عام ٢٩٠٠ ق.م تطور اتجاه عمال المعادن الى درجة عالية من الكفاءة كما يتضح في إنتاج الابرة النحاسية والاطارات الحجرية المطبقة بالنحاس في مصر. ومن آثار البورانوم التي وجدت في الحفريات قبل ثلاثة آلاف سنة من الميلاد. يتضح لنا أن الذهب والفضة كانا يستعملان لأغراض الزينة. والرصاص لصناعة الألواح والبراميل.

بعد ذلك كان انتشار اعمال المعادن بطيئاً خارج غربي آسيا. فوصل الى وادي النيل حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م لكنها لم تصل الى بريطانيا العظمى إلا بعد ذلك بثلاثة آلاف سنة.

البرونز

في ذلك الوقت مهد عصر النحاس الطريق لظهور عصر البرونز في جنوب بلاد ما بين النهرين. حيث ترجع الآثار البرونزية المبكرة الى حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. ومن ثم حل البرونز محل النحاس. نظراً لامكان الحصول على أطراف فاطعة منه أفضل منها بالنسبة للنحاس. وكانت كمية الصفيح - وهي عنصر هام في تحديد نوعية وكفاءة البرونز - تتباين بنسبة كبيرة دون توفر أبة تحاليل لتحديد على أساسها تلك النسب.

والمفروض ان بعد صهر القوالب غير الصالحة. ثم بصاف النحاس او الصفيح الى أن ينسحق الحصول على المواصفات المطلوبة. ولقد كانت أعمال البرونز اسرع انتشاراً من أعمال النحاس. وهناك اشارة الى ان الصفيح الخام كان يستورد. خلال الالف عام السابقة على ميلاد المسيح - من بريطانيا لمناطق انتاج البرونز بالشرف الأوسط.

وفى... كان استهلاك العالم من المعادن ضئيلاً جداً. ونقول احدي التفديرات أنه بلغ خلال المدة من ٢٨٠٠ - ١٣٠٠ ق.م حوالي عشرة آلاف طن فقط. ومن ثم يتضح ان المعادن كانت «مختزنة» ولم تستعمل أساساً لغير الأغراض الحربية. ولتزيين منازل سادة القوم. وبداهة.. لم تكن تستعمل في منازل الفلاحين.

من ذلك التكاليف الباهظة للجنازات الملكية ومنها جنازة «نوت عنخ امون» الذي بقدر وزن نابوته الداخلي وحده بمائتين واثنين واربعين رطلاً من الذهب. وفي اثناء حكمه (حوالي عام ١٣٥٠ ق.م) اكتشف الحديدي في مصر. إذ وجد في قبره خنجر مصنوع من الحديد.

لذلك يمكن القول بأن المعادن خلقت ثروات. ففي القرن التاسع عشر قبل الميلاد أصبح اهالي «كالتيب» KULTEPE بوسط تركيا. طيفاً من أثرياء الدولة الاشورية اذ أصبحت تلك البقعة مركزاً تجارياً لتجارة النحاس الخام. كذلك خاض «الملك سلهمان» وخلفاؤه عدة حروب مع «الابدوميين» EDOMITES بهدف السيطرة على مناجم الحديد والنحاس في وادي عربة المجاور للبحر الميت.

هكذا.. ومنذ فجر الحضارة كان البحث عن مناجم النحاس والحديد الخام هو الدافع الكامن وراء الحرب والغزو.

التي لم نكد نضع اوزارها حتى كان الغزو الاسياني للامريكيين الوسطى والجنوبية.. نحنا عن مناجم الذهب والفضة. فقد كان طبيعياً ان يعتبر الذهب هو مقياس الثروة وذلك لعدم قابليته للتآكل او للتبخر.. لذلك كانت ملكية موارد المعادن تهب ملاكها مزينين:

« الأولى: قدرة شرائية نهض بكافة احتياجاتهم.

« الثانية: المزيد من وقت الفراغ الذي يمكنهم من التفكير وتدبر امور الاسواق.

واليوم.. بنشأ نفس الموقف بالنسبة لدول البترول. ولوجود الذهب في جنوب افريقيا. ولهذا السبب ترجع قوة وثروة «البناء» اللتان نشأتا من منتجاتها من مناجم الفضة. والتي كانت من وراء أعمال ديموقريطس وارسطو والفلاطون.. وكافة اساطين مدرسة الفلسفة الاغريقية. ونحت تأثير الثقافتين الاغريقية والرومانية نشأت أعمال المعادن كتي نهج الامبراطوريتين درجة عالية من التكامل.

لقد أسس الرومان دولة تملك صناعة المعادن بمصانعها المنتشرة بطول اوروبا وعرضها لصناعة المعدات الحربية والسلع المنزلية.. الخ. وابتداءً من سنة ٢٠ ق.م كانوا يستعملون النحاس لسك النقود. مع اضافة نسبة من الزنك اليه لتراوح بين ١٢ - ٢٢٪ كي تضفي على العملة بريقاً ذهبياً. وهو ما يشبه صناعة المصوغات «المقلدة» في ايامنا هذه.

أما وقاية سطح الاواني من التآكل والتلف. والتي تعتبر صناعة هامة في وقتنا الحاضر. فقد كانت معروفة في تلك الاحقاب المبكرة من تاريخ الانسان.

كذلك عرف الاغريق الطلاء الحار للذهب عند خلطه بمعدن آخر. ومعاملة الفضة بكبريتيد الزنك ليضفي عليها ابريقاً ذهبياً اذا هوسخن بلطف. أما النحاس والبرونز فكانا يغمران في صفيح منصهر كي يأخذوا بريق الفضة. ولكي ينسحق نجاح مثل هذه العملية فقد كانت الحاجة ملحة لمعرفة شيء عن المواد المصهورة كي يمكن التجاز «نبل» النحاس بالصفيح. اما بالنسبة للحديد فقد كان يغلف بالفار والبيتومين.. او الرصاص الأحمر الذي لا يزال مستعملاً حتى وقتنا الحاضر.

سقوط الامبراطورية الرومانية

كان سقوط الامبراطورية الرومانية - على أيدي قبائل البربر خلال الفترة من ٤٥٠ - ٥٠٠ م سبباً في اضمحلال أعمال المعادن. فلم يكن أولئك البربر أكثر غدينا من قبائل البدو الرحل المبكرين. فقد غزوا روما من أجل ثرواتها المعدنية.. ومن ثم أصبح انتاج معدن جديد مسألة ليست في الحسبان. ولذلك ارتبط ذكر «عصور الظلام» بتلك التي اضمحلت خلالها الاعمال المعدنية في اوروبا.

لهذا ارتفعت قيمة المعادن المعروفة.. وازداد استعمالها في إنتاج الاسلحة.. وكان ذلك حوالي سنة ٦٠٠ م.

وهكذا ضاعت الطرق والأساليب المعدنية الرومانية ولم بعد اكتشافها واستعمالها الا في العصور الوسطى.

العصور الوسطى

شهدت الأعمال المعدنية حركة بحث جديدة في العصور الوسطى. وبالتحديد في القرن الثاني عشر الميلادي. حيث نشر المراجع الى وجود عدة مراكز صناعية آنذاك.

ففي إنجلترا مثلاً بدأت مدينة شيفلده تاريخها العريق في

صناعة الاسلحة الحادة (السلح الابيض) بما فيها السكاكين والمقصات والمناجل والسبوف.

ورغم أن الطباعة في ذلك الوقت قد غدت صناعة تعتمد - أساساً - على الانتاج المعدني فقد ظلت عملية فص «الحواف» من الأسرار الكبرى في تلك الفترة. إذ أنه كان المفهوم وقتها أن ذبوع «سر الصناعة» لعملية كهذه يؤدي الى تقليل القيمة الاقتصادية للابتكار. كما انه يعمل أرباحها مشتركة مع الجهة التي علمت بالسِر. على اننا لا نستطيع ان ننكر ان هذا الاتجاه لا يزال منتشر حتى ايامنا هذه.

حركة التأليف المعدني

كان عمال المعادن حتى وقت متأخر من العصور اميين. الا انه ظهرت عدة مؤلفات تناول علم المعادن واعمالها.. منها:

« جورج باور » كتب عام ١٥٥٣ م مقالا مطولاً بعنوان «المعادن» تناول فيه الأعمال المعدنية وغيرها.. بالنسبة.

« فانوشيو بيرينجو شيو » ألف كتاباً عن التفصيلات الكاملة لعمليات السباكة.

هذا الى جانب كتب وابحاث عديدة تعتبر علامات بارزة على طريق التأليف المعدني لكل من «بنفوتوسيللي» عام ١٥٦٨ و «جوزيف موكسون» و «جان بورزارد» عام ١٦٨٣ و «سانت ديمي» عام ١٦٩٧ م.

والى جانب هذه الأعمال فقد صدرت كتب عن الكيمياء والفيزياء.. خصوصاً تلك التي ألفها «جلوبو» و «بويل» و «هوك».. الذين كان لديهم الوعي الكامل بالاعتدال المتبادل بين كل من العلم والصناعة.. تلك الكتب التي كانت تحوي علامات وأسراراً أصبحت - فلما بعد - اساس الصناعات المعدنية.

عموماً فإن الاساليب التي تطورت بفعل التجربة والخطأ. منذ ما قبل القرن السابع عشر. كانت تقوم على أسس كهجوبة - وانه لم يكند القرن الثامن عشر بشيء حتى كانت التطورات التي حدثت في مجال العلوم الأساسية قد ألزمت بدورها في العمليات المعدنية الى الحد الذي فرض تأليف كتب جديدة في هذا المجال.

الكيمياء والمعادن

ان دلالة تلك الكتابات المبكرة عن المعادن لا يمكن تفديرها حتى قدرها الا بعد دراسة الكيمياء. فلقد بذل كيمائيو العصور الوسطى جهوداً لا تجارى في سبيل البحث عن ردود الفعل المعدنية. رغم انها لا تمثل كبير مصلحة لأعمال المعادن بمقياس ذلك العصر.

فقد كان خلط معدني النحاس/الزنك - بالنسبة لهم - والناجم من تسخين النحاس مع تراب معدن غريب يعتبر ذهباً ضئيل القيمة.. وليس نحاساً انتج من عمليات ميكانيكية منطوية.

وفي نهاية عام ١٠٠٠ م كان «بيرينجو شيو» بمقارنته بغيره من كتاب ذلك الوقت. يعتبر رجلاً عملياً يعنى بتنفيذ عمليات معدنية مع مناقشة مبدأ الربح والفائدة. ولذلك استطاع تحقيق عمليات ريفية المستوى كما نصح باحلال الالات التي تعمل بالطاقة محل العمل البدوي كلما كان ذلك ممكناً.

ولقد كان توفر موارد الطاقة المائية هو المطلب الاول في سبيل انشاء «مصهر المعادن».. اما المطلبان التاليان فكانا: الطاقة.. والنقل.

الذي تجدر ملاحظته ان اعمال «بيرينجو شيو» كانت تعكس



١ تمكنت «سانت كلير ديفيل» عام ١٨٥٤ من انتاج الالمونيوم.. وفي نفس العام قدمت مبدالية من الالمونيوم هدية الى «نابليون الثالث» وكان ثمنه عام ١٨٥٥ م هو ١٣٠ جنيهاً للكيلو جرام الواحد.. الا انه انخفض الى ثلاث جنيهات للكيلو الواحد عندما ابتكر «التحليل الكهربائي» لاكسب الالمونيوم» على يد كل من «هيرو» بفرنسا و«هول» بالولايات المتحدة الامريكية.

٢ ظلت طريقة انتاج الصلب عبر عدة قرون هي (كربنة الحديد الذي سبق تصنيعه الا ان الخصائص الناتجة كانت متباينة جدا بحيث انه لم يمكن تقديم انتاج ثابت ومماثل الا في عام ١٧٣٠ عندما استطاع «بنيامين هانتسمان» انتاج «الصلب البوتي» الذي تم فيه كربنة الحديد في طين محكم، أو في بوتقة من الجرافيت يمكن بواسطتها الوصول الى درجة حرارة عالية.

تم انتشرت هذه الطريقة بعد عام ١٧٧٠. الا انها كانت تستهلك كميات كبيرة من الفحم بمقارنتها بالمعدل الانتاجي الضئيل الذي تنتجه.. والذي يحدد كذلك بالكمية التي يستطيع العامل رفعها مع كل بوتقة.

على سبيل المثال:- فان عملية صب كمبة ضخمة من المعادن في عام ١٨٧٥ كانت تستلزم وجود ٦٧٢ بوتقة لانتاج

٢٥ طناً. وهكذا يتضح ان هذه العملية تستهلك الكثير من النفقات والوقت. الى جانب الطاقة العالية المائلة. ولذلك فهي لا تحتاج الى جهد خيالي كبير كي ننصور حجم المشاكل الناجمة عن اقامة مثل هذا المشروع.. وهي الحاجة الى «الصب المستمر»

مجلة الفيصل - ص ١٢٧

مارس كافة ضغوطه من أجل استصدار لوائح تحظر قطع الأشجار ابتداء من عام ١٦٠٠م فصاعداً.

موارد الفحم

كان الفحم اللازم لتسخين أفران الصهر متوفراً.. لكنه لم يكن يستعمل للأفران التي تعمل بالنباتات الهوائية الحارة. ومن ثم أدى العجز في موارده الى نقص خطير في الانتاج قرب نهاية القرن السابع عشر. الا أن «ابراهيم داربي» تمكن من انفاذ الموقف عام ١٧١٣. عندما ابتكر استعمال فحم الكوك في افران صهر المعادن في «كولبروكدال» ومن ثم انفذ الصناعات الحديدية في العالم أجمع.

والذكرى الحية لذلك موجودة في المنحف وفي الجسر الأول في العالم والمصنوع من حديد الزهر والذي أنشئ عام ١٧٧٩م.

ومن يعلم.. أي تأخير كان سيصيب التطور الهندسي في العالم لو لم تعرف هذه الطريقة في الانتاج الكمي للحديد؟

ومع قدوم عام ١٨٠٠م. ورغم التطور الذي لحق وسائل الانتاج. فقد كانت المعادن التي يستعملها المهندسون تختلف قليلاً - ان لم تختلف بالمرءة - عن تلك التي جرى استعمالها خلال القرن السادس عشر الميلادي.. كما انها تختلف بشكل ملموس عما كان يستعمل في العصر الروماني. أما في الخمسين عاماً التالية - فقد حدثت اختلافات كبرى هي:

نصوراً للاقتصاد الرأسمالي. فقد اوصى بأن تكون نوبات العمل بالمناجم قصيرة (من ٦ الى ٨ ساعات) وحجته في ذلك ان عمال النوبات المتجددة، وأولئك الذين نالوا فسطاً من الراحة في النوبات السابقة. سيكونون أكثر كفاءة في العمل واغزر انتاجاً. ومن ثم يصبح تخفيف الريح وشيكاً.

أما مصادره التي تلقى منها معلوماته هذه فقد كانت ملاحظاته الشخصية وتجاربه في الورش التي كان يتم فيها صهر المعادن وتشغيلها وسبكها.

على انه اذا كان تطور كيمياء المعادن في ذلك الوقت بطيئاً.. فقد كان ذلك نتيجة قلة عدد الرجال المهتمين بهذه الأمور.. بالإضافة الى ضالة التشجيع الذي كانوا يتلقونه وصعوبة انصالح بعضهم البعض.. تلك الصعوبة التي يضاعف من حدتها ان المنتج المنافس قد يضيق ذرعاً اذا حاول اخر مشاركته ما لديه من معلومات.

صناعات الحديد

بدأ الحديد - بالتدريج - بحل محل عمليات خلط النحاس كقادة لصناعة الاسلحة والادوات الزراعية.. الخ. ثم تطورت افران صهر المعادن. بواسطة النبار الكهربائي الحار باستعمال الفحم النباتي. وأدى هذا بدوره الى حدوث عجز في موارد الفحم النباتي. حيث لم يكن قد توفر بدله في مجال الطاقة لدى الكثير من الدول الاوروبية.. لدرجة ان حزب المحافظين البريطاني



ملخص البحث

• ان الصفة الخاصة بالمعادن . والتي نجعلها أساساً هاماً في صناعة المعدات والآلات والتراكيب . نعتبر خليطاً من القوة والصلابة مع القابلية للدونة . كذلك انضج لنا كيف يتألف هذا الخليط المتميز من خواص متناقضة

• قد تتميز بعض الاجزاء المعدنية من الآلة بشي من المدونة . لكنها يجب ألا تخضع للشوكة الكامل عن طريق المجموعات الذرية الراسية عليها .

• انضج أن الالياف الدقيقة الزجاج السيلكا قد تكون في نفس قوة الصلب لو أنها كانت طازجة وغير قابلة للتشريح . الا أن مجرد لمس سطحها يجعلها ترتجف بسرعة تحت تأثير الذرات . ورغم ان الزجاج أكثر صلابة من الصلب . الا انه لا يمكن صناعة الآلات من الزجاج لأن صدمة واحدة قد تحطمها الى فترات صغيرة . ومن ثم يمكن الاعتماد على المعدن لأنه يعرف مني بخضع لما يتعرض اليه من صعد . واداً خضع له فانه يزداد قوة وصلابة .

• يعتبر فن معالجة المعدن بالخلط والحرارة كي يتناسب مختلف الاعمال الميكانيكية مسألة مشكوكاً فيها . فهو يزداد صلابة عند الطرن والدق والخلط مع معدن آخر . أو عند ادخال عنصر الكربون وبذلك أقصى جهد ممكن في استبعاد طاقته الكاملة على الخضوع للذرات المتزايدة .

• ايضا - التركيب الذري للمعادن . والطريقة التي نحرك بها الذرات عبر احداها الأخرى دون أن نخطم ما فيها من حدود . والطريقة التي تتغير بها اوضاعها النسبية بواسطة المعاملة بالحرارة . تعتبر كلها من الخصائص التي تجعل المعدن مادة مثالية لاغراض التكنولوجيا المعاصرة



لقد تخففت خطوات هامة على طريق استيعاب المعادن وفهم اسرارها . لقد اكتشف أسلافنا الأوائل النحاس والحديد . وقاموا - بشق الأنفس - بنشكيلها على هيئة قطع صغيرة تمض بأغراضهم المحدودة الا أن فهم المعادن لم ينحقق بصورة متكاملة الا خلال المائة سنة الأخيرة .

من بدوي . ما هو الفهم الامثل للخصائص الأساسية للمعادن . والذي سوف ينحرف في الأعوام القادمة وبواسطته ينحرف الجاز هام في عصر المعادن هذا الذي نعيشه ؟

خصائص المعادن

المعادن - بعكس معظم المواد التي استخدمها الانسان لفضاء حاجته - لا توجد في الارض بوجه عام على الصورة التي يستعملها الانسان . ولذلك يبدو أن المعادن قد حققت هدفاً طيباً لأن التطور البطيء في عمليات الخلط المعدني المعاصرة قد أثر بشكل فعال في تحديد معدل النمو والتطور في الحضارة المعقدة التي نعاصرها اليوم .

ولذلك فلم يقتصر اكتشاف الانسان على التعرف على المعادن باشكالها «النكرية» التي توجد عليها في باطن الارض على هيئة اكسيدات . مثل السافيدات مثلاً . ولكنه امتد أيضاً الى طريقة تخليصها من حالتها الخام . ثم معاملتها من أجل الحصول على خصائصها الميكانيكية والفيزيائية العالية التي تفصل المعادن عن غيرها من معظم المواد الأخرى .

التركيب المعدني

يميل البعض الى الاعتقاد بأن المعادن ليست اجساماً جامدة تماماً . اذ لا توجد حدود مباشرة بين الذرة والذرة تربطها . الواحدة الى الأخرى . كما هو الحال في المركبات العضوية وغير العضوية .

صحيح ان الايونات الموجبة تقاوم بعضها البعض وان الالكترونات ذات الشحنة السالبة هي التي نجتمعها في كتلة متماسكة . هذا التركيب يفسر معظم الخصائص المميزة لمعدن ما وهي نفس الطريقة التي نعرف بها اذا كان هذا المعدن ممكن الطرن او التني او اللد بعد الفضاء على تماسك الذرات فيها . ومع ذلك فان الذرات تنزلق فوق بعضها البعض وتبقى السحابة الالكترونية العامة كي تلتصك الذرات الى بعضها البعض .

ان المعادن اقرب شكلاً الى السائل المتبلور منها الى الجسم الجامد . هذه الصورة التي تقدمها لنظام المعادن لا بد ان يكون لها رد فعل متوقع ووارد . يمثّل في السؤال التالي :

«لو فرضنا ان الذرات تنزلق وتغمر على بعضها البعض بمثل هذه السهولة . فمن أين تتوفر للمعادن أية قوة تذكر؟» وهذا السؤال اجابة ممتعة للغاية :

«اذا أمكن تهريد معدن نقي من حالة الانصهار تحت ظروف محددة تؤدي الى ان تتوحد الذرات على شكل بلورة متكاملة . فان هذه الكتلة المعدنية - عندئذ - لا تكون أية قوة على الإطلاق» .

ذلك ان البلورة التي تكون على شكل قضيب طويل . يمكن . في اول الأمر تمديده بالاصابع لانه يكون على هيئة نشبه حالة اللدونة مع قليل من المقاومة . واذا ازداد تمديدها فهي تنشوه مباشرة ومن ثم تصبح أكثر قوة . ثم . اذا استبنت معاملتها تماماً فانها تصل الى الشكل القوي الجامد الذي نعرفه عن المعادن في حالتها العادية .



ونسيئات صهر المعادن . الى جانب توفر الظروف المناسبة في ورشة الصهر .

واذا افترضنا وجود ٢٤ من عمال افران الصهر . فان كل اثنين منهم يكونان لازمين لرفع البونفة خارج الفرن والسير بها الى حيث يمكن صبها . ثم صبها وتغريكها بسرعة «على الجانب» وتكرير هذه العملية ٥٤ مرة (مع ملاحظة انها يسيران بالبونفة مسافة تصل الى ١٦٨ قدماً) وهذا اذ بصباها وتغريكها (على الجانب) فانما هدف ذلك ان يتزكا مكانا نصب فيه البونفة التالية . كل ذلك . ورغم الاجور المنخفضة التي كانت تدفع للعمال في تلك الابام المبكرة فان تكاليف انتاج «صب» واحدة بهذه الطريقة كانت باهظة جداً .

وكان ثمة طريقان لتصنيع الحديد السابق تشكيله على وشك ان نخفف اهدفها :

اولاهما : في عام ١٨٢٠ قدم «هول» طريقة «على القوالب المعدنية» بهدف اكسدة الكربون في حديد الزهر . اما اكتسب الحديد فكان يضاف الى «الحام» لانتاج «غلبان» الكربون او ازالته .

وثانيها : في عام ١٨٥٤ قدم «بابسميث» طريقة لدفع البخار في «حام» بهدف زيادة نسبة اكسدة الكربون .

٣ على أي حال . فان احدي هاتين الطريقتين لم تخرج في النهاية منتجاً سائلاً نظراً لدرجات الحرارة التي يجب توفرها بحيث لم ينسج ابتكار «محول الصلب» الا عام ١٨٥٩م عندما اصبح بالامكان انتاج الصلب السائل . وتلك خطوة لها اهميتها البالغة على طريق تكنولوجيا الصلب .

بعد ذلك بفترة قصيرة . أي في عام ١٨٦٨ استطاع «سبنسر» حل مشكلة المحافظة على درجات الحرارة العالية اللازمة للصناعة الصلب السائل وذلك بتطبيق مبادي «هول» في توليد الطاقة من «الفرن الارندادي» وبذلك يمكن المحافظة على درجات الحرارة العالية وامكان صب الصلب في قوالب للعمل . وفي قوالب رملية لصب اشكال أكثر تعقيداً .

٤ ان ابتكار طريقة «الاكسجين الأساسي» في صناعة الصلب عام ١٩٤٨ . كان من أهم الخطوات التي تخففت في مجال تكنولوجيا الصلب . لقد ارتفع الطلب على الصلب جدا في

جميع ارجاء العالم في الآونة الأخيرة وثمة شك فيما اذا كانت الطريقتان الحاليتان (وهي الموقد المفتوح) وطريقة «بيسمر» تقيان بالحاجة المعلقة عليهما .

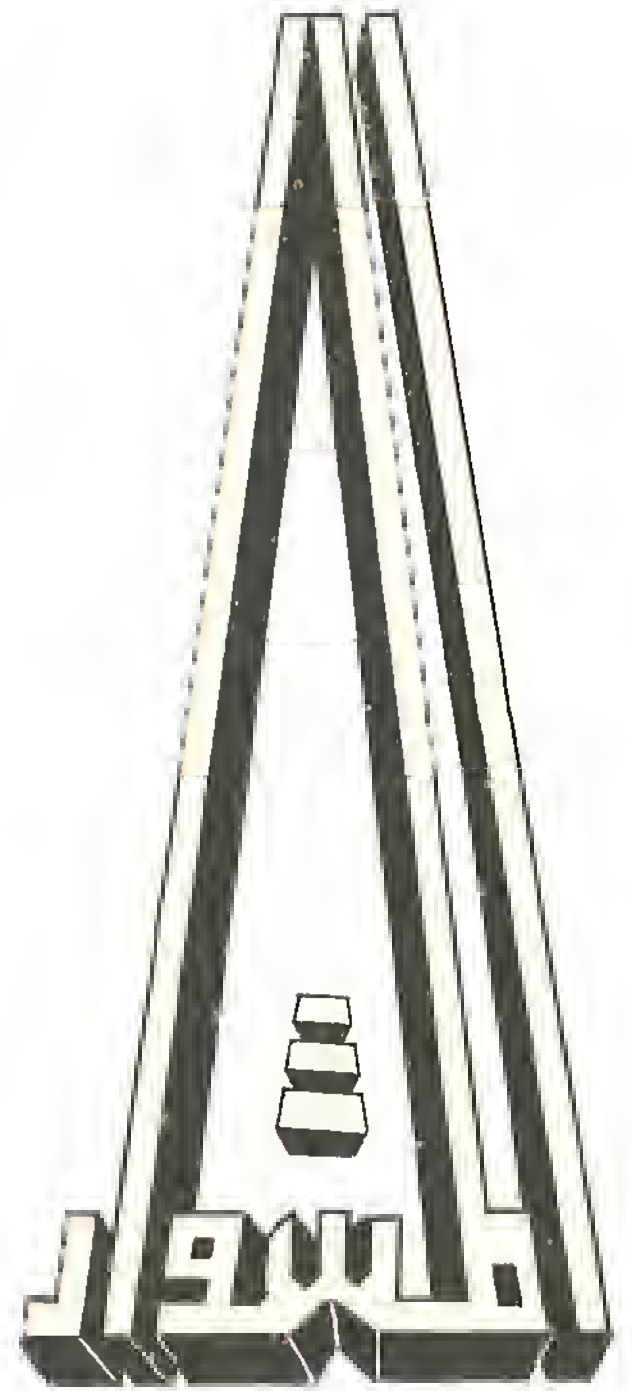
وطريقة «الموقد المفتوح» . وهي عملية ذات جوانب أكثر تعقيداً من طريقة «بيسمر» . تستغرق حوالي ١٢ ساعة لمعاملة كمية تتراوح بين ٦٠ - ٨٠ طناً من الصلب . في حين انه باستعمال طريقة الاكسجين . يمكن تحويل اربعائة طن من الحديد المنصهر الى الصلب في خلال ٤٠ دقيقة .

لقد اصبحت هذه الطريقة بسيرة حسب المقدرة على صنع «الاكسجين الطني» أو الاكسجين الرخيص . وهذا يمكن التخلص من التأثيرات الانبساطي للتروجين . وهو العنصر الاغلب في الهواء . والمستهمل في طريقة «بيسمر» للأكسدة وفي طبق الموقد المفتوح .

على ان صناعة الصلب قد تكون - في المستقبل - بواسطة التخفيض المباشر الذي يمكن به تحويل الحديد الخام (الاكسجين) مباشرة الى صلب . وبهذا ننضج الحاجة الى افران التيار العالي . التي تحتاج الى عدد كبير من المعدات . التي يلزمها اتفاق مالي ضخم .



بقلم: غالب حمزة أبو الفرج



الطريق في صورته الجديدة شيء مغاير لما يعرف .. أكلت منه المدينة أجزاء كثيرة حولت صخوره التي يعرفها إلى حجيرات صغيرة دكتها مطارق الآلات التي استطاعت أن تصنع منها ما تحتاج ، ومع هذا تظل الدروب على ما هي رغم كل مظاهر التطور ، فيد الانسان على قدرتها لا يمكن أن تمحي آثار الزمن به مهما كانت .

ويطرق براسه إلى الأرض في لحظة استرخاء وكأنه يستجمع في ذاكرته صور الامس ، تتدلى كعناقيد عنب تملأ جنبات قلبه الذي يخفق لمراى الزهور البرية ، وهي تنفس ، فعلى هذه الأرض عاش سنوات طفولته التي يذكر كل تفاصيلها ودقائقها وفي هذه الدروب الصغيرة حفيت قدماء بحثاً عن زهرة غريبة يضيفها لمجموعة الازهار التي يحتفظ بها في كتابه القديم .

حتى الاشجار الباسقة حولتها الشمس إلى شيء مغاير لما يعرفه بالأمس لكنها تظل صورها القديمة المخترنة في تلافيف غمى باقية مكانها .

فعلى مقربة من الصخرة الملساء كان هناك الوادي الكبير الذي كان يرمق دروبه الملتوية في شغف . . وهو على ما هو عليه زادت سنوات العمر أشجاره قوة وقدرة . . ترى هل يمكن أن ينسى لجماته الصغيرة وهي تطل من سماء « الهدى » كمصابيح أنيقة تومض في قوة ثم تختفي وتعود لتومض مرات ومرات .

والراعية الصغيرة « هلا » تلهو بشبهاتها في ساعات الصباحية أين هي الآن يقولون انها تخرجت من معهد المعلمات وأصبحت مدرسة ذات شأن .

وهو يحن إلى الماضي يود أن يعيد بعض أجزائه وجزئياته فلا ينسى العم سالم ، صاحب المقهى الصغير عند مدخل قرية « الكحل » . . أين هو اليوم ؟

لقد ذهب المقهى وحل مكانه دارة أنيقة لا يعرف صاحبها ، فلربما كان صاحب الدارة هو العم سالم نفسه .

وينظر إلى المرأة التي بجانبه كل شيء فيها يغاير جميع من عرف من الفتيات . . صويلحة ورياب وعناد وسعاد .

ترى لماذا أقدم على الزواج من هذه المرأة . . وهل يكفي أن يسكن في بيت أمها طوال مدة دراسته في لندن ليعود بها كزوجة ؟

لقد حدثها كثيراً عن طفولته وهو في حديثه معها لم يكذب بل حاول أن يفهمها حقيقته . حقيقة أرضه ومعدنه وحياته وأصدقائه وأمه وأبيه ، ومعاني أمانيه وأحلامه في أن يعيش على أرضه .

لكن سوزان لم تكن في حاجة لأن تعرف كل هذه التفاصيل . . فاجتمعا يرفض الماضي وينظر إلى الحاضر بنصف عين وإلى المستقبل بالنصف الأخرى .

أو يستطيع أن يقول بأنه يحبها أو أحبها لحظة . . أم أن طول العشرة فرضت عليه أن يقترب منها ؟

وهي . . أنجبه الأخرى . . أم انها وجدت فرصة الزواج سائحة وقد شحت في بلدها لمثيلائها فقتنت به ؟

ليته يعرف كل هذا . . ولكن كثيراً ما يتحدث إليها عن ذلك فكانت لا تجيب إلا بضحكة من ضحكاتها التي كان يحس من خلالها أنها تريد منه أن يصمت .

وهو يزداد اليوم صمتاً عن ذي قبل وكأنه يوشوش الأرض والأشجار والطريق في قريته التي أحب وأرضه التي تمنى لها مزيداً من التطور .

حتى في ساعات الصفاء كانت المقارنة بين سوزان وبين من عرف في طفولته وارد ، ولماذا لا يدري ؟

إلا أنه يرتبط بهذه الأرض بعمق وأصاله . . وأمه ما هو رأيها في زوجته ، لقد

أحس في عمق عينيها حديثاً صامتاً وكأنها تلومه على أنه فعلها برغم كل مظاهر الحب التي حاولت أن تستقبل بها الوافدة الغريبة .

ويرنفع صوت أحدهم بأغنية من أغاني الطائف القديمة فيطره الصوت ويمضي في تتبع كلمات المغني وملؤ قلبه احساس بالسعادة .

أو يمكن أن نعي سوزان حقيقة ومعاني السعادة التي يحس بها . . أم أنها هي الأخرى نحن إلى الأرض والبيت الذي ولدت فيه .
والتفت إليها وقال ما رأيك ؟

فاجابت في لهفة : كل شيء على ما ذكرت سوى هذا وأشارت إلى الطريق الأسفلتي المتعرج . . ومع هذا يبدو الطريق وكأنه لا يريد أن يفسد جمال المنظر على هذه الجبال الشم .

أوتقولين ذلك عن صدق أم مجرد مجاملة .
ولماذا أجمال فانت تعرف عني ذلك فلقد سمعت أحاديثك كثيراً ولم أعقب أما اليوم فقد أن لي أن أقول رأيي بصراحة . كنت أظن أنك تبالي في وصف جمال القرية وهدوئها لكنني بعد أن شاهدت ما شاهدت أشعر بأنك ظلمت قريتك فلم تعطيها حقها .

ولكن لا تشعرين بالحنين إلى لندن والحياة فيها ؟
إذا قلت لا ، أكون قد ظلمتك وظلمت نفسي لكنني مع هذا يمكن أن أضحى

كما ضحيت أنت ، أولم تمض مع أسرتي أكثر من أربعة أعوام كاملة ، وصممت . واحترم صمتها ومضى يذرع الأرض وهي أمامه صورة تجسد أياماً أمضاها وسنوات سيعيشها لا يدري هل تكمل هذه الغريبة المشوار .

وفجأة يحس برغبة في أن يجلس على الأرض يتلمس أزهارها وأعشابها البرية يجاذبها في صمت ، يشم عبيرها في هدوء ، ويمضي في صمته والفراشات من حوله بألوانها الزاهية تتطاير بعيداً بعيداً . . لكن عينيها ترمق كل شيء في سعادة .

أولم يحب هذه الأرض كل هذا الحب أولم ينس بعض الوقت حنينه إليها وهو يمضي في غابات القرى المحيطة بلندن .

وتتكسر حدة الصمت في أعماقه بينما تواصل نفسه أحاديثها وكأنها تحاول أن تطيب خاطره للحظات النسيان الطارئة .

سوزان . . أوتحبين القرية ؟
ولماذا لا أحبها ما دامت هي على هذا الجمال ؟
وأمي كيف نزيها ؟

صورة مغايرة لأمي . . ففي وجه أمك مظاهر سعادة لا نعرفها نحن الذين نعيش في المدينة .
وتقولينها ؟



ولماذا لا أقول الحقيقة ، قد تطفئ المدينة على حياة الضرية كما طغت في بلادنا لكن الأصالة التي ألسها في وجوه القوم تشعرني بصعوبة التحول لدى نساءكم بسرعة .

ويبتسم ، ثم يمد يده لثلاثي بيدها هذه المرة في شيء من التقدير .. فهو يحبها الآن أكثر مما أمضى معها من سنوات زواجهما التي انقضت . وفي البيت الذي ازدانت جدرانها الصم بصورة العديدة التي بعث بها إلى أمه ، كان لقاء بين سوزان والراعية لقد جاءت صديقة الطفولة لتهنيء أمه بسلامة وصوله ولم تكن تعرف أنه تزوج وعندما عرفت تحدثت مع زوجته بالانجليزية في بساطة . وابتسم في أعماقه وقال : سوزان أوتعرفين من تحدثك ؟ وهزت رأسها إيجاباً .

إنها صديقة طفولتي «هلا» ، لقد غيرتها الأيام صنعت منها يد التطور شيئاً مغايراً لما أعرف .

وابتسمت هلا ، وقالت : لكن دعاءنا تظل على ما هي في عروقنا نحن إلى البساطة وتتسم بصفاتها ، ولهذا ترانا نعيش كما عشنا رغم جميع مظاهر التقدم يساعد صغيرنا كبيرنا ويحترمه .

أوتدري يا هشام بأنني أرى الغم أيضاً حتى بعد أن أصبحت مدرسة ؟ وماذا في الأمر إن فعلت . قالها وكأنه يؤمن بما تقول .

والتفتت سوزان إليهما وقالت هي على حق ، فالذين يملكون القدرة على التحول يملكون السيطرة على مساويء هذا التحول يأخذون طيبه ويتركون الباقي . وضحكت هلا وقالت غداً سأخذك في رحلة إلى «غدير البنات» .

وتساءلت سوزان في سذاجة وقالت : أهو مكان مخصص للنساء فقط ؟ قالت هلا : لا ، لكن هذا اسمه فجبال الغدير وحلاوة مناظره منحته رقة التسمية وابتسمت .

أوتقدرون المرأة لدرجة أنكم تطلقون على أجمل غدراتكم اسمها ؟ قالت هلا : نعم ، وصمتت ، واحترمت صمتها سوزان . لكن هشام بدأ يفكر وهو عندما يفكر يبدأ المقارنة وكأنه يفاضل بين هذه وتلك . وأحست سوزان بما يعتل في نفس زوجها فقالت في استحياء . قد تفضلني هلا لأنها أعرف بالحياة مني على هذه الأرض . وأجابت هلا : وقد تفضليني أنت لأنك أدرى وأعرف بالحياة ككل وأوضاعها مني وعلى هذا فأنا وأنت متساويان في هذا المضمار . وأطرقت سوزان برأسها قليلاً ثم قالت : هشام ، أولاً نعتقد بأنني أقدر على نكلة المشوار لنذ الغد ستجدني صورة مكمل لنساء هذه القرية التي أحبها زوجي والتي يجب علي أن أحبها أنا الأخرى ، فلقد آن لي أن أستريح وأن أعرف مكاني في قلبك وضحكت وضحك الجميع ، إلا هو ، فقد مضى يفكر ويفكر .

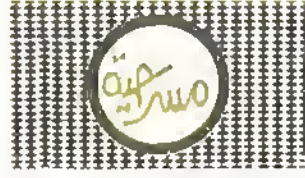
تري هل تكمل سوزان المشوار أم لا ؟

وأحس بأن ما بدر منها قد يمنحه الراحة لأنها تفكر في أن تمضي في رحلتها لنسيان الحياة التي عاشتها وتبدأ في حب القرية التي أحبها ، وهذا وحده في نظره بداية المشوار . وهو يجب أن يتمكن هذه الغريبة من السير على دروب حياته التي أحبها ولا يزال ، ومع هذا يظل يتذكر جميع الفوارق بين المدينة الكبيرة التي جاءت منها زوجته وهذه القرية التي أنجبت هلا .

ونظر إلى زوجته فرأها تبتسم وعندما سأها السر في ابتسامتها تلك قالت وهي تضحك : أوتظن أنني اجتزت الامتحان ؟

وضحك هو الآخر وقال ربما من يدري وإن كنت أمل .

لكن سوزان لم تدعه يكمل كلمته وإنما قالت وفي إصرار : صدقني سنكمل المشوار معاً ، لأنها إرادة الله ، منحتنا القوة وأعطتنا العقل لنرى عن طريقه ما يجب وما لا يجب وابتسمت وافتت ثغره عن ابتسامة رضى هو الآخر .



قصيرة لممثل واحد

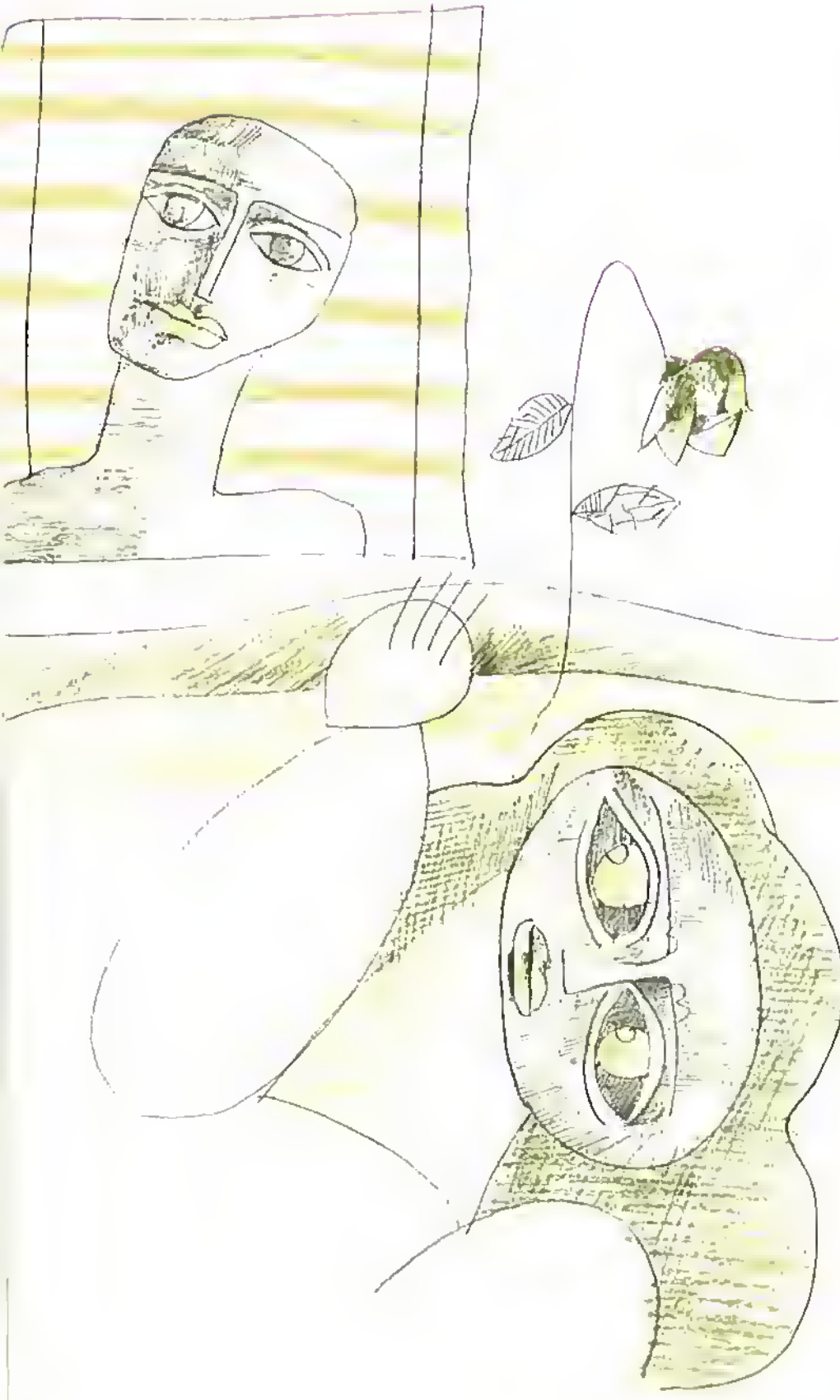
للكاتب الأمريكي: يوجين أونيل • ترجمة إبراهيم حماده

قتل القفل

(المنظر : حجرة صغيرة تستعمل كمطبخ وحجرة للطعام في نفس الوقت ، تقع في شقة بشارع كريستوفر بمدينة نيويورك . في الخلف - جهة اليمين - باب يؤدي إلى ردهة خارجية . وعلى يسار الباب حوض ، وموقد غازي ذو شعلتين . ويمتد فوق الموقد - على الحائط تجاه اليسار - دولاب خشبي لوضع الأطباق وما شابه . يقع على اليسار شباك كان يطلان على سلم الحريق حيث توجد عدة أصص بها نباتات ذابلة بسبب الإهمال . وأمام هذين الشباكين منضدة مغطاة بقماش زيتي وحولها كرسيان قاعدتهما من الخيزران ، كما يوجد كرسي آخر عند الحائط على يمين الباب في الخلف . وفي مؤخرة الحائط الأيمن باب يؤدي إلى حجرة النوم ، وفي مكان أمامي بعيد عنه يوجد مشجبان علقت عليهما بعض ملابس وأدوات نسوية ورجالية . كما يوجد حبل عليه ثياب يمتد من الزاوية اليسرى الخلفية إلى الحائط الأيمن . الساعة الآن حوالي الثامنة والنصف صباح يوم مشمس من أيام الخريف المبكرة . تقبل السيدة « رولاند » خارجة من حجرة النوم وهي تتشاب ويداها مشغولتان بوضع اللمسات الأخيرة في زيتها المهمة عن طريق تثبيت دبائيس في شعرها المقصوص في كتل سمراء فاتحة فوق رأسها المستدير . إنها شابة متوسطة الطول تميل إلى الامتلاء وعدم الرشاقة ، وما يؤكد ذلك رثالة ثوبها الأزرق ، البالي ، غير المحدد الشكل . ووجهها هو الآخر بلا سمات شخصية خاصة ، وإن كانت ملائمة صغيرة ومنظمة والعينان زرقاوان زرقاء يصعب تصنيفها . ويرسم على وجهها وأنفها ولها الضعيف الحائد تعبير الضيق والاضطرار . إنها في أوائل العشرينات من عمرها وإن كانت تبدو أكبر من سنها الحقيقية بكثير .

تصل إلى منتصف الحجرة وهي تتشاب ، وتمد ذراعها إلى آخرها ، تحمق في أنحاء الحجرة بعينين ناعستين فيها نظرة غاضبة لشخص نام طويلاً ولكنه لم يحصل على راحة طويلة ، تتجه باسترخاء إلى الثياب المعلقة على اليمين وتأخذ مريلة من المشجب ، وتحاول ربطها حول وسطها ، وعندما يستعصي عقدها في أصابعها المضطربة تلعن ساخطة . وأخيراً تنجح في ربط المريلة وتتجه في ببطء إلى موقد الغاز وتشعل إحدى شعلتيه . تملأ براد القهوة ماء من حنفية الحوض وتضعه فوق الشعلة الموقدة . تلقي بنفسها على أحد الكرسيين اللذين حول المنضدة وتضع بدأً فوق جبينها ، كما لو أنها تشكو من صداع . وفجأة يشرق وجهها كما لو أنها تذكرت شيئاً فتلقى نظرة خاطفة على دولاب الأطباق ، ثم تنظر في حدة تجاه باب حجرة النوم وتصغي متربصة بعض الوقت . ثم تنادي في صوت خفيض) .





بأني دائما أستطيع الحصول على عمل ، كالذي أقوم به الآن ، وهو المورد الوحيد الذي يحفظنا من الجوع حتى الموت .

(تنهض وتوجه إلى الموقد وتنتظر في براد القهوة لتأكد ما إذا كان الماء يغلي فيه . ثم تعود وتجلس مرة أخرى) يجب أن تأتي بفلسوس اليوم من أي مكان . لا أستطيع أن آتي بكل المطلوب ، ولن أستطيع أبدا ذلك . يجب أن ترجع إلى عقلك . عليك أن تستجدي أو تقترض ، أو تسرق من أي مكان . (في ضحكة استهزاء) ولكن من أين ، أحب أن أعرف؟؟ فأنت معتر بتفسك ولا تتدبر على الاستجداء ، واقترضت القليل ، وليست لديك القدرة على السرقة . (بعد وقت قصير تنهض في عصبية) يا إلهي ، ألم تستيقظ بعد؟ يبدو كما لو أنك ستنام مرة أخرى ، أو تتظاهر بالنوم . (توجه إلى باب حجرة النوم وتنتظر بداخلها) يا سلام ، صحت في وقتك؟ شيء جيد . . . لست في حاجة إلى أن تنظر إلي هكذا!!! اسطوانتك إياها لن تستغفني بعد الآن أكثر من ذلك . أنا

السيدة : ألفرد!! ألفرد!! (ولما لم تسمع رداً من الحجرة المجاورة تواصل نداءها متشككة ولكن في صوت أعلى) أنت لست في حاجة إلى أن تتظاهر بالنوم (لا تلتقي رداً من حجرة النوم . وفي حذر تنهض من كرسيها وتسير على أطراف أصابعها إلى دولااب الأطباق ، وتفتح إحدى ضلفتيها في بطة خوفاً من أن تحدث أية ضوضاء . إلا أنه رغم حرصها على عدم أحداث ضجة تخبط الطبق الأعلى فيحدث صوتاً بسيطاً . وبسبب هذا الصوت تحس باحساس المذنب ، وتنتظر نظرة تحد متجهة نحو باب الحجرة المجاورة . يرتعش صوتها وهي تنادي) **ألفرد!!** (تغلق باب الدولااب بنفس الحرص الذي فتحته به ، ثم تطلق تنهيدة ارتياح . ثم تلتقي بنفسها في الكرسي مرة أخرى . وتبدو أنها نللم نشاطها وتنتظر إلى باب حجرة النوم وقد علت شفيتها ابتسامة حقد قاس . تلتقي نظرة سريعة على الحجرة ثم تثبت على جاكته رجل وصدار معلقين بشيعة على اليمين . تتحرك في خلصة إلى الباب المفتوح وتقف هناك ، بعيداً عن مرمى بصر أي واحد يكون بالداخل ، ثم تصيح السمع لأية حركة ، وتنادي في صوت نصف مهموس) **ألفرد!!** (ومرة أخرى لا تلتقي رداً . وفي حركة سريعة تأخذ الجاكته والصدار من الشيعة وتعود بهما إلى كرسيها . تجلس وتخرج الأشياء الموضوعة في كل جيب وبسرعة تعيد الأشياء إلى أماكنها مرة أخرى . وفي النهاية تجد رسالة في جيب الصدور الداخلي . تتأمل خط الرسالة ثم تقول لنفسها في بطة) . . . هيه . . . عرفت الخط . (تفتح الرسالة وتقرأها . في البداية ترسم على وجهها ملامح الكراهية والغضب ، ولكنها تستمر في القراءة حتى النهاية ، فتبدل تلك الملامح كي نعب عن خبث المنتصر . تظل لحظة وهي مستغرقة في تفكير عميق وتحمق أمامها . الرسالة في يديها . وبسمة قاسية مرتسمة على شفيتها . ثم تعيد الخطاب إلى مكانه من جيب الصدور وهي لا تزال حريصة على ألا توفق النائم ، ثم تعلق الثياب على نفس الشيعة وتوجه إلى حجرة النوم وتنتظر بداخلها . ثم تصيح في صوت صارخ مرتفع) **ألفرد!!** (لا يزال عالياً) **ألفرد!!** (تسمع نأوه متتابة مكظومة تنبعث من الحجرة المجاورة) تظن بأن الوقت قد حان للنهوض من الفراش؟ هل تريد أن تبقى في السرير طوال النهار؟؟ (تدور راجعة إلى كرسيها) لم يعد لدي أدنى شك في أنك كسلان إلى درجة تكفيك لأن تبقى في السرير إلى الأبد (تجلس وتلني بنظرها خارج الشباك في ضيق) الله وحده يعلم كم الساعة الآن . لم تعد لدينا أية وسيلة نعرف بها الوقت منذ أن رهننت ساعتك كالمغفل . كانت آخر شيء له قيمة عندنا . وكنت تعرف ذلك . لا شيء عندك إلا الرهن ، الرهن ، الرهن ، تفعل أي شيء كي تؤجل حصولك على وظيفة . أي شيء كي تفر من الذهاب إلى الشغل بدلا من أن تعمل كرجل . (تضرب الأرض بقدمها ضربات خفيفة في حركة عصبية وهي تعض شفيتها) **ألفرد!!** اصبح ، ألا تسمعني؟؟ أريد أن أرتب السرير قبل أن أخرج . أنا قرعانة من أن يبق هذا المكان في فوضى دائمة بسببك . (في نوع من الحقد) لن يطول المقام بنا هنا إلا إذا حاولنا الحصول على فلسوس من أي مكان . الله يعلم أنني عملت ما علي وأكثر . أخرج واشتغل خياطة طول النهار وأنت عامل جنتلمان ، وتتسكع مع مجموعة عاطلة من الفنانين .

(تمر فترة صمت قصيرة وهي تلعب - في عصبية - بفنجان وطبق موضوعين على المائدة) ومن أين ستحصل على فلسوس ، أحب أن أعرف؟؟ الأيجار مستحق هذا الأسبوع ، وأنت عارف طباع صاحب البيت . إنه لن يدعنا نبقى دقيقة واحد بعد وقتنا . تقول بأنك لا تستطيع أن تجد عملا . هذه أكذوبة وأنت تعرف ذلك . لأنك لم تحاول قط الحصول على وظيفة . كل ما تفعله هو أن تضع النهار كله تكتب شعرا وقصصا سخيفة لن يشتريها أحد ، ولا عجب إذا لم يشتروها . لاحظ

اعرفك جيداً ، أحسن مما تتصور ، إنني أعرفك وأعرف مشيك (نستدير عن الباب بلا هدف) . أنا عارفة حاجات كثيرة يا حبيبي . لا يهمك ما أعرفه الآن . سأخبرك قبل أن أنصرف ، ولا تهتم . (تنجى إلى منتصف الحجرة تقف مقطبة الجبين . ثم تتابع حديثها وهي مهنجة) أوف . . اظن أنه يجب علي أن أعد الفطور . مع أنه ليس هناك الكثير يمكن الحصول عليه . (متسائلة) اللهم ! لا إذا كان معك بعض الفلوس؟؟ (تصمت لوقت قصير في انتظار اجابة من الحجرة المجاورة إلا أنها لا تلتق رداً) سؤال سخيف !! (تطلق ضحكة قصيرة جافة) كان ينبغي علي أن أعرفك معرفة أحسن في ذلك الوقت . عندما غادرت البيت غاضبا ليلة أمس عرفت ما سيحصل . لا يمكن الوثوق بك مرة ثانية . والحالة اللطيفة التي عدت بها إلى البيت !! والشجار الذي حدث بيننا كان ذريعة لك لأن تحول نفسك إلى وحش . ما الفائدة من رهن ساعتك إذا كان هدفك من ذلك هو الحصول على نقود تضعيها مع مجموعة عاطلة من الفنانين ؟ (تنجى إلى دواب الأطباق وتخرج منه أطباقاً وفناجين وما شابه . بينما هي تتابع كلامها) أسرع !! في هذه الأيام ، لن يستغرق الحصول على فطور وقتاً طويلاً ، شكراً لك . كل ما عندنا هذا الصباح هو خبز ، وزبدة وقهوة فقط ، وما كان في وسعك الحصول على ذلك لو لم أرهق أصابعي في الخياطة . حتى الخبز بايت . أرجو أن تقبله . أنت لا تستحق أكثر من هذا ، ولكني لا أرى لماذا ينبغي علي أن أشق . (تدب إلى الموقد) ستكون القهوة جاهزة خلال دقيقة ، ولست في حاجة أن أتوقعني في انتظارك . (فجأة تصبح في غضب) قل لي ما الذي تفعله كل هذا الوقت؟؟ (تنجى إلى الباب وتنظر بداخله) شيء جيد ، تكون قد انتهيت من لبس ثيابك على أية حال . توقعت أن أجده قد رجعت إلى السرير . ما أبشعك هذا الصباح !! احلق ذقنك !! أنت مقرف !! واشبه بمتشرد !! ولا غرابة في ألا يعطيك أحد وظيفة . أنا لا ألومهم ، لأنك لست حتى نصف مهندس . (تنجى إلى الموقد) هنا كمية لا بأس بها من الماء المغلي . فلا عذر لك . (تأثر بسلطانية ونصب فيها من البراد قليلاً من الماء المعد لعمل القهوة) هاك (يمد يده من الحجرة كي يأخذه . إنها يد حساسة ذات أصابع نحيلة . ترتعد فتساقط قطرات من الماء على الأرض . فتعيده) انظر إلى يدك وهي ترتعش !! من الأفضل لك أن تترك التسكع والسهر ، سيكون في ذلك القشة الأخيرة !! (تنظر إلى الأرض) انظر إلى الفوضى التي أحدثتها في الأرضية ، أعقاب سجائر ورماد في كل مكان . لماذا لا تضعها في المنفضة؟؟ لا ، لست مهذباً بما فيه الكفاية كي تفعل هذا . أنت لا تفكر في . لا ينبغي عليك أن تكنس الحجرة ، وهذا كل ما تحرص عليه .

(تناول المكسنة وتبدأ في الكنس في ضراوة ، فتثير سحابة من الغبار . ينبعث من الحجرة صوت موسي وهو يشحذ على مشحذ . تتابع الكنس) أسرع ، لقد حان وقت ذهابي ، لو تأخرت فسأكون عرضة لفقد شغلي ، وفي هذه الساعة لن أكون قادرة على إعالتك . (وكما لو أنها تذكرت شيئاً فجأة فتتابع كلامها في نغمة هازئة) وفي تلك الساعة ينبغي عليك أن تشتغل أو تقوم بشيء مزعج مثل هذا . (تكنس تحت المنضدة) ما أريد أن أعرفه هو : هل أنت ذاهب للبحث عن شغل اليوم أم لا؟؟ أنت تعرف أن اسرتك لن تساعدنا بعد هذا . فقد تعبوا هم الآخرون منك . (بعد دقيقة من الكنس الصامت) لقد أوشكت على أن أقرف من كل ما في تلك الحياة . وتحظر على ذهني فكرة طيبة وهي أن أعود إلى بلدتنا ، هذا إذا لم أكن معتزة بنفسي جداً كي ادعهم يعرفون أي فاشل تكون ، أنت

الابن الوحيد للمليونير رولاند ، خريج جامعة هارفارد ، الشاعر ، أسر المدينة . هيه !! (في مرارة) لن يكون هناك كثيرون منهم الآن يحسدون أسري إذا ما عرفوا الحقيقة . إلى أي حال أصبح عليه زواجنا ، أحب أن أعرف؟؟ حتى ولو فرضنا أن والدك المليونير مات وهو مدين بفلوس لكل واحد في العالم ، فأنت بالتأكيد لن تضيع أية ساعة من وقتك في سبيل زوجتك . اظن أنك تعتقد بأنه كان يجب علي أن أكون مسرورة وسعيدة بالنبالة الزائدة التي أسبغتها على زواجي منك ، بعد أن سقتني إلى المتاعب . لقد كنت أنت وأصدقائك تجلسون مني مجرد أن والدي بقال ، هكذا كنت أنت . على الأقل كان والدي رجلاً أميناً ، يثني عليه كل واحد أكثر مما يثني على أي أب من آبائكم . (تكنس بنبات وهي تنجى نحو الباب . تنكس على مقشيتها للحظة) . كنت تأمل في أن يظن كل واحد بأنك اضطرتت اضراً إلى الزواج مني ، فيشفق عليك ، اليس كذلك؟؟ لم تردد كثيراً في أن تخبرني بأنك كنت تحبني ، وجعلتني أصدق أكاذيبك؟؟ جعلتني أعتقد بأنك لم تشأ أن يشتريني والدك كما حاول أن يفعل . أعرف الآن أشياء كثيرة . (لحظة صمت .

تمن التفكير في اكتئاب . ثم تواصل كلامها في نوع من الفرح الممجى) ولكني لست الانسانة الوحيدة التي تعتبرها مسؤولة عن تعاستك . هناك واحدة أخرى على الأقل ، ولكنها لن تستطيع أن تأمل في الزواج منك الآن . (تمد رأسها إلى داخل الحجرة) وما رايتك في هيلين؟؟ (نبدأ في التفهقر بعيداً عن الباب وهي نصف خائفة) لا تنظر إلي هكذا !! أجل ، قرأت رسالتها لك . ما رايتك في هذا؟؟ لي الحق في قراءتها لأني زوجتك . وأعرف كل ما يجب أن أعرفه ، فلا تكذب . أنت لست في حاجة لأن تحملق في هكذا . لن تستطيع أن تستضعفني بأسطواناتك الرائعة بعد الآن . لولاي خرجت دون فطور (تعيد المقشة إلى مكانها في الزاوية . وهي تنن) ولم تحاول قط أن تشكرني على ما أفعل (تنجى إلى الموقد وتضع البن في البراد) القهوة جاهزة . لن أنتظرك (تجلس في كرسيها مرة أخرى . وبعد فترة تلصق يدها في رأسها . في غيظ) أشعر بصداق شديد في رأسي هذا الصباح . أنا خجلانة من ذهابي إلى العمل في حجرة فاسدة الهواء وأظل طول النهار وأنا على هذه الحالة اتني لو كنت أنت نصف رجل . بأي حق ينبغي علي أن أعمل كل مسؤولية بدلا عنك . أنت تعرف أنني كنت مريضة أثناء هذا العام ، وكنت دائماً تعارض في أن أتناول أي شيء يحسن من نفسي ، حتى إنك لم تردني أن أستمع لهذا العقار المنشط الذي اشتريته من الصيدلية . (ضحكة جافة) أنا أعرف أنك ستكون سعيداً جداً لو أنا مت وانزحت عن طريقك ، ساعتها ستكون حراً وتتسكع خلف كل هؤلاء الفتيات المغفلات اللاتي يعتقدن بأنك شخص رائع وغير مفهوم ، هذه الـ «هيلين» والأخريات . (تنبعث من الحجرة المجاورة صيحة ألم حادة . تتابع راضية) هاك !! أعرف أنك ستجرح نفسك . هذا درس لك . أنت تعرف أنه ينبغي عليك ألا تدور طول الليل متسكعاً بكل جسارة وانت في مثل هذا الشكل المزري . (تنجى إلى الباب وتنظر بداخله) ما الذي يجعلك شاحباً هكذا؟؟ يا إلهي ، امسح هذا الدم الذي في وجهك (في ارتعاش) شيء مفرع (في نبرة لطيفة) جيد ، الحالة أحسن . لا أستطيع تحمل رؤية الدم . (تبتعد قليلاً عن الباب وقد تملكها رعدة) من الأفضل ألا تحلق لنفسك وأن تذهب إلى الحلاق . يدك ترتعد في شكل مزعج . لماذا تحملق في هكذا؟؟ (نستدير بعيداً عن الباب) ألا تزال غضبان مني بسبب هذه الرسالة التي قرأتها؟؟ (في تحد) طبعاً ، لي الحق في أن أقراها ، فأنا زوجتك . (تنجى إلى الكرسي



ونجلس فيه مرة أخرى . ثم بعد لحظة صمت (طول الوقت وأنا أعرف أنك تقضي أوقاتك في المكتبة لم تكن تستغفلي . على أية حال ، من هي هيلين هذه ؟؟ إحدى هؤلاء الفنانات ؟؟ أم هي الأخرى تكتب الشعر ؟؟ رسالتها تدل على هذا . أراهن أنها قالت لك بأن هذه الأشياء التي تكتبها أحسن ما في الوجود ، وأنت صدقتها كالمغفل . هل هي صغيرة وجيلة ؟؟ أنا الأخرى كنت صغيرة وجيلة . عندما بدأت تستغفلي بحديثك الشعري الجميل ، ولكن الحياة معك تهدم الإنسان بسرعة . (تنجى إلى الموقد ونسحب القهوة من فوقه) الفطور جاهز . (بنظرة ازدراء) الفطور .. ! (تصب فنجاناً من القهوة لنفسها ثم تضع الابريق على المائدة) قهوتك ستبرد . ماذا تفعل ، ألا تزال تحلق ؟ يا إلهي . من الأحسن أن تتوقف . أتوقع بأنك ستجرح نفسك جرحاً خطيراً ذات صباح . (تقطع قطعة من الخبز وتضع عليها الزبد . وفي أثناء حديثها التالي تمضغ طعامها وتشرب قهوتها) يجب علي أن أسرع بمجرد أن أنتهي من الأكل . فليشتغل أحدنا على الأقل . (بغضب) هل ستذهب اليوم للبحث عن وظيفة أم لن تذهب ؟؟ كنت أظن أن أحد أصدقائك الطيبين يمكن أن يساعدك في الحصول على عمل ، إذا كانوا حقيقة يعتقدون بأن لك قيمة . ولكنني أتصورهم يحبون فقط أن يستمعوا إليك وأنت تتكلم (تجلس صامتة بعض الوقت) أنا أسفة لهذه الـ « هيلين » مهما كانت . هل لديك شعور تحسه إزاء الآخرين ؟ ماذا تقول أسرتها ؟ فقد لاحظت أنها تشير إليهم في رسالتها . ماذا ستفعل ، هل هي غنية ؟؟ (تنتظر رداً على أحد هذه الأسئلة المنهالة) هيه ، ستخبرني شيئاً عنها ، أليس كذلك ؟؟ فانا حريصة على أن أعرف . فكر في ذلك . وأنا - رغم هذا - لست أسفة كثيراً من أجلها . إنها تعرف ما تفعله . يبدو من رسالتها أنها ليست تلميذة مثلها كنت أنا . هل تعرف بأنك متزوج ؟؟ بالطبع ، يجب أن تعرف . كل أصدقائك يعرفون الكثير عن زواجك غير السعيد .



أعرف بأنهم يشفقون عليك ولكنهم لا يعرفون الجانب الآخر المتعلق بي . سيحكمون حكماً مختلفاً لو أنهم عرفوا الحقيقة (تشغل في طعامها جداً كي تصرف خلال ثانية) لو كانت هيلين هذه تعرف أنك متزوج فينبغي أن تكون لطيفة . ماذا تتوقع هي بعد هذا ؟؟ أن أطلقك كي تتزوج هي منك ؟؟ أظن هي بأنني مجنونة إلى هذه الدرجة . ورغم كل هذا فانت قد أجهزت علي ؟؟ أعتقد لا !! فانت لا تستطيع أن تحصل مني على الطلاق وأنت تعرف هذا . لا يستطيع أي واحد أن يقول بأنني أسأت إليك . (تشرب ما تبقى من قهوة في فنجانها) إنها تستحق أن تشقى وتقاسي ، هذا كل ما أستطيع أن أقوله . سأخبرك بما أفكر فيه : أعتقد أن « هيلينك » هذه ليست أكثر من فتاة عابثة عادية ، هذا ما أعتقد . (تبعث من الحجرة المجاورة أنه ألم غنوة) هل جرحت نفسك مرة أخرى ؟؟ (تنهض وتخلع الريلة) والآن ، ينبغي علي أن أهرع (بسرعة في نمر) تلك حياة لطيفة بالنسبة لي وهي أن أكون الرئيسة في البيت !! لن أستطيع احتمال صعلكتك أكثر من هذا (شيء يجذب سمعها فتتوقف صامتة تصغي في انتباه) أنت ، هل دلفت الماء على كل شيء عندك . ألا تقول لا . أسمعهم يتساقط على الأرض قطرة قطرة (يغزو وجهها تعبير غامض من الخوف) الفرد !! لم لا ترد علي ؟؟ (تتحرك ببطء في اتجاه الحجرة . يصدر صوت كرسي ينقلب وشيء يرتطم بأرض الحجرة . تقف وهي ترتعد من الذعر) الفرد !! الفرد !! رد علي !! ما الذي قلبته ؟؟ (وهي عاجزة عن مقاومة التوتر ، وبعد لحظة تندفع من الباب إلى داخل الحجرة) الفرد !! (تقف عند الباب وهي تنظر إلى أرضية الحجرة الداخلية وقد شلها الذعر . تصرخ بقوة من شدة الفزع ثم تجري إلى الباب الآخر وتعالج اكتره ، وفي هياج شديد تفتح على مصراعيه وتجري صارخة بجنون في الردهة الخارجية) .

بيت الطبيب والتقاهر

بقلم: د. عبدو مسوح

- ١ -

كان علي بعد أن أنهيت دراستي الثانوية وحصلت على البكالوريا الأولى بفرعها الأدبي بقسميها العربي والفرنسي والثانية بقسم الفلسفة ، أن التحق بأحد فروع الجامعة السورية التي لم تكن تحتوي آنذاك سوى فرعي الطب والحاماة . يضاف إليها فرع طبابة الأسنان والصيدلة . ولئن كنت مولعاً آنذاك بالأدب والفلسفة إلا أن القول المأثور « أدركته حرفة الأدب » كان يؤلف سنداً منيعاً ضد دراستي الأدبية أو الفلسفية . ولئن كانت الفكرة السائدة آنذاك أن البكالوريا العلمية هي التي تؤهل الطالب لدراسة الطب ، فقد كنت أرى عكس ذلك تماماً ، إذ إن الفلسفة الصق بالطب من الرياضيات . يقول ابن سينا : « على الطبيب أن يستند إلى الفلسفة لأنها أصل الحكمة وينبوع العلم » . ومعرفة النفس البشرية وأحوالها وتطوراتها وما يطرأ عليها من تبدلات وتغيرات وما تعانيه من آلام ، بحاجة إلى شخصية طبية تعيد إليها ثقتها بذاتها ونسيطر عليها سيطرة تامة ونحو من ساحتها ما علق بها من أوهام وتخيلات ولا يتكرر العلماء مقدار تأثير النفس على الجسد . وقد ثبت من الإحصائيات الأخيرة أن أكثر ما يشكو منه المرضى مَرَدَّة الوهم . وأن كثيراً مما نشكو منه لا حقيقة له في الواقع . وأن شرح حالة المريض لها الأهمية الكبرى في العلاج .

ولا يمكنني أن أسلم ولو جدلاً أن طبيباً لم يتزوّد من الفلسفة والأدب ولو بزيادة ضئيل يمكنه أن يقنع أستاذاً أو طالباً جاء عيادته وهو مصاب بمرض وهمي . وكيف يتأتى له ذلك وهو إذا أراد أن يصف الحالة النفسية لمريضه خائنه المنطق وأخذ يتلعثم بكلامه ودفع بالوصفة الطبية إلى المريض وقال له : « هذا دواؤك » وإن انس لا أنسى أستاذاً من الأساتذة جاء عيادتي ذات يوم طالباً مني تقريراً عن اخته المريضة بمرض عقلي . وكانت مصابة آنذاك بالهذيان الاضطهادي . فهي تدعي وجود أشخاص بعضهم مُعَيَّرٌ وبعضهم مجهول ، يريدون بها سوءاً ويعملون على إيذائها ويكيدون لها بأقوالهم وحركاتهم

وأفعالهم فيحتقرونها ويتآمرون عليها وعلى شخصها وحياتها بطرق شتى . . . سحرية أو كلامية . . . لذلك كثيراً ما كانت تخرج من البيت هاربة شاردة في شوارع المدينة ، ساعية وراء شخص يحميها أو متخفية عن الأنظار . وأحياناً كانت تتعري من ثيابها مخافة أن يكون قد دس بها أحدهم شيئاً ضاراً يؤذيها . ثم إنها قبل إصابتها بالهذيان الاضطهادي كانت قد أصيبت بهذيان الغيرة نظراً لقلقها على زوجها قبل هجره إليها .

وأخبرني الأستاذ أنه يريد إدخالها أحد المستشفيات العقلية مجاناً ، وبالتالي يريد وصفاً دقيقاً لحالتها الصحية يُكتب على شكل رسالة . ولما كنت أعلم الشيء الكثير عن وضعه شقيقته ، وعدته خيراً وقلت له كي يعود إليّ في اليوم الثاني . وحسب الوعد أخرجت من مكتبي التقرير الطبي ودفعته إليه . وكان يتجاوز الصفحتين السكيرتين حجماً . وابتدأ بقرائه . . . وأخذت أتابع ما يرسم على وجهه من ملامح . لما إن انتهى من القراءة حتى تنفس الصعداء وقال : « طيب الله الأنفاس يا دكتور » قلت : « خيراً إن شاء الله » .

قال : « لقد طلبت قبلاً من أحد أطبائنا تقريراً مماثلاً فلم يزد في التقرير على كلمتين اثنتين : « أشهد أن فلانة مجنونة » .

ولست أدري وأيم الحق ، هل هناك ما يقال له الجنون في علم الطب ؟ وإذا كان العرب يقولون : جنة الليل وعليه جنناً وجنوناً . . . واجنّه بمعنى ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جُنّ عنك . . . وجنّ الليل (بالكسر) وجنونه وجنانه : ظلمته واختلاط ظلامه . . . وأجن عنه واستجنّ : استتر . والجنين الولد في البطن . فاي تقرير هذا الذي كتبه دكتورنا الفاضل ؟ وفيه يقول : إن فلانة مجنونة . . . أي مستترة : أي إنه جاهل بأمرها . وكيف يكتب تقريراً عن أمر يجهله ؟ قطيبتُ خاطر صديقي وقلت له : لقد صدقت يا أخي . فهناك أمراض عقلية وليس هناك جنون .

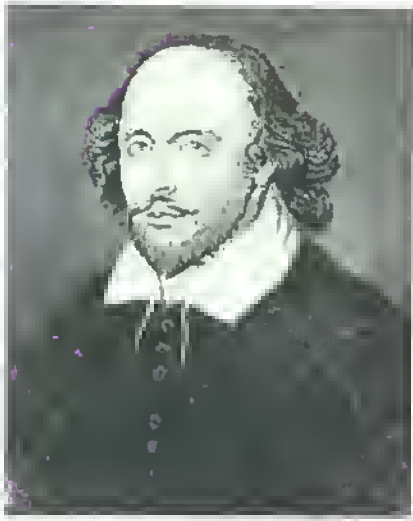
ولئن احتاج الطب إلى شيء كثير من الفلسفة والأدب ، فإن الفيلسوف والأديب إذا ما استندا بأقوالهما وآرائهما إلى العلم ازدادا عمقاً واقتربا كثيراً من عالم الحقيقة .



★ إبراهيم ناجي ★



★ توفيق الحكيم ★



★ شكسبير ★



★ شوقي تيف ★



★ سادر ★

بين العلم والفن « ما يلي : « بسود نوع من التفكير يجعل من العلم والفن أو من الحقيقة والجمال عدوين متناقضين مقترضاً لكل منهما دنياء المقلدة عليه . وحتى الشاعر (كميّس) الذي قال : « إن الجمال هو الحقيقة » عاد فاشتكى من أن العلم قد جرد فوس قزح من جماله . هذا التفكير جرّد دنيا العلم والحقيقة من أي صفة تعطى لها لوناً ، وجرّد دنيا الفن والجمال من أي لمسة من الحقيقة . وبذلك أوقع الإنسان في حيرة وفرض عليه أن يختار إحداها ويترك الأخرى .

ولكن حين تدرك أن الاستجابة والوضع كليهما متداخلان في الوعي الإنساني وأنها جزء لا يتجزأ من الوجود الإنساني الذي يخلق كلاً من الحقيقة والجمال ، عندئذ فقد ندرك أفعال هذه التفرقة بين العلم والفن وانتفاء وجود العداء والتنافس المزعومين بينها . بل الصحيح هو العكس . فهذان التقبضان يخلق كل منهما الآخر ، ويدفعه إلى النشاط ، والرباط الخفي بينهما هو دنيا المجتمع الإنساني الواقعي .

ولنأخذ اللغة مثالا على هذا التداخل العفوي بين العلم والفن . لكل كلمة لها قيمة تأثيرية وقيمة معنوية . فعندما تغلب القيمة التأثيرية تصبح اللغة موسيقى . وعندما تغلب القيمة المعنوية تصبح اللغة أرقاماً رياضية ، ولا تعود الموسيقى تشير إلى حقيقة موضوعية خارجة عن الإنسان ، وفي الوقت نفسه لا تتلاشى فيه ، بل تصبح هي نفسها حقيقة موضوعية ، وعند سماعها لها تكون له بيئة . والأرقام رغم أنها لا تشير إلى نائير ما فإنها لا تتلاشى في البيئة بل تصبح فكراً خالصاً ، يصبح الإنسان أو الجهاز الإنساني وهو بزاوّل نشاطه على البيئة .

ونحن نرى هذا في المجتمعات البدائية بوضوح . فقد اختلطت ونداخل العلم بالفن ، الحقيقة بالجمال . فالخصاد عندهم عمل ورقص يختص بحقيقة وبلذّة . والعمل والغناء متلازمان ، وكل عمل له أيامه السعيدة . الخ .

وما عملنا نحن أننا سرقتنا من العلم منشوقاته وترغيباته ومن الفن حقيقته . فلم تعد عندنا حقيقة جميلة ولا فن حقيقي .

سأل أحدهم الدكتور إبراهيم ناجي عن كيفية جمعه بين الطب والشعر فقال :

الناس تسأل .. والهواجس حجة
طب وشعر كيف يتفقان ؟
الشعر مرحة النفوس وسره
هبة السماء ومنحة الديان
والطب مرحة الجسم ونيعه
من ذلك الفيض العلي الشان
ومن الغمام ومن معين خلفه
يجدان إلهاما ويستقيان

وكتب الدكتور عبد السلام العجيلي عن الدكتور (الياس) في قصته « باسمة بين اللوع » ما يلي : « فهو قادر على البرهنة على صحة نظرية وعلى البرهنة على خطئها في آن واحد ، تسعفه في ذلك معرفة واسعة بعلوم كثيرة .. الطب أحدها .. ودكاء لامع وسخرية لأذعة بحسن استخدامها عندما يريد ويشتهي » .

وتحدث الأستاذ أمين نخلة عن إبراهيم المنذر فقال : « شعرة شعر العلماء . فأسلوب رصين والفاظ بيّنة وانسجام مطرد ، ولغة لا تؤق من جهة ، ومعانٍ قريبة ، يتناولها الفأريء باليد ، وقد بدأ جاء من العلماء شعراء ومن الشعراء علماء » ^(١) .

ويعتبر الدكتور شوقي ضيف في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » « الشعر صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد » ثم يذكر أن التقاد قد عجزوا منذ عهد أرسطو حتى الآن عن وضع المقاييس والمراسد لهذه الصنعة . ثم يعود بمفهوم كلمة « شعر » في اللغة العربية إلى أنها تعني العلم .

وكتبت أسما حليم في مقالها « نظرة جديدة إلى الجمال » ^(٢) عن « وهم العداء

وقيل إنه عندما تقدمت السن يداورين ولم نبق عتده القدرة الكافية على تذوق الفنون الجميلة ومنها الرسم والغناء والموسيقى والشعر والنحت ، كتب يقول : « كنت حتى سن الثلاثين من عمري أجد في قراءة اشعار (ملتون) و(بيرون) و(وردز ورث) و(كوليردج) و(شيلي) لذة عظمى ، وكنت أطرب طرباً عميقاً في قراءة شكسبير وخاصة مسرحياته النارجية وأجد الطرب ذاته في الرسوم الفنية وأكثر من ذلك في الموسيقى . ولكنني الآن ومنذ سنين لم يبق يوسعي قراءة سطر واحد من الشعر . وقد حاولت أن أقرأ شكسبير فوجدته من المساحة بحيث بعث في نفسي غثباناً . ولم أعد أستسيغ الصور الفنية ولا الموسيقى . ويبدو لي وكأن عظمي قد استحال إلى آلة لطحن الحقائق واستخراج القوانين العامة منها . ولو أنني كنت قادراً على أن أعيش حياتي مرة أخرى لعنيت بأن ألزم قاعدة هي أن أقرأ بعض الأشعار أو أستمع إلى الموسيقى ، مرة كل أسبوع على الأقل . والسبب في ذلك أن أجزاء دماغي التي خدت بالاهمال كان يمكن أن تبقى على نشاطها بالاستعمال .

أجل إن فقدان هذه الفنون هو فقدان للسعادة ، بل قد يكون في هذا فقدان ضرر للتفكير . والمرجح أن هناك منه ضرراً للاخلاق أيضاً .

فكأنني به عندما يكتب هذا عن نفسه يرثي لحال أولئك الذين يتخصصون في علوم الطب والهندسة والمحاماة ولا يهتمون بالفنون الجميلة . إن هؤلاء أصبح فيهم قول سلامة موسى : « إتهم بحياة هزيلة ينقصها الكثير من ثراء الفن » . أو كما يقول الدكتور مدني الخيصي وزير الصحة في سوريا ، في بحث له في مجلة « المعرفة » المنشقة عن « غاية الحياة » : وهكذا يعمل العقل في تحبة مختارة وطبقة ممتازة ، نذرت نفسها رائدة لكشف المجهول . وجلاء حقائق الكون ، تتكلم بلغة لا يفهمها بقية الناس لأنها لا تطمح إلى أشياء يتصارع عليها القطيع الذي تحاول أن نرقعه جاهدة في معراج العقل الإنساني . إنه كلما قل أو انعدم أفراد هذه النخبة في أمة من الأمم كانت الصق بالتراب وأكثر يهدأ عن السماء . أعني أن الأمة التي تقتصر في حياتها على أطباء ومحامين وتجار وسياسيين تنقلص المعرفة في عقولهم إلى الحد الذي يحتاجون في عملهم اليومي ، هي أمة قاشلة إذ أن الجواء القسيحة والعوالم اليعيدة وطموح الإنسان إلى استشفاف حقيقته ، جميعها أمور غريبة عنهم ، لأنها غريبة عن وصفة الطبيب ومرافعة المحامي ودوغما ، السياسي وفوائير التاجر .

وكتب الأديب الفرنسي (ريشان) عن العلاقة بين العلم والأدب ما يلي : « لن كان جهلنا لموجودات الطبيعة كما زعم بورك سبب الاعجاب الأساسي الذي توحيه إلينا نحوها ، وأصبح هذا الجهل عندنا متبعاً للشعور الرقيق ، أمكننا أن نتساءل فيما إذا كانت العلوم الحديثة يمزجها التفاب الذي يجيب عنا قوى الحوادث الفيزيائية وعواملها ، وتوصبجها لنا نظاماً خاضعاً إلى فوائير رياضية قد تشطت تأمل الكون وتخلعت علم الجمال كما تخلعت علم الحقيقة ؟ »

وما لا شك فيه أن تحريات المشاهد المقرونة بالآانة والأرقام التي يجمعها الفلكي ، والتعدادات الطويلة عند الطبيعي لا تصلح أبداً لابقاظ الشعور بالجمال . ليس الجمال في التحليل . إن الجمال الحقيقي الذي لا يستند إلى أوهام الخيال البشري كامن في نتائج التحليل .

إن في تشريح الجسم البشري تنويه جماله ، ومع ذلك وهذا التشريح يصل العلم إلى معرفة جمال من رتبة سامية لا تقطن إليها النظرة السطحية .

وما لا شك فيه أيضاً أن هذا العالم حيث عاشت البشرية قبل أن نصل إلى الحياة العاقلة ، هذا العالم العنير كأخلاقي وكملي ، بالفتنة والحياة والعاطفة ، كان له جمال لا يُعبر عنه .

ولئن جاز لطائفة من البشر أن تنذر من المذهب العقلي الذي يجعل الطبيعة قاسيةً عديمة المرونة فتتقم على التجربة التي جعلتها أثراً بثغرتين ، وطردتها من عالم الواقع ، إن هو إلا يسبب قصر نظرهم عما وصلت إليه نتائج العلم .

فالعالم الحقيقي الذي يكشفه لنا العلم أسمى من العالم الوهمي الذي يبدعه الخيال . وكافي بالفكر البشري عاجز عن إدراك العجائب الخارقة فقيدته بشروط لا يتسنى له تحقيق المثل العليا بدونها .

وأني له أن يدرك ولو جزءاً ضئيلاً من الروائع التي تيديها لنا المشاهدة ؟ إننا مهما جئنا مقاهمنا فلن تعدى اظهار ذرات غابة في الصغر إذا قيست بما هي عليه من حقائق الأشياء .

ليس من الغرابة يمكن أن تلوح لنا كل تلك الأفكار التي كوئنا لنا العلم بشكله الابتدائي عن العالم صنيقة الحدود ، تافهة وحقيقية ، إذا ما قارناها بما أجمع العلماء على صحة حقيقته ؟

لقد شهبوا الأرض بأسطوانة تارة وعمود تارة وغرور مرة أخرى . ومثلوا الشمس بقطع من السديم دائمة الالتهاب ، وصوروا الكواكب إبان اجنبازها مسافات طويلة تحت القبة الزرقاء يكرات تدور حول مركز واحد في عالم مغلق محاط بأسوار ضاريرين حوله نطاقاً ضيقاً تحطم دونه معرفة غريزة اللاباية ؟

ويعود كشف هذا الواقع غير المحدود الذي لا يمكن لجولان الخيال مهما بلغ من افداه أن يصل إليه ، إلى المنهج التجريبي الذي يروق لكثير من الناس أن يمثلوه يقيناً تطافه وخلوه من المثل العليا .

فلنصرح إذن بدون وجل فائلين : « إن تلك الأوهام العجيبة التي أماطت عنها لثامها وحسرت قناعها فبدت بجميع مظاهرها الرائعة . أوحى إلينا شعراً يصيب كبد الحقيقة ويجمع بين العلم والفلسفة ، انتهى الكلام « ريتان » .

هذا ولما كان الطبيب عالماً مُطلعاً تمام الاطلاع على تركيب الجسم البشري ، وكان عليه أن يعلم الشيء الكثير عن نفسية مرضاه وحالاتهم وهواجسهم ، وأن يدخل الشعور بالثقة والاطمئنان إلى فلولهم ويترجح عنهم كابوس الألم والقلق المزعج ، وأن يكون مترن الحس صحيح المحاكمة ، واقعاً نفسه حين يجب مباشرة في محور الألم ، فيعيش حياة تلك الكائنات الإنسانية التي نلتجى إليه يعمو وحرارة وشدة ، متفهماً حالة العائلة المشردة والاطفال اليتامى والابن الوحيد والزوج الفقير البائس ، والشيخ البائس من الشتاء ، والمرأة النافر ، وتلك التي حملت بعد معاناة ومرارة نفسي متهكة قاسية ، ومتمتعاً بوجو باش قرح عندما ينشئ مرضاه ويفادرون أسرهم فرحين متلهلين ، مجدوهم الأمل الياسم في أن يُنشأ رسالتهم في الحياة . نقول : إذا كان ذلك من المتطلبات التي يجب على الطبيب الممارس أن يتمتع بها وهي في صميم الإنسانية ، فما الذي يمنعه من أن يكون شاعراً متعاً وكاتباً لامعاً وأديباً مبدعاً بطرف العالم بروائعه الخالدة ؟

وهنا لا بُد لنا من كلمة في هذا الموضوع وهي أن ما يتقص الغالبية التالية من أطبائنا ، وقد اشتراطوا عليهم فيل دراستهم الطب أن يجوزوا على البكالوريا العلمية ، إتهم انصرفوا أثناء دراستهم الثانوية إلى عالم الرياضيات وأهلوا اللغة العربية أثماً اهمال ظناً منهم أنهم ليسوا بحاجة فليحة إليها في سبيل النجاح ، ولجأوا إلى تلك المعادلات وعرقوا حتى آذانهم . وبذلك فاتتهم الآداة التي يعبرون بها عن شعورهم وخانهم منطق الكلمة ، اللهم إلا من ندر منهم وكانت عنده بذاته خبرة من أدب أو فلسفة .

جاء في كتاب « أدب الطبيب »^(٣) تحت عنوان « التهيئة لدراسة الطب » ما يلي : « ولأجل اخراج أطباء أكفاء يجب أن يكون طلاب الطب أقباء منتخبتين خاصة بمن أكملوا التحصيل الثانوي ، لأن الاطلاع على الأدب والفلسفة ضروري لطالب الطب لتنمو عنده قوة البحث والتفكير المنتظم والملاحظة وليصبح مرناً بنظرياته وأعماله . لأن تحصيل العلوم فقط يجعل التفكير محدوداً لا يرى صاحبه من المسائل المعقدة إلا وجهاً واحداً قد يوقع في الخطأ » .

وكتب تحت بحث « صفات الطبيب العقلية والخلقية » : « ولما كانت الرابطة بين الآلام الجسدية والنفسية قوية يجب أن يكون في روح الطبيب كل ما يتحلل به المرشد الصالح من المزايا الروحية »^(٤) ويجب على الطبيب أن يكون مثقفاً ثقافة عامة واسعة يتوفر بها حفظ كرامته ، وأن يكون ذا محاكمة صائبة قبصل إلى الحقيقة عند مجابهة الوقائع بفضل دقة ملاحظته وتحليله التقسي الصائب . وعليه أن يكون رزيتاً متمسكاً براهبه حتى

ننصح له الحقيقة فيأخذ بها بعد تحقيق وروية .

ومن قول الدكتور عبد السلام العجيلي على لسان أحد أبطاله : « يا ليتني كنت شاعراً . . . ألم تجتهد لك يا آنسة أن ضجعت بصدرك الانفعالات ؟ الانفعالات المشبهة التي تخوي في طياتها مشاعر الألم أو الرغبة أو الخبور ؟ فاشتبهت أن تُشركك في مشاعرك أو تشركي العالم بها ؟ في ظرف مثل هذا ينمى كل إنسان أن يكون شاعراً يُغني للناس أفراحه وأتراحه حتى تكون أفراحهم وأتراحهم أو يُغني عواطف الناس لكأنها عواطفه هو ؟ » وقوله : « لم يكن ذلك الموضوع محمداً ولكن الدكتور الباس قال للسامعين إنه سيحدثهم عن بعض ما مر به في ممارسته الطب إذ لا أغنى من ذكريات الطبيب بالأحداث . . . وما الذي عند الطبيب غير ذكرياته يتحدث بها ؟ »

وما أجل ما قاله جورج دوهاميل في معرض حديثه عن صديقه هنري موندور : « ترجع صدائني لهنري موندور إلى مطلع هذا القرن إذ كنا نخصص بالطب والجراحة . إلا أننا كنا نعرف أنه لا يكفي لمعرفة الناس أمثالنا أن ننطلق إليهم على سرير الأوجاع ، بل يجب أن ننحراهم وهم يعانون الحب والغيرة والصدافة والطموح . لقد شاطرننا الناس آلامهم وعرفنا أن من واجبتنا التحدث عن الإنسان للإنسان ،

هذا ولا يقتصر بنا البحث عند هذا الحد بل نرى أن الدكتور محمد محمود غالي في مقال له تحت عنوان « رسالة العلم » نشر في مجلة الرسالة عدد ١٠٤٦ يدعو الأدباء والعلماء بشكل عام إلى التقارب فيقول : « إن التطور الحادث في العالم في البحوث العلمية الجديدة ، وما حققه الإنسان في العصر الذي يعيش فيه ، عصر الذرة والأقمار المصنوعة ، يدفعني وأنا المشتغل بالعلوم أن أدعو أدباءنا للاطلاع على هذا التطور الجديد الذي تأثر به أدباء العالم .

ثم إن ما يكتبه أهل الأدب والاجتماع والسياسة من الكتاب المحدثين أمثال (سارتر) الفرنسي و(برتراند راسل) الانكليزي و(ليمتوي) الافريقي من الكتاب ، يحفزني أيضاً أن أدعو العلماء في بلادنا للاطلاع على المؤلفات الجديدة في الفلسفة والفكر ، فينضرب الطرفان بعضهم من بعض ، وتقترب من العالم الصاعد في تفهم المواضيع الجديدة . . . علمية كانت أم أدبية .

هذا التقارب موجود في أوروبا وأمريكا . وهذا التجاوب واضح في الكثير من مؤلفاتهم بل في إذاعاتهم .

إن أكبر العلماء والفلاسفة يقومون بإذاعات هي في صميم العلوم المبسطة ويتابعها الأدباء في كل العالم . مثل هذه الإذاعات صدرت في كتب شتى وترجمت لمعظم اللغات الحية . ثم إن العلماء بدورهم أيضاً يتابعون بشوق كبار رجال الفكر من الأدباء المعاصرين وعلماء الاجتماع ويقبلون على سماعهم .

أذكر أنه في يوم من الأيام وفي السوربون ، منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، دعت «رابطة الطلبة» بكلية العلوم وجمهرة من الأساتذة الطلبة للاستماع إلى محاضرة للعالم الفذ (لأنجفان) أستاذ الفيزياء بكلية فرنسا ، واختاروا لهذه المحاضرة أحد المدرجات الكبيرة في السوربون . وكان موضوع المحاضرة «بعض نواحي الكشف العلمية الحديثة» . وفي الساعة المحددة للمحاضرة ، وعندما اكتمل المئات من المستمعين وأخذوا أماكنهم وإذا بأحد المشرفين على هذا الحفل الكبير يعلن أن العالم (لأنجفان) مريض وأن البروفسور (باييه) أستاذ علم الاجتماع تطوع لإلقاء محاضرة عن عظماء الرجال . أذكر تماماً أنه لم يخرج من الجمع الحافل أكثر من ثلاثة أو أربعة ، وظل الباقي يستمعون بإعجاب شديد .

ثم إنني أذكر أيضاً . . . وقد كنت مهندساً ناشئاً يعرف في الحجازة ومياه النيل ، طالباً في العلوم ، أقرب سنة بعد أخرى من علوم الذرة ، وبعيداً كل البعد ، في ماضي وحاضري ، عن علم النفس والعلوم الاجتماعية ، أذكر أنني ناهيت (بساويه) في شوقي وتعمقت معه حيث تعمق وسرت معه حيث سار ، وكانت فائدتي في تلك الليلة مما زاد في ثقافتي بل شوقي لزيارة معمل علم النفس التجريبي الذي زرت في ذلك الحين والذي تابعته بعد ذلك بثلاثين عاماً في بعثتي الثانية في باريس عندما كنت مديراً عاماً لمصلحة النقل . وعندما مارست كيف بمحتنون سائق الأوتوبيس بإجراء امتحان دقيق كهربائي لقوة أعصابهم ، الشيء الذي لم أسنطع لظروف كثيرة أن أطبقه في مصر . وغير هذا مما يخرج بنا عن هذا المجال .

وكذلك كان الحال في كثير من محاضرات الاجتماع (الأدب أو الفلسفة) . فكم من مرة دخلنا نحن طلبة العلوم قاعة (ليار) نستمتع إلى عرض رسالة من رسائل الدكتوراه في الفلسفة ، أو نتابع حصة من حقبات التاريخ . وكم شاهدت أصدقاء لي من طلبة الآداب يحضرون في كلية العلوم على (فايري) في الضوء و(كوتسون) في الكهرباء و(جيبه) في الذبذبة . هذه الدروس الفريدة ، والتي وإن تحللها المعادلات والمتساويات فإنها لا تخلو عند تعليل الأساتذة عليها من تلك الجمل الرنانة والعبارات الساحرة التي قد تدخل في صميم الحياة .

لذلك لم أدهش عندما سافر من مصر الأستاذ لالاند عضو المجمع الفرنسي وكان يقوم بتدريس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وطلب من مجلس الكلية أن يضيف مادة جديدة لطلبة السنة الثانية قسم الفلسفة سماها «مقدمة الرياضيات والطبيعة لعلم الفلسفة» .

تلك هي الروح في أوروبا ، وهي الروح التي أرجو غلصاً أن غل بيننا ، فتسري بين علمائنا وأدبائنا ، ويتأثر بها الطلاب في الجامعات والمعاهد . ولقد بات هذا التبادل الثقافي في هذا العصر ضرورة فصول أكثر من أي زمان مضى ، ذلك أن الطفرة التي حدثت في السنين الأخيرة سواء في ناحية الأقمار المصنوعة أو في ناحية الذرة ، والكشف عن القنابل النووية الخطيرة التي تتعلق عليها مصيرنا جميعاً تجعل لزاماً على المشتغلين بالآداب أن يتابعوا عن كثب التطورات الجديدة والكشوف الحديثة ليتأثروا بها في كتاباتهم ، وإلا فهسيكونوا في عالم غير عالمنا .

إن دعامة الوطن العربي الأساسية هي مجموع ما يعرفه الفرد من علم وثقافة ، وما يتصف به من أخلاق . فليقبل العلماء والطلبة وأفراد الشعب على ندوات الأدباء ومحاضراتهم وأحاديثهم .

بقول توفيق الحكيم : «أما أولئك الذين أحب أن أقرأ لهم فهم في الغالب من طراز العلماء المطعمين بالفلسفة» .

ثم إن العرب . . . كما يقول الدكتور محمد حسين لا يمكنهم أن يبلغوا درجة الأستاذية في جميع العلوم الجديدة ، التي أذهم عدوهم بتفوقه عليهم . . . إلا إذا أصبحت هذه العلوم ملكاً لهم وهم لا يملكون هذه العلوم ولا يحسون أنها علوم عربية . إلا إذا قرأوها بالعربية وكتبوها بالعربية .

وسبطلون يحسون أنهم غرباء عليها وينظفون على أصحابها طاملاً ظلوا يفسرونها ويكتبونها بغير لغتهم .

هوامش

- (١) إبراهيم المنذر لغوياً وخطيباً وشاعراً . مجلة الفكر العربي العدد الأول - بيروت - ١٥ آذار ١٩٦٢ .
- (٢) اسماء حلم . من مقال نظرة جديدة إلى الجمال . مجلة المجلة - عدد ٧٦ .

(٣) لمؤلفه الدكتور عارف صديقي الطرفجي الأستاذ السابق في الجامعة السورية (أستاذ الطب الشرعي وأدب الطبيب وتاريخ الطب) .

(٤) يقول الرازي العالم الكبير : إن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس وذلك لأن للنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة . فتجد أنه أوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيباً للروح . فمن أقواله : «عل الطبيب أن يوهب مريضه الصحة ويرجيه بها وإن لم يثن بذلك . فزاج الجسم تابع لأخلاق النفس» .

دائرة المعارف

كتب اخوية

بنكلمون بكلام العوام المردول، جرياً على العادة، وأن الذين ألفوا فيها نلحن فيه العوام لم يحفظوا الغرض المنشود من هذا التأليف، فمنهم من قصر، ومنهم من ذكر ما لا يكاد يستعمل، ومنهم من رد ما لا يصلح رده.

وقد رتب ابن الجوزي كتابه على حروف الهجاء، فجعل لكل حرف باباً، وهو في ترتيبه يختلف عن أصحاب المعجمات، إذ يعتبر الحروف الأصلية والمزيدة معاً، دون نظر إلى الأصل الاشتقافي. كذلك فإن الكلمات لم ترتب داخل الأبواب كالنظام المعجمي، بل وضع في كل باب جميع الكلمات المبدرة بالحرف الذي عقد له هذا الباب، دون ترتيب. ويوضح المؤلف الأساس الذي بنى عليه الحكم بالصواب والخطأ بقوله: «وإن وجد شيء مما نهت عنه وجه، فهو بعيد، أو كان لغة فهي مهجورة».

ويعالج الكتاب لحن العامة والخاصة معاً، وهو يعد من الكتب المختصرة، إذ يكتفي فيه مؤلفه بإيراد اللفظ الصواب ويضبطه باللفظ، ثم يذكر ما تقوله العامة ويضبطه باللفظ أيضاً.

وقد يستشهد أحياناً، وقد يورد بعض الأخبار في حالات قليلة، وفي حالات أخرى ربما أورد السند على ما جرى عليه في كتبه الأخرى. إلا أن شواهده قليلة، فقد استشهد بعشر آيات من القرآن الكريم، وستة أحاديث نبوية وخبرين، واثنين وعشرين شاهداً شعرياً، كلها لشعراء يُحجج بشعرهم.

أما عن مصادر الكتاب فإن ابن الجوزي نفسه يذكر في مقدمة كتابه، أن كتابه هذا «مجموع من كتب العلماء بالعربية كالقراء والأصمعي وأبي عبيد وأبي حاتم وابن السكيت وابن قتيبة وثلعب وأبي هلال العسكري، ومن نعيم من أئمة هذا العلم، وإنما لي فيه الترتيب والاختصار». وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر، عام ١٩٦٤ م.



ثلاثة كتب في الأضداد:

للأصمعي والسجستاني وابن السكيت، وهو كتاب نشره الدكتور أوغست هفتر، جمع فيه ثلاثة كتب وضعها أصحابها في ظاهرة لغوية، هي «الأضداد». وهذه الكتب بهم مصنفوها بإيراد مجموعة من ألفاظ النضاد، مع سياقة ما يتسنى لهم من شواهد على ذلك.

ومن ألف في هذه الظاهرة نالفاً مستقلاً - بالإضافة إلى مصنفي هذه الكتب الثلاثة - ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) - أبو حاتم (ت ٢٥٥هـ) - الصاغاني (ت ٦٥٠هـ) - قطرب (ت ٢٠٦هـ) - ابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) - وأبو الطيب (ت ٣٥١هـ).



المجمل:

معجم لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، نظمه على أساس ترتيب الأبجدية العادية،



الأضداد:

لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، كتاب الأضداد وهو من الكتب التي تدور حول الألفاظ التي تحتمل معنيين متضادين في العربية. وقد كان موضوع الأضداد - ولا يزال - موضع جدل عند العلماء والدارسين، فمنهم من قال بإمكان وقوعها، وعدّها وضعها في مألوف القوانين اللغوية، وذلك لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية، ومنهم من أنكر هذه الأضداد، إنكاراً عنيفاً. وأشهر من أعلن هذا الرأي ابن درستويه. إلا أن الفائلين بوقوع «الأضداد» في اللغة، ومنهم ابن الأنباري، قد توسعوا في ذلك، وأثبتوا العديد من الألفاظ مما لبس بضد في اللغة على أنه من الأضداد.

وقد قام بتحقيق الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ونشره بالكويت عام ١٩٦٠ م.



البلغة في شذور اللغة:

بنالغ هذا الكتاب من عشر مقالات لغوية لأئمة كتبة العرب، أودعوا كل ما فيها ألفاظاً في باب معلوم كالسلاح والانسان والابل، وغير ذلك من المعاني الخاصة. ونذهب بعض الآراء إلى أن هذه الرسائل الصغيرة التي تم العثور عليها مخطوطة، والتي كتبها لغويون كالأصمعي وأبي زيد وغيرهما، كانت نواة المعجمات الموضوعية التي نذكر بها لغتنا العربية كالمخصص لابن سيده وفقه اللغة للثعالبي.

ويبدأ الكتاب بذكر كتاب الدارات للأصمعي، ثم كتاب النبات والشجر للأصمعي، ثم كتاب النخل والكرم للأصمعي، ثم كتاب المطر لأبي زيد، ثم كتاب الرحل والمنزل لابن قتيبة، ثم كتاب الليل والليل لأبي زيد.

والكتاب يحوي - بالإضافة إلى ذلك - رسائل في المؤنثات السماعية، و الحروف العربية، ثم يجتم بشرح مثلثات قطرب بالرجز.

ولا ريب أن هذه الرسائل تساعدنا في التعرف على مختلف الألفاظ التي نفع في مجال دلالي معين، وتبين ما بين هذه الألفاظ من فروق دقيقة، فد لا نوضحها بعض المعجمات الترتيبية الأخرى.

وقد قام الدكتور أوغست هفتر، و الأب لويس شيخو اليسوعي بنشر كتاب البلغة، وذلك عام ١٩٠٨ م.



تقويم اللسان:

لابن الجوزي (٥٩٧هـ - ١٢٠١هـ)، ألفه لأنه رأى كثيراً من المتسبين إلى العلم



ديوان الأدب :

للفارابي (٣٥٠هـ - ٣٧٠هـ)، هو أول معجم جامع في اللغة العربية ترتيب مادته على حسب الأبنية، أو باعتبار السواكن والعلل. وقد قام الدكتور أحمد مختار عمر بتحقيق الكتاب، وظهر منه جزءان حتى الآن. . . وقد قدم الفارابي لمعجمه بمقدمة تناولت مسائل عدة لغوية وتصريفية. وبعد المقدمة تجيء المادة اللغوية موزعة على أبوابها بحسب أبنيتها. وقد ذُهل معظم أبواب الأفعال بأحكام تصنيفية. وقد قُسم الفارابي معجمه ستة أقسام أسماء كُتباً، منها كتاب السالم وكتاب المثلث وكتاب ذوات الثلاثة، وكتاب ذوات الأربعة، وغيرها.



المذكر والمؤنث :

للفراء (١٤٤هـ - ٢٠٧هـ)، يقال إنه أول كتاب ألف في موضوع المذكر والمؤنث. وقد بدأه الفراء بذكر علامات التأنيث في العربية ومنها اهاء والمدة الزائدة، ويقصد بها الألف الممدودة والألف المقصورة، وعرج على الصفات الخاصة بالمؤنث فذكر أنها لا تحتاج إلى علامة للتأنيث مثل: «حائض وطالق»، وإن ما جاء منه في الشعر مؤنثاً بالهاء، سببه ضرورة الوزن الشعري. ثم جاءت بعد ذلك أربعة فصول صغيرة، جعل عنوان كل واحد منها «نوع آخر». وقد عالج الفراء في الفصل الأول صيغة «فعليل» المعدولة عن «مفعول»، والتي بسنوي في الوصف بها المذكر والمؤنث؛ بشرط أن يذكر الموصوف مثل: «امرأة فتيل». كما عالج تغليب المذكر على المؤنث في هذه الصيغة وغيرها، إذا كان الوصف أكثر في الرجال مثل: «أمرنا امرأة». وفي الفصول التالية يتناول المؤلف ما كان على وزن «فعلول»، وما كان على وزن «مفعول»، ثم اسم الجنس الجمعي ومفرد، ثم إجراء المؤنث على المذكر في المبهات كأحد وديار وغير وبعض، إلى غير ذلك من الفصول التي يحتويها الكتاب.



الرد على النحاة :

لابن مضاء القرطبي. كُتبه لينصح به النحاة، وخاصة نحاة البصرة، وليهدبهم، لأنه براهم قد ضلوا وأضلوا الناس في وعناء النحو وشعابه. . . وهو في كتابه يهاجم نظرية العامل التي أسس النحاة عليها أصول النحو وسنته، وهو هجوم أراد به أن يلغيها تماماً. وينقل القرطبي من ذلك إلى بحث العوامل المحذوفة ليدل على مدى فساد نظرية العامل. ثم يتركها إلى الضمائر المستترة، وينتهي إلى أن ضمائر التثنية والجمع في مثل قولنا: (قاما- قاموا- قن) ليست ضمائر، وإنما علامات تدل على التثنية والجمع، كما تدل الناء الساكنة على التأنيث.

ويخرج ابن مضاء من هذا الفصل إلى فصل ثان بدرسه فيه باب التنازع في النحو، وقد أراد بذلك أن يصور ما تجره نظرية العامل من رفض بعض أساليب العرب. ثم يتناول بعد ذلك الاشتغال. وهو لا يكتفي بطلب الغاء العلل الثواني والثالث، بل يضيف إلى ذلك طلب الغاء القياس، مستمداً ذلك من مذهب الظاهرية. وقد قام بتحقيق الكتاب ونشره الدكتور شوقي ضيف.



المزهر :

كتاب للسيوطي (ت ٩١١هـ) يقع في جزءين، ويتناول الجزء الأول منه عدداً من المسائل في معرفة الصحيح وذكر الآثار الواردة في أن «الله تعالى علم آدم عليه السلام

مراعياً ذلك في كل أصول الكلمة بما فيها الأول والثاني والثالث وهكذا. وكان ابن فارس يعقد فصلاً لكل حرف من حروف الهجاء، ويقول فيه مثلاً باب الحاء وما بعدها، ويعني بقوله: «وما بعدها» ما يليها في ترتيب الأبجدية العادية وهو الخاء مثلاً، فلم يبدأ بالحاء والهمزة مع بقية حروف الهجاء، ثم الحاء والباء، ثم الحاء والياء، وهكذا، ولكنه بدأ بالحاء والحاء، ثم الحاء والذال، وهكذا إلى الحاء والياء، ثم يعود فيذكر الحاء مع الهمزة ثم الحاء مع الباء، فالحاء مع الناء، ثم مع الناء، إلى أن يجتم هذا الباب بالحاء مع الجيم.

وقد نص ابن فارس في جملة على أنه سيفتصر على ذكر المستعمل من الألفاظ في عصره. ولذا فلن نهم بذكر النوادر والغريب.

وقد نقل ابن فارس عن كتاب العين للخليل بن أحمد، و الجمهرة لابن دريد، وكتابي أبي عبيد: المصنف والغريب، وإصلاح المنطق لابن السكيت.



معاني الحروف :

كتاب لأبي الحسن الرمازي (٢٩٦هـ - ٣٨٤هـ)، ضمن ثلاثة كتب مطبوعة تتناول موضوع الحروف ومعانيها، وهي الجني الداني للمراذلي، ورصف المباني للمالقي، إلى جانب هذا الكتاب.

وفيل إن الرمازي ألف كتاب الحروف على مثال كتاب الحروف لأرسطاليس الذي أشار إليه ابن التندم في الفهرست. وقد بدأ الرمازي بالحروف الأحادية، ثم ثني بالثنائية، ثم تحدث عن الثلاثية فالرباعية. وقد التزم المؤلف الترتيب على حسب الأحرف الهجائية في الحروف الأحادية، ولكنه لم يلتزم هذا الترتيب في الحروف الثنائية.

والرمازي في حديثه عن الحروف بذكر الحرف، وبين أعمال هر أم هامل؟ ثم يورد الاستعمالات المختلفة مبنية على أقوال النحاة، وحكى عن أنهم كاخليل وسيبويه والمازني والمبرد والأخفش. وهو غالباً ما يعتمد ما يقوله سيبويه، ويخالف الكسائي والضراء، ويعرض آراء البصريين والكوفيين، «إلا أنك قد تجد ما يدل على بصريته في خفوت حيناً، وفي وضوح حيناً». وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.



الخصائص :

كتاب لابن جني (٣٣٠هـ - ٣٩٢هـ)، بدأه بمقدمة مختصرة قدم فيها لكتابه. ثم تلاها بأبواب الكتاب التي ضمَّ الجزء الأول منه ٥٤ باباً، والجزء الثاني ٥٥ باباً، والثالث ٥٣ باباً، تناول فيها القول والكلام والفرق بينهما، والنحو والأعراب والبناء والاطراد والشذوذ ومقاييس العربية، والقياس، والسماع، والعلل، والادغام، والاشتقاق، والمطل. كذلك فإن ابن جني يفصل القول في اللغة وماهيتها، ويتناول مسألة المزدادات، ويورد أمثلة لذلك عن الطبيعة والخلقة، ومرادفات الدم، ومرادفات الحاجة، ومرادفات الذهب وغيرها. وهو من خلال هذا كله يستشهد بأبيات وأنصاف أبيات من الشعر العربي.

أما عن عرض ابن جني للفضايا النحوية واللغوية، فإنه سار على نهج من سبقه، والاخذ بأرائهم، ولكنه في الوقت ذاته لم يكن يبالي أن يخالفهم إذا اختلف رأي لم يقولوا به، واستوى له ذلك. . . وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ محمد علي النجار، وجعله في ثلاثة أجزاء.

اللغات» ، وهي القضية التي شغلت القدامى من اللغويين ، حيث حاولوا الاجابة عن هذا السؤال : هل اللغة توقيفية أم اصطلاحية ؟ ويتناول هذا الجزء ايضاً معرفة الموضوع والفصيح وتداخل اللغات والمعرب ، والأضداد والمترادف ، والابدال والقلب والنحت . ويختم هذا الجزء بالحديث عن الملاحن والألغاز ، وفيها فقيه العرب ، وهو أيضاً ضرب من الألغاز .

أما الجزء الثاني فيتحدث فيه السبوطي عن أبنية الأفعال ، ثم يذكر الألفاظ التي معناها الجمع ولا واحد لها من لفظها ، ثم ما يفرد ويثنى ولا يجمع ، وما يفرد ويجمع ولا يثنى ، وما لا يثنى ولا يجمع . ثم يختم الكتاب بالحديث عن أغلاط العرب ، وذكر ملح ومقطعات من كلام فصحاءهم ونسائهم وصفارهم وإمائهم . والكتاب يعد من أهم المراجع التي لا يستغني عنها باحث في اللغة ومسائلها وعلموها .

لس

سر صناعة الاعراب :

لابن جني (٣٣٠ هـ - ٣٩٢ هـ) ، موضوع هذا الكتاب هو الكلام على حروف المعجم . وقد اشتمل الكتاب على دراسة في الأصوات وهي الحروف وأجرامها الطبيعية ، وصفاتها العامة : من همس أو جهازة ، ومن شدة أو رخاوة ، ومن إطباق أو انفراج . واشتمل أيضاً على ما يعرض للصوت عند بناء الكلمة ، ومصائبته لحرف آخر ، من إبدال أو إعلال أو إدغام ونحو ذلك .

ويشبه ابن جني - في دراساته للأصوات - الخليل بالثاني ، ويشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحات هذا الثاني التي توضع عليها الأصابع . وهي لحة نذل على فوة ملاحظة وصحة فهم .

ويمكننا أن نجمل الدراسات الصوتية في هذا الكتاب في : عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها - وصف مخارج الحروف - بيان الصفات العامة للحروف ، ونفسيهما إلى أقسام مختلفة - ما يعرض للصوت في بنية الكلمة - نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ، وأنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج .

وقد استفاد ابن جني من الخليل أكثر مادة كتابه ، وكان ابن جني بصري المذهب . . وقد حفت الكتاب لجنة من الأساتذة : مصطفى السقا وإبراهيم مصطفى وعبد الزقزاق وعبد الله أمين . ونشرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٤ م .

ش

الاشتقاق :

لابن دريد (٢٢٣ هـ - ٣٢١ هـ) ، عرف هذا الكتاب باسم الاشتقاق ، وسماه الأزهرى في مقدمة التهذيب : « كتاب اشتقاق الأسماء » ، و ياقوت : « كتاب اشتقاق أسماء القبائل » . وقد ذكر ابن دريد في المقدمة ما حفزه على تأليف كتابه هذا ، وهو أن العرب كانت لهم في جاهليتهم مذاهب في أسماء أبنائهم وعبيدهم ، فاستشع قوم تسميتهم كلباً وقرداً وخنزيراً وما أشبه ذلك ، فطعنوا من حيث لا يحب الطعن . فرأى ابن دريد أن يبين هؤلاء القوم مذهب العرب في هذه التسمية مبيناً أسبابها ، معرجاً في ذلك على الاشتقاق .

وقد تضمن الكتاب الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال ، ومن خلال هذا يبسط القول في المادة اللغوية ، ويفسر الآثار الأدبية والدينية التي لها صلة بتلك المواد . . وقد فام الأستاذ عبد السلام هارون بتحقيق الكتاب عام ١٩٥٨ م .

ص

الصحاح :

معجم للجوهري (ت ٤٥٣ هـ) على ما يذكر بسانوت ، وهو يلي معجم الخليل في

الشهرة ، ولكنه بفضل في أمور منها : الترتيب وسهولة الانتفاع به . وقد فام ترتيب الصحاح على حروف المعجم ، وجعل الباب للحرف الأخير والفصل للأول . والجوهري يذكر في الباب كل كلمة وصلت إليه وصحت لديه عروبتها ، ويوزع الكلمات على الفصول وهي ثمانية وعشرون فصلاً كالآبواب ، إلا أن بعض الأبواب نقل فصولها عن هذا العدد ، وهو الأكثر .

وقد ألزم المؤلف طريقة الضبط بالحركات ، فإذا أراد ضبط اسم قال - مثلاً - بالضم ، فهو يريد الحرف الأول من الكلمة ، وإذا قال بالنحرى فالضبط للحرفين الأولين ، وإذا كان في الكلمة لغات أشار ، وإذا أراد ضبط الفعل الماضي قال - مثلاً - « جَحَدَ الرجل » بالكسر والقصد عين الفعل . وهو في ثنائه معجمله هذا يشير إلى الضعيف والمنكر والمتروك والمذموم من اللغات .

ولكن هذا المعجم وقعت به بعض التصحيفات والنحيفات في الشعر والمواد اللغوية والأعلام ، كذلك يؤخذ عليه الخطأ في رواية الشعر وتغيير أسطره ، ووضع مادة مكان مادة مثلاً وضع « الثيب » في « نوب » مع أن موضعها « نيب » كما نبّه القاموس واللسان .

ض

المقتضب :

كتاب للمبرد (٢١٠ هـ - ٢٨٥ هـ) ، عالج مسائل النحو والصرف بأسلوب واضح وبعبارة سهلة . وقد قام بشرح المفتضب كل من الرماني (ت ٣٨٤ هـ) وابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) ، ولكن هذه الشروح لم تصل إلينا ، ولكن وصل إلينا شرح سعيد بن سعيد الفارقي (ت ٣٩١ هـ) لبعض مسائل المفتضب الذي سماه « تفسير المسائل المشككة في أول المفتضب » .

وقد تحدث المبرد في الجزء الأول من كتابه هذا عن تفسير وجوه العربية وإعراب الأسماء والأفعال ، ثم تحدث من الفاعل ، ثم حروف العطف بمعانيها ، ثم مسائل من الفاعل والمفعول ، ثم ما كان لفظه مقلوباً . ثم تناول ما جاء من الكلم على حرفين ، ثم الأبنية ، ومعرفة حروف الزوائد ، وحروف البدل ، والأفعال : أصولها وزوائدها ، وألفات القطع والوصل ، ثم اسم الفاعل والمفعول . ويختم هذا الباب بالحديث عن ظاهرة الإدغام والاضمار .

ويعرض المبرد من خلال كتابه لبعض الأنساب ، ولكنها كانت قليلة متناثرة . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب محمد عبد الخالق عزيمة ، ونشره بالقاهرة عام ١٣٨٥ هـ .

ط

ترجمة الألباء في طبقات الأدباء :

لأبي البركات بن الأنباري (٥١٣ هـ - ٥٧٧ هـ) ، ضمنه ذكر أعيان الأدباء ، ومعارفهم وأحوالهم وأزمانهم ، مع ذكر من فارهم في الفضل . وابتدأه بذكر أول من وضع علم العربية ، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ووصل فيه إلى ترجمة أبي السعادات ابن الشجري . وهو من الكتب القيمة التي تعد مراجع للبحث في موضوعات اللغة والنحو والأدب ، وذلك لأن مؤلفه من الثقات المجودين .

وقد أخذ ابن الأنباري عن الذين سبقوه من كتاب الطبقات والتراجم المعتمدين ، ومنهم السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، و البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) صاحب تاريخ بغداد . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور إبراهيم السامرائي ، ونشره ببغداد عام ١٩٥٩ م .

ظ

كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ :

لابن الأجدابي (القرن الخامس الهجري) ، والكتاب في مجمله صغير الحجم ، إذ يبلغ في بعض الطبقات ٥٥ صفحة ، وفي بعضها الآخر ٨٠ صفحة . أما موضوعه فهو « مختصر

في اللغة ، وما يحتاج إليه من غريب الكلام ، أودعناه كثيراً من الأسماء والصفات ، وجنبناه حوشي الألفاظ واللغات ، وأعربناه عن الشواهد ليسهل حفظه ويقرب تناوله . أما أبواب الكتاب فمنها : باب في صفات الرجال المحموده ، ومن صفات الرجال المزمومة ، وباب في صفات النساء المحموده ، ومن مزموم صفاتهن ، و معرفة حلي النساء ، وباب ما يحتاج إلى معرفته من خلق الإنسان .

وقد توالى على هذا الكتاب المؤلفات شرحاً وتظليماً . ومن هذه المؤلفات شرح محمد ابن الطيب المغربي (ت ١١٧٠ هـ) المسمى « تحرير الرواية في تقرير الكفاية » ، ونظم ابن مالك صاحب الألفية له . ونظمه كذلك الطبري (ت ٧٠٠ هـ) تحت عنوان « عمدة المتلفظ في نظم كفاية المتحفظ » .

ع

العين :

للخليل بن أحمد (١٠٠٠ هـ - ١٧٥ هـ) ، تعددت الآراء حول تأليفه ، فقيل إن الخليل لم يؤلفه ، وقيل إنه لم يضع نص الكتاب ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه ، وقيل إنه قد اشترك معه غيره في ذلك . وقيل أيضاً إنه عمل أصوله ورتب أبوابه ولكن غيره حشا المفردات ، وقيل إنه ألفه ثم روي عنه . ولقد انتهت الآراء إلى القول بأن الخليل هو مؤلف هذا الكتاب ، وأن تلميذه « الليث » كان راويه في ذلك .

ولقد تحكمت القوانين الصوتية في طريقة الخليل ، تلك القوانين التي بها يعرف المهمل من المستعمل . وكان ترتيبه مبنياً على أساس المخارج ، فقدم المجموعات الصوتية بحسب عمقها في الحلق ، ثم تدرج حتى الحروف الشفوية ، ثم حروف العلة .

ويمكن أن نأخذ مثالا لما فعله الخليل قبي معجمه أنه قد تصور وجود دائرة هكذا ح ○ ج فكان إذا بدأ في الرباعي مثلاً بالبدال ، وسار يميناً فإنه يحصل على « دحرج » ، وهو مستعمل ، أما إذا سار شمالاً فإنه يحصل على « دجرح » وهو مهمل ، وهكذا .

غ

المسلسل في غريب لغة العرب :

لأبي الطاهر التميمي (ت ٥٣٨ هـ) ، وهو من الكتب التي يحرص مؤلفها على أن يظهر قدرته اللغوية والأدبية ، أو سعة اللغة بكثرة مرادفها ومشتقها .

والكتاب يعرض لتداخل الكلام بالمعاني المختلفة ، حيث يبدأ المؤلف بذكر كلمة ، ثم معناها ، ثم يعتبر هذا المعنى كلمة أخرى تؤدي معنى آخر وهكذا . فمن أمثلة الكتاب : « الأول : الأول ، وأول : يوم الأحد ، والأحد : الوجود ، والوحد : الفرد ، والفرد : الثور ، والنور : الظهور » . إلخ . ويحتوي الكتاب على خمسين باباً ، ليس لها عناوين خاصة . وقد تعمد التميمي أن يفتح كل باب ويختتمه بشاهد شعري بأخذ من الشاهد الأول الكلمة التي يجعلها أساساً للسلسل ، ويكون الشاهد الأخير استشهداً على معنى الكلمة الأخيرة في الباب .

ولكن الطريقة التي ألزم بها المؤلف نفسه جعلته يكرر كلمات يعينها مرات عدة في مواضع مختلفة ، ولا سبب لذلك إلا تخلصاً عما وقع فيه ، لأن اللغة إذا أتته في مواضع ، فإنها قد لا تواتيه في مواضع أخرى .

ف

الفروق في اللغة :

كتاب لأبي هلال العسكري (٣١٠ هـ - ٣٩٥ هـ) ، يعرف باسم « الفروق في اللغة » أو « الفروق اللغوية » . وقد وضعه العسكري ليظهر فيه الفروق بين الكلمات المتشابهة التي درج الناس على الخلط بينها ، وعدم التمييز بين دلالة كل منها . وجعل كتابه بجوي ثلاثين باباً .

وأبو هلال هو أحد هؤلاء اللغويين الذين كانوا يرون أنه « لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين ، كما أنه لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ، لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه » .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذا الرأي الذي انتهى إليه العسكري في كتابه يتفق إلى حد كبير - مع نظريات علم اللغة الحديث .

ق

القاموس المحيط :

للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، وهو من المعاجم العربية القديمة ، صنّفه الفيروزآبادي ، وأسقط الشواهد الشعرية والنثرية من كتابه وذلك للاختصار . إذ يبلغ هذا المعجم أربعة أجزاء على الأكثر .

وقد اعتمد مؤلفه الحروف الأصلية للكلمة وأهمل الحروف الزائدة . واعتمد أيضاً لام الكلمة وجعلها باباً ، وفاء الكلمة وجعلها فصلاً . فإذا أردنا أن تكشف عن كلمة مثل « سقطه » فسوف نجدها في باب الطاء فصل السين ، وهكذا في سائر الكلمات . ولا تخفى مدى صعوبة مثل هذه الطريقة على أبناء لغتنا ، لما بالك بغير العربي ، فضلاً عن صعوبة الكشف عن بعض الألفاظ ، فليس كل منا يعرف أن كلمة مثل : « يوسف » تقع في مادة « أسف » .

وقد قام الأستاذ طاهر أحمد الزاوي بمحاولة لترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المتبر وأساس البلاغة . وهي الطريقة المعروفة التي تتخذ من فاء الكلمة باباً ، ومن لامها فصلاً .

ك

الكتاب :

لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، وقد انتفع سيبويه بعلم الخليل ، كما انتفع بعلم شيوخه . وقد لقي الكتاب منذ ظهوره حظاً موفوراً لدى العلماء من الاهتمام ، فمن شرحه أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) تلميذ سيبويه ، وأبو عثمان بكر بن محمد المازني البصري (ت ٢٤٨ هـ) ، وابن السراج (ت ٣١٦ هـ) ، وابن درستويه ، وأبو الحسن الروماني والصفار (أبو الفضل قاسم بن علي البجليوس) الذي يقال إنه من أحسن الشروح .

وقد احتوى الكتاب على نحو ألف شاهد ، من نسبة أبي عمر الجرمي . وقد طبع الكتاب أكثر من مرة ، فقد قام بطبعه المستشرق الفرنسي « هرتويغ دوبريغ » عام ١٨٨١ م ، وهي طبعة في مجلدين . أما الثانية فهي طبعة « كلكتا » عام ١٨٨٧ م ، والثالثة ترجمة ألمانية كاملة لنص الكتاب الذي حققه دوبريغ . والرابعة طبعة بولاق ١٩٠٠ م ، وامتازت هذه الطبعة بأن قد ذيل أسفلها بنص كامل لشرح أبيات الكتاب للأعلام الشنتريني المسمى « تحصيل عين الذهب » من معدن جوهر الأدب ، في علم مجازات العرب . . . أما الطبعة الأخيرة فهي تلك التي أعدها وحققها وشرحها عبد السلام هارون عام ١٩٦٦ م .

ل

لحن العامة :

كتاب للزبيدي (٣١٦ هـ - ٣٧٩ هـ) ، ضمن سلسلة الكتب التي تناولت موضوع اللحن في اللغة ، وهي لحن العامة للزبيدي ، وثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكّي ، وتقويم اللسان لابن الجوزي . وقد قام الدكتور عبيد العزيز مطر بتحقيق هذه السلسلة ، في يونيو (حزيران) عام ١٩٦٤ م ، وقام بعمل دراسة تفصيلية أسماها : « لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » .

وبدأ كتاب الزبيدي بمقدمة طويلة تناول فيها الأسباب التي أدت إلى وقوع الخلل في

الكلام ، وعامة من ألفوا في ذلك ، إلى أن وضع أبو حاتم السجستاني كتابه لحن العامة ، ثم يبين المؤلف الفصد من تأليفه هذا الكتاب وهو أن « أئين وجه الصواب فيه » . وبعد هذه المقدمة يبدأ في ذكر ما أفسدته العامة ، وما وضعوه غير موضعه ، مبيناً وجه الخطأ والصواب في كل كلمة يعرض لها ، مستشهداً على ذلك بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، والأمثال والشعر .

والكتاب يضم مجموعة لا بأس بها من الكلمات الخاصة بلهجات معينة مثل لهجات بني أسد ولهجات أهل الشام وهذيل واليمن ، ولهجات بعض هوازن ، ويضم أيضاً كلمات من لغة أهل الحبشة ، ثم مجموعة من الكلمات المعربة .



المتجدد في اللغة :

لكراع (ت ٣١٠ هـ) ، قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور أحمد مختار عمر ، وضاحي عبد الباقي ، ونشراه عام ١٩٧٦ م . والكتاب بعالج الكلمات التي تحمل أكثر من معنى ، سواء كان المعنيان متضادين أو لا . وقد صدر كراع كتابه بمقدمة قصيرة شرح فيها منهجه ، ثم قسم كتابه إلى ستة أبواب ، جعل الأول منها في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم ، والثاني في ذكر صنوف الحيوان ، والثالث في ذكر الطير ، إلى آخر هذه الأبواب . وقد ضم الباب الأخير ٢٨ فصلاً ، على عدد حروف الهجاء . وقد احتوت هذه الفصول الكلمات بحسب أولائها ، بغض النظر عن كونها أصيلة أو زائدة ، مثلما وضع « أشوه » في فصل الألف ، و « شوهاء » في فصل الشين .

وقد بنى كراع تمييزه بين المعاني على أساس أن ما يرد على الذهن أولاً يجب أن ينظر إليه باعتباره المعنى الأساسي أو الرئيسي ، وما سوى ذلك بعد معاني ثانوية أو فرعية .



نظام الغريب :

كتاب للدرعي ، يطلق عليه اسم نظام الغريب ، ولا يذكر ماذا يقصد بكلمة الغريب في هذا المقام ، وإذا كان ما يورده غريباً ، فهو غريب لمن ؟ إن كلمة غريب قد تعني الألفاظ الدخيلة التي تدخل في لغة ما ، ولكن يبدو أن هذا لم يكن غرض المؤلف ، ذلك لأن معظم الكلمات التي أت بها في كتابه عربية صحيحة . ويبدو أنه قصد من كلمته هذه ما يرادف كلمة « العجيب » ، حيث إنه قد أورد في كل « مجال دلالي » مجموعة من الكلمات التي تحتويها اللغة ، ويريد أن يثبت بذلك عبقرية العربية ، في كونها قد جعلت لكل معنى من المعاني المختلفة ذات الفروق الدقيقة كلمة تعبر عنها . فبدأ صاحبنا الباب الأول بالحديث عما جاء من الغريب في خلق الإنسان ، ويتحدث في الأبواب التالية عن الفصاحة والحمق والحسن والطول والقصر والحب إلى آخر أبواب الكتاب . ولكن يؤخذ على هذا الكتاب أنه لم يتخذ ترتيباً معيناً ، بحيث يؤدي حديثه عن « مجال دلالي » معين إلى الحديث عن « مجال دلالي » آخر . كذلك لم يعن بإبراز الفروق بين الألفاظ التي يوردها .



جمع الهوامع :

للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، وهو من أقدم الكتب اللغوية التي تناولت الكلام وأقسامه ، والاسم وعلاماته ، والفعل وعلاماته ، وأحوال المضارع والماضي والأمر ، ثم البناء والاعراب ، والنكرة والمعرفة والضمائر بأنواعها ، وأسماء الإشارة . وقد قسم السيوطي كتابه إلى جزئين كبيرين ، وكل جزء منهما يضم عدة كتب أي فصول ، فالجزء الأول نضمن كتابين جعل السيوطي الأول في العمدة كالمرفوعات من الأسماء ، والثاني في الفضلات ، كالفعول به وأساليب التحذير والاعراء والاختصاص والمنادى وأدواته وأحكامه .

والكتاب بعد ذلك يضم مسائل عدة حول الظروف المبينة ، ومباحث حول إذ وإذا والآن وأمس وبعد وبين وحيث وكيف ولئن وقط ولما ، وغير ذلك من مسائل النحر وضروبه .

أما الجزء الثاني فقد تضمن خمسة كتب أي فصول : الأول منها في المحرورات وما حل عليها وهي المحزومات ، والثاني في العوامل ، والثالث في التواضع وأعراض التركيب ، والرابع في الأبنية ، والخامس في التصريف . ثم جعل السيوطي للكتاب خانة في الخط ، تناول فيها أحكام الهمزة والفصل والوصل ، والزيادة والحذف والبدل ، ورسم المصحف ، ووضع النقط .



النوادر في اللغة :

لأبي زيد (ت ٢١٥ هـ) ، وهو من الكتب اللغوية الأدبية التي تتخذ من الأشعار والأرجاز وسيلة لشرح بعض الكلمات شرحاً لغوياً وتوجيهها طبقاً للنص . ومن خلال هذا التوجيه يتعرض المؤلف لبعض قواعد اللغة والصرف . وقد قسم أبو زيد كتابه إلى فصول عدة ، جعل لكل منها عنواناً ، وتراوح هذه العناوين بين قوله « باب شعر » و « باب رجز » و « باب نوادر » .

وقد ألحق الكتاب بكتاب آخر ، يقال له « حسانية » لأبي زيد . وهذا الكتاب من الناس من يضيفه إلى كتاب النوادر ، ومنهم من يفرده مته .



الايضاح في علل النحو :

كتاب للزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، ألفه من مقدمة صغيرة ، وثلاثة وعشرين باباً ، يضاف إليها مسائل صغيرة متفرقة ، ألحقها الزجاجي في آخره .

وقد ذكر في مقدمة كتابه أنه أنشأ كتابه هذا في علل النحو خاصة ، وبذلك حدد موضوع كتابه وتبين أنه لن يتعرض للأصول أي للقواعد النحوية ، لأن الكتب في الأصول كثيرة .

ثم يشير المؤلف إلى مصادر بحثه ، فيذكر أنه استنبط من كتب غيره من العلماء ، وأنه أخذ الكثير عن الشيوخ تلقياً ومشافهة .

وتتناول مادة الكتاب أقسام الكلام في الباب الأول ، ويعرض لرأي سيبويه ، في أنها اسم وفعل وحرف ، ويورد اعتراضاً عليه لفقدان الدليل ، ويشرح السبب في تسمية الأسماء والأفعال والحروف .

وفي الباب الثاني يتحدث عن اختلاف النحويين في تحديد الاسم والفعل والحرف ، وفي الثالث يتناول معرفة حد الاسم والفعل والحرف ، وفي الرابع يعرض لأراء سيبويه والبصريين والفراء والكوفيين في مسألة الفعل والمصدر ، وأيهما مأخوذ من صاحبه . وفي الفصول التالية يعرض لعلل النحو والسبب الذي من أجله دخل الاعراب في الكلام ، وهل الاعراب حركة أم حرف ، إلى آخر الأبواب التي يحتويها الكتاب . . وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور مازن المبارك .

مناقشات

و تعليقات



★ ابن رشد ★



★ النبي ★



★ ابن سينا ★

ورجع إلى ما كتبه شاعر أميركا (لنجفيلو) حيث قال : «لقد أودعت في قلوب طائفة من البشر حب العلم والعرفان والتفرغ له والاعتكاف عليه ، ولولا هؤلاء يذهب منهم الذاهب ليلحق به اللاحق لانطفأت شعلة الفكر في الوجود ، إن هذا النفر من البشر هم القائلون على مصابيح الأمم يملأونها زيتاً » .

وتابع العلامة أحمد زكي قوله : « هذه إنجليترا ماذا كان شأنها لو لم يكن من بينها (شوتر ، وشكسبير ، وملتن وأشباه لهم) . وهذه إيطاليا ماذا يتبقى من مجدها إذا أنت محوت من صفحات أيامها اسم (دانتي ، وبترارك وبوكاشيو ، وميكل أنجلو) . وفرنسا ما كان خطرهما لو لم يكن فيها (راسين وهوجو ، وفولتير ، وروسو ، وديكارت) .

وألمانيا كيف كانت وتكون من غير (جوته ، وشلر وآخرين) » . وهنا رجع العلامة لتاريخ العرب المجيد حيث قال : « وأزيد أنا على قول الشاعر الأميركي فأقول : ماذا كان شأن العرب والشرق العربي الإسلامي كله لولا المتنبي ، وأبو العلاء ، وابن الرومي ، والبحتري ، وأمثالهم من الشعراء ، ولولا الشافعي ومالك والأئمة من أهل التشريع ، وابن سينا وابن رشد والفردوسي وأشباه لهم من الفلاسفة ، وجابر والكندي والبيروني ، وأضرابهم من العلماء ، فنت أجسامهم ، وذهبت عقولهم ، ولم يبق منها إلا كتاب يقرأ وهو الثمرة الباقية الخالدة ما قام على إحيائها نفر من الأخلاف الصالح .

وهذا ما تقومون به أنتم أيها الأخلاف الصالحين . رحمك الله يا أحمد زكي ... تهنئي لكم يا من تقومون وتديرون إدارة هذه المجلة ، وشكراً لكم على ما تبذلونه من جهد وسهر في إخراج هذه المجلة بشكلها الحاضر التي هي من خير الكتب التي تقتنى ويرجع إليها .

شامسي

محمد فايز الكنفاني

سيفي - سورية

اطلعت على أعداد السنة الثانية من مجلة الفيصل ، ونتيجة ذلك كنت أسف جداً لعدم اطلاعي على الأعداد السابقة وحفظها .

ولا يسعني - وإن جئت متأخراً - إلا أن أهنيء ، عموم القارئ على إعداد هذه المجلة وإصدارها ، وأقول بأن وجود هذه المجلة سد فراغاً كبيراً في عالم الكتب القيمة والمواضيع التي تتناولها هذه المجلة . لقد أصبح بإمكان (أي قارئ) أن يتوصل للمواضيع العلمية وخلافها من رجوعه لأعداد هذه المجلة (إذا نظم فهرساً إيجادياً مبوباً) حيث أصبح من الضروري وجودها في مكتبة كل بيت .

وحول موضوع (المطالعة ، واقتناء الكتب ، والرجوع إليها) أعود لما كتبه الكاتب الشهير والعلامة الكبير المرحوم أحمد زكي باشا في العدد الثاني من مجلة الشعب التي كانت تصدر في القاهرة عام ١٩٥٧ م . جاء في مقدمة مقالته رجوعه لآيات قرآنية ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ . ثم قال : « إن القراءة منعة ، والكتب سبيل الرجل وسبيل المرء إلى النجاح في الحياة ، وهي السبيل إلى قمة الحياة » .

وقال : « إنه الكتاب ، وإنها المكتبة يزيد بها الشاب كتباً كلما زاد العمر سنين ، وهي مدرسة من بعد أن تعطلت به المدارس ، وهي مدرسة ليس بها مدرسون أربعة أو خمسة أو عشرة ، إن عدد مدرسيها بعدد ما فيها من كتب ، فإن يكن عندك منها مئة فعندك منهم مئة ، كلهم أحياء فوق هذه الأرفف قائمون يرغبون ويستمعون عساك تطلب أحدهم فينزل إليك من فوق الأرفف لينصح ويعطي من علمه ومداده وحكمته » .

رجع المرحوم أحمد زكي في مقاله هذا لما كتبه خطيب الرومان (ششرو) الذي قال : « إن حجرة بلا كتاب ، كجسم بلا روح » .

ورجع إلى ما كتبه الشاعر الإيطالي (بترارك) حيث قال : « عندي طائفة من الرفاق الأحباب مجلسهم خير مجلس ، إنهم شئت من كل الأعمار وكل البلاد ، منهم من يروي أخبار القرون الغابرة ، ومنهم من يكشف أسرار هذه الطبيعة الحاضرة ، ومنهم من يصف لي كيف أحياء ، ومنهم الفرح المرح الذي يطرد همومي إذا اهتممت » .



● وفد أجاب فضيلة الشيخ محمد الراوي رئيس قسم التفسير - كلية أصول الدين - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بقوله : « الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها ، وقد حدد للناس ما يحل وما يحرم من أمور دينهم ودنياهم « فالحلال بين والحرام بين » ، وقد أحل الطيبات وحرم الخبائث .

والمسلم ملتزم بالإسلام ، به توزن جميع أعماله وأقواله . والدولة الإسلامية دولة ملتزمة بشريعة الله تعالى ، توزن بها كذلك جميع شؤونها وأعمالها .

والكلام عن الجاسوسية في عصرنا الحاضر يتسع ويمتد . وإذا أردنا أن نزن على ضوء الاسلام ما يقبل منها وما يرد ألفينا الذي يقبله الاسلام ما كان للاصلاح لا للافساد . . وهو يوزن بميزان الله لا بأهواء الناس لاقامة شرعه ودينه لا لطلب العلو والفساد .

ولذا فإنه يخضع لضوابط تحول دون الاساءة إلى الأفراد ، أو كشف لمسئور أمورهم . . ضوابط خلقية نسان معها حقوق الناس وكرامتهم ، وتكون سبيلاً لإعلاء كلمة الله .

وإذا سلك الناس بأنفسهم مسلكاً لا برضاء الله ، فإن باب التوبة مفتوح ، وتقبل نوبة العبد ما لم يفرغ . والجاسوس واحد من هؤلاء عليه أن يخضع هو له طاعة ربه ، والا يتبع هواه أو يبيع دينه بدنياه أو دنيا غيره .

والله بفضلله ورحمته يتقبل التوبة ويعفو عن السيئات إذا خلصت التوبة ، وصدق العزم ، وتحقق الندم ، وكف العبد عن السوء ، ورد الحقوق إلى أهلها ما استطاع .

ولعل هذا الاجمال يكفي في مجال ما أجمله السائل ولم يفصله . . والله ولي التوفيق »

● فضيلة الشيخ محمد الراوي يجيب عن سؤال القارئ قائلاً :

« يقول الله عز وجل في كتابه العزيز : ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويبدؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ صدق الله العظيم .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ، لتقر أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله واحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته ، كما قال الله تعالى :

﴿ والذين آمنوا واتبعنهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ .

والآية من سورة الطور . نسأل الله رضا والجنة ونعوذ به من سخطه والنار » .

● الأخ حسن علي خابور- عمان- الأردن .

شكراً على الصور الجميلة والقيّمة التي بعثت بها إلينا ، ونحن في انتظار ما نود إرساله لنا خدمة للعروية والإسلام .

● الأخ جمال المصري- الاحساء- السعودية .

نستطيع أن نحصل على « الأطلس » لتجد كل ما نريد فنزداد فسادنا بالاطلاع .

● الأخ سوكمتمو سعيد- سدارجا- أندونيسيا .

للحصول على المنحة التي نرجوها ، نشر عليك بالانصال بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض ، أو بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، متمنين لك التوفيق .

● الأخ محمد كندو- طرطوس- سورية .

شكراً على رسالتك الريفية ونحبك التي نعتز بها .

● الأخ الطاهر عبد الرحمن أبو القاسم- دوكة- السودان .

لك أن ترسل مبانرة إلى الجهة المسؤولة أو الشخصية التي نريد غشابتها دون وساطة المجلة .

● الأخوان سيف أحمد دياب- الشرقية- مصر ، ومصطفى عبد الحميد عوض- الدقهلية- مصر .

نشر المجلة في صفحة ١٦٢ من كل عدد قيمة الاشتراكات وطريقة ارسال هذه القيمة .. وعموماً فإن المبلغ هو مائة ريال ترسل باسم المجلة .. وشكراً على التهنئة الريفية بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك أعاده الله علينا وعلى الأمة الإسلامية بالخير والبركات .

● الأخ سليمان الغالي- نبالا- السودان .

الاجابة على سؤالك نشرت في العدد ١٣ (رجب ١٣٩٨ هـ - يونيو ، يوليو ١٩٧٨ م) ، في باب « مناقشات وتعليقات » ص ١٥٤ .

● الأخ أحمد ربيع شعبان- حلب- سورية .

نشكرك على مشاعرك الريفية واهتمامك ، ونعدك بتلافي ذلك في الأعداد القادمة .

● الأخ عبد الحكيم السيد علي وردة- بنها- مصر .

الكتابة للصحافة تكون في العادة على وجه واحد من الورقة .. أما نشر الموضوعات العلمية فيم بعد عرضها على المختصين والمختصين والرجوع إلى المراجع والصادر .

● الأخ عبد الله طحطح- الرباط- المغرب .

كتاب « العلوم في الإسلام » للدكتور سيد حسين نصر ، نشرته - كما هو مبين في عرض الكتاب - دار الجنوب للنشر بتونس .. وعليك أن نكتب هذه الدار .

● الأخ أحمد العلي بن صفوك- حلب- سورية .

الإسلام دين علم وأدب وفكر ، ولا نعتقد أن ما نشره مخالفاً للعالم الإسلامية .. وعموماً نشكر لك ملاحظتك .

● الاخوان (عبد الله السيد شرف- طنطا- مصر) ، (عبد العزيز الناصر الحمد- السعودية) .

نبادلكما التحية ونشكركما على تهنتكما بعيد الفطر المبارك أعاده الله علينا وعلى أمة الإسلام بالخير والبركات .

● الأخ عماد الحاج علي- دمشق- سورية .

عليك بمراجعة الدار الوطنية للتوزيع شارع جبول جمال- المزرعة- دمشق .

● الأخ بري محمد طاهر- القاهرة- مصر .

نصح بالانتظار حتى نصل موهبتك الشعرية بالفراة والاطلاع .. وفلك الله .

● الأخ حسن أحريبا ، المغرب .
نشكرك على اهتمامك ولا نعتقد أن « الكليات المتقاطعة » في عطة المجلة على الأقل في الوقت الحاضر .

● الأخ منتصر محمد حسين ، الاسكندرية- مصر .

الغصة في حاجة إلى مراجعة ولعلها تكون بداية للكتابة وليست بداية للنشر ، فأنت في حاجة إلى الفراء والتجريب باستمرار حتى تصل إلى المستوى المنشود .. وفلك الله .

● الأخ محمد ناصر ، حلب- سورية .

استبدلنا هدبة المجلة بلوحة رفان .. أما الاعلانات فهي دليل على نجاح المجلة وانتشارها .. ونشكر لك اهتمامك .

● الأخ محمد خير أحمد ، درعا ، سورية .

يمكنك شراء العدد الأول والعدد السابع من الموزع أو إدارة المجلة بالرياض عن طريق حوالة بريدية كما هو موضح في نهاية كل عدد .. أما عن الصحابة فإن المجلة نهم بالكتابة عنهم مع الموضوعات المتخصصة .



● الأخ فيصل حداد- دمشق- سورية .

بإمكانك الكتابة لمجلة البحوث الإسلامية- رئاسة إدارات البحوث العلمية بالرياض- المملكة العربية السعودية ، لنستفهم من إدارة المجلة عن كل ما يخصها .

● الأخ يوسف أحمد سلطان- القاهرة- مصر .

نعتذر لعدم وجود الفرصة التي نتمناها لدينا .

● الأخ مصطفى لحسن- اغادير- المغرب .

يمكنك أن نكتب مباشرة للمديرية العامة للصحافة ، وزارة الإعلام ، الرياض .

● الأخ محمد الزاهي- الشابة- تونس .

نعدك بعدم تأخر المجلة بإذن الله .. أما افراحاتك فهي بالفعل ضمن مخططات المجلة ، وسوف تطالع منها ما قد أعدناه للنشر بالفعل في القريب العاجل إن شاء الله .

● الأخ ربيع الألفي- بور سعيد- مصر .

شكراً على فلك التي نعتز بها .. أما عن « الرياضة » كباب ثابت أو اهتمام خاص ، فهذا ما نعني به المجلات والصحف غير المتخصصة ومع هذا فقد نشرنا موضوعاً عن « كرة القدم » نارجها وفنونها .. وأما عن « الموسيقى » فنحن بصدد نشر موضوعات متخصصة عنها .. وبإمكانك الاطلاع على الموضوع الخاص عن الموسيقى الذي سوف ينشر في العدد التاسع عشر إن شاء الله .



كتب
وردت إلى
المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

حسين البشبيشي في عام ١٩٧٤ م، وصدر الكتاب في القاهرة وهو الديوان الأول للشاعر ويقع في مائة صفحة من القطع المتوسط.

كتاب ثابت بن قره * كتاب الأعداد المتحابة، لثابت بن قره، قام بتحقيقه الدكتور أحمد سعيدان.. والكتاب مزود بالبيانات الرقمية ويقع في ٦٠ صفحة من القطع المتوسط، صدر في عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، عن الجامعة الأردنية.

تسطيح الصور وتسطيح الكور * في سلسلة «دراسات» التي تصدرها الجامعة الأردنية قام الدكتور أحمد سعيدان بتحقيق كتاب «تسطيح الصور وتسطيح الكور» لأبي الريحان البيروني المتوفى عام ٤٤٠ هـ، والكتاب على صغر حجمه مزود بالرسوم البيانية والهندسية ويقع في ٢٥ صفحة من القطع المتوسط، صدر في عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

تمريب العلم والتكنولوجيا * حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا، دراسة قلمها الدكتور أحمد سعيدان عضو مجمع اللغة العربية الأردني ويقع في ٢٥ صفحة من القطع المتوسط صدرت عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

نبات الخمسين * ديوان من الشعر المفق للشاعر أحمد ابن محمد الشامي يضم ٣٤ قصيدة ويقع في مائة صفحة من القطع المتوسط.. والديوان مكتوب بخط اليد مع مقدمة خطبة للشاعر، صدر عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

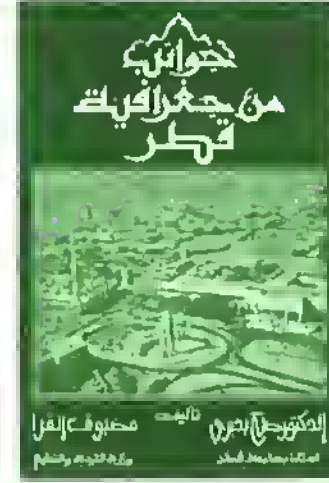
الحضاري اقتصادياً واجتماعياً وإقامة الحكم الإسلامي والتعارف مع الحركات الإسلامية.. صدر العدد الثالث والثلاثين من هذه المجلة في شعبان ١٣٩٨ هـ، عن المركز الإسلامي في آخن واتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا (مسجد بلال).. تقع المجلة في ٨٥ صفحة من القطع الصغير.

بلادنا الإسلامية * الكتاب الأول في سلسلة «بحوث إسلامية وعالمية» التي يصدرها المركز الإسلامي في آخن وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية.. والكتاب بعنوان «بلادنا الإسلامية وصراع النفوذ» صدر في شعبان ١٣٩٨ هـ، ويقع في ٢٠ صفحة من القطع الصغير.

الطلانغ الإسلامية * الكتاب الثاني في سلسلة «بحوث إسلامية وعالمية» بعنوان «رسائل إلى الطلانغ الإسلامية» تأليف عصام العطار الذي يقول في مقدمته: «نرفض التبعية الداخلية وندعو إلى التميز بالإسلام.. التبعية للشرق أو الغرب خيانة للإسلام والأمة والبلاد».. يقع الكتاب في ٢٠ صفحة من القطع المتوسط وصدر في شعبان ١٣٩٨ هـ.



أحلام المساء * ديوان من الشعر المفق يضم أربعين قصيدة للشاعر سيد أحمد الهمشري.. كتب المقدمة الشاعر



جغرافية قطر * «جواب من جغرافية قطر» دراسة اشترك في إعدادها الدكتور صلاح بحيري والأستاذ مضيوف الفسرا، والدراسة مزودة بالخرائط والاحصائيات والبيانات وتقع في ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط وقد طبعت بمطابع الجمعية العلمية الملكية عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.



المجلة الطبية السعودية * وهي مجلة تعنى بالدراسات الطبية والصحة العامة.. تصدر كل شهرين، وقد صدر منها العدد السادس رمضان - شوال ١٣٩٨ هـ، بالرياض.. يشرف على المجلة الدكتور حمد الصقيير ويتكون مجلس تحريرها من الدكتور مصطفى طيبة والدكتور هاشم الدباغ والدكتور حيدر الحجار وعبد الرحمن الصالح.. تقع المجلة في مائة صفحة من القطع المتوسط.

الرائد.. مجلة إسلامية * تصدر في ألمانيا باللغة العربية وتستهدف تبليغ دعوة الإسلام وثقافة الذين استجابوا للدعوة ومواجهة التحدي



كتابات من البحرين * «الكتابات الأولى الحديثة» لثقفى البحرين، هو عنوان الدراسة التي وضعها مبارك خاطر وتناول فيها كتاب البحرين الذين قادوا الحركة الثقافية فيما بين عامي ١٨٧٥ و ١٩٢٥ م، ويقع الكتاب في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط، طبع بمطابع المختار بالقاهرة عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، وهو العدد الأول من سلسلة «دراسات خليجية».

إبراهيم بن محمد الخليفة * «المجموعة الكاملة لأثار الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة أشعاره ورسائله» هذا هو عنوان الكتاب الذي قام بتحقيقه وشرحه محمد جسابر الأنصاري وهو العدد الأول من سلسلة «إحياء تراث البحرين الأدبي».. يقع الكتاب في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط طبع بالمطبعة الشرقية بالبحرين تحت إشراف مديرية التربية والتعليم عام ١٩٦٨ م.

سوالف دنيا * ديوان بالعامية للشاعر البحريني عبد الرحمن رفيع وهو الديوان الرابع للشاعر.. ويضم هذا الديوان ٣٦ قصيدة في ٢٤٠ صفحة من القطع الصغير من منشورات دار الغد بالبحرين عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، وقد صمم غلاف الكتاب الفنان البحريني عميد الله يوسف.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . (٣)
المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤- أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥- ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦- من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل

● العدد ١٩ ●

الاسم : -----

المهنة : -----

العنوان : -----

عرف في تاريخ الشعر العربي بما يسمى بالمعلقات السبع . . من هم شعراء هذه المعلقة ؟

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

الأجرومية - تقويم البلدان - فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء - آراء أهل المدينة الفاضلة - الظرف والظرفاء أو الموشى .

أحد القصور التاريخية . . يوجد في بادية الأردن طرف البحر الميت الشمالي الشرقي . . يرجع أنه بني أيام الوليد (٧١٢ - ٧١٥ م) . . تزين جدرانه الرسوم . . وقف خلفه كسرى ، والنجاشي ، وإمبراطور بيزنطية ، ولذريق ملك القسوط . . وهو واحد من هذه القصور (قصر غمدان - المشتى - قصر عمرة) .

ما هي أسباب مرض الثعلبة الذي يصيب شعر الرأس ؟

قبيلة عربية من بطون كهلان بن سبأ . . هاجرت من اليمن إلى شمالي الجزيرة العربية بعد خراب سد مأرب . . أرسلت وفداً إلى النبي ﷺ . . دخلت الإسلام عام ٦٣٠ هـ ، ينتسب إليها أحد رجالات العرب الذين اشتهروا بالكرم . . من أفخاذها جديلة ، نهران ، بجر ، ثعلبة . . يسكن بعضها شمالي الحجاز ، وبادية العراق ، والشام ، ويعرفون ببني شمر . . ما اسم هذه القبيلة ؟

متى ضرب هذه الأمثلة (بغير الله وترتق الفتوق - الحليم مطية الجهول - شنشنة أعرفها من أخزم - كل خاطب على لسانه غمرة - ضغث على إبالة) .

أقدم النحاة الذين ذكروهم سيويوه في « الكتاب » . . قال عنه ابن سلام الجمحي : إنه « أول من بعج النحو ، ومد القياس ، وشرح العلل » . . هل هو ابن جني . . أم ابن قدامة . . أم الخليل . . أم عبد الله بن أبي إسحاق ؟

شاعر ، وفارس عربي مخضرم . . أسلم ، ثم ارتد بعد موت الرسول ﷺ . . ثم عاد إلى الإسلام . . شهد معركة القادسية . . وقتل في حصار نهاوند . . هل هو عمر بن معد يكرب الزبيدي . . أم عمر بن أبي ربيعة . . أم طرفة بن العبد ؟

صحابي أنصاري خزرجي . . أمره الرسول ﷺ أن يتعلم السريانية حتى أتقنها ليقرأ له ما يردده من كتب بها وبالعبدية . . كان مبرزاً في علم الفرائض . . من هو ؟

أين توجد هذه المدن العربية : (ينبع - دوعن - زبيد - تبوك - عنابة - الجيزة - تريم - صبياء - تطوان - إربد) .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To :
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

في أوروبا.. وأمريكا.. وآسيا

| | |
|----------------------------|---------------------|
| بريطانيا وإيرلندا | ١,٢٥ جنيها استراليا |
| فرنسا | ١٠ فرنكات |
| هولندا | ٧,٥ فلورن هولندي |
| بلجيكا | ١٠٠ فرنك بلجيكي |
| سويسرا | ٧ فرنكات سويسرية |
| المانيا الغربية | ٧ ماركات ألمانية |
| إيطاليا | ٢٠٠٠ ليرة إيطالية |
| إسبانيا | ١٠٠ بيزيتا إسباني |
| البرتغال | ٨٠ اسكودو |
| اليونان | ١٠٠ درهما |
| الدانمرك | ١٥ كرونا |
| النرويج | ١٥ كرونا |
| السويد | ١٥ كرونا |
| فنلندا | ١٥ كرونا |
| الولايات المتحدة الأمريكية | ٢,٥٠ دولاران ونصف |
| الباكستان | ١٠ روبيات |

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

| | |
|----------------------------|-----------|
| المملكة العربية السعودية | ٦ ريالات |
| الكويت | ٣٠٠ فلس |
| الإمارات العربية المتحدة | ٥ درهم |
| قطر | ٥ ريالات |
| البحرين | ٤٠٠ فلس |
| سلطنة عمان | ٣٠٠ بسة |
| الأردن | ٢٥٠ فلس |
| ج.ع.ع. الحنية | ٣ ريالات |
| ج.ع.ع. الديمقراطية الشعبية | ٤٠٠ فلس |
| مصر | ٢٠٠ ملم |
| السودان | ٢٥٠ ملجاً |
| المغرب | ٤ دراهم |
| تونس | ٤٠٠ ملم |
| الجزائر | ٤ دنانير |
| العراق | ٣٠٠ فلس |
| سوريا | ٣٠٠ فرش |
| لبنان | ٣٠٠ فرش |
| ليبيا | ٤٠٠ درهم |

الإعلانات :
يتفق عليها
مع الإدارة

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ٥٥ ٥٥
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصل